



Wasit University
Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

أثر البيئة في شعر لميعة عباس عمارة

The influence of the environment on the poetry of Lamia Abbas Amara

الجوراني, وفاء سلمان عجيل

إشراف: أ.د جاسم حسين سلطان الخالدي

جامعة واسط — 2026

<https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/232>

<https://doi.org/10.31185/uowasit-76>

حُمِّلَ هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

أثر البيئة في شعر لميعة عباس عمارة

رسالة تقدّمت بها الطالبة

وفاء سلمان عجيل الجوراني

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة واسط وهي جزء
من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / أدب

بإشراف

أ.د جاسم حسين سلطان الخالدي

أ.د محمد مزعل خلاطي

٢٠٢٦ م

١٤٤٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا
تَحْتَ الثَّرَى﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

(طه:٦)

إقرار المشرف

نشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (أثر البيئة في شعر لميعة عباس
عمارة) التي قدّمتها الطالبة (وفاء سلمان عجيل الجوراني) قد تمت تحت إشرافنا
في قسم اللغة العربية - كلّية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط ، وهي جزء
من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / أدب .


إمضاء المشرف

أ.د. محمد مزعل خلاطي

التاريخ: ١٥ / ٦ / ٢٠٢٦ م


إمضاء المشرف

أ.د. جاسم حسين سلطان الخالدي

التاريخ: ١٥ / ٦ / ٢٠٢٦ م


الإمضاء

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

أ.د. نهلة عبد الله الوائلي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: ١٥ / ٦ / ٢٠٢٦ م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على رسالة الطالبة (وفاء سلمان عجيل) الموسومة بـ (أثر البيئة في شعر لميعة عباس عمارة) ، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها ، وفيما له علاقة بها ، فوجدناها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / فرع الأدب وبتقدير (

التوقيع

أ.م.د. محمد غركان سرحان
عضواً

٢٠٢٦/٨/٢٤

التوقيع

أ.د. كريم عجيل الهاشمي
عضواً

٢٠٢٦/٨/٣١

التوقيع

رئيساً

٢٠٢٦/٨/٣١

التوقيع

أ.د. محمد مزعل خلاطي
عضواً ومشرفاً ثانياً

٢٠٢٦/٨/٣١

التوقيع

أ.د. جاسم حسين الخالدي
عضواً ومشرفاً أولاً

٢٠٢٦/٨/٣١

أصادقُ على ما جاء في قرار لجنة المناقشة:

التوقيع
الأستاذ الدكتور
أ.د. محمود حمود عراك

محمود حمود عراك

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

٢٠٢٦/٨/١٤

الإهداء

إلى .. شقيقة روعي .. (رجاء) .

تلك النبضة التي اختطفها يد الشهادة في أول ربيع أغصانها ..

أختي ..

أنا أعلم ..

أن آخر شهقة منك كانت تلفظ حروف اسمي ..

و أن آخر نظرة من عينيك كانت صوب ظلي الذي تراءى خلف شحوب جسر الأئمة ..

يا رجاء ..

أي الكلمات أختار كي أصف جراحي التي إلى الآن تتوضأ بدموع فراقك ..

أهديك ثمرة جهدي ، لأن فرحتي ستمر كنسمة باردة على تفاصيلك التي ضمها الثرى
و احتضنها شغاف قلبي ..

وما غفلت عيناى عن انتظار حلم عودتها .. و لو سراياً ..

ارقدي بسلام ..

لك منى عهد الحب، و ألم الفراق .. حتى أقبل تفاصيلك ..

الباحثة

شُكْرٌ وعِرفانٌ

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، وبفضله تُدرك الغايات، وبِعونه تُذَلَّ الصعوبات، وبِتوفيقه تتحقق الأمنيات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله سيد البريات.

أتوجه بالشكر والتقدير إلى رئاسة قسم اللغة العربية، ممثلة ب أ. د. (نهلة عبد الله الوائلي) لرعايتها الكريمة، وحرصها الشديد على طلبتها.

فأسأل الله تعالى أن يمدّ في عمرها و يبلغها أسمى مراتب العلم والمعرفة.

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف أ. د. (جاسم حسين سلطان الخالدي)، لحرصه ومتابعته، ولما قدمه من توجيهات وآراء قيمة فمتعه الله تعالى بدوام الصحة والعافية.

وخالص الشكر والتقدير الى الأستاذ المشرف الثاني أ. د. (محمد مزعل خلاطي) ،لما قدمه من توجيهات قيمة ، أمدّه الله بدوام الصحة والعافية .

والشكر موصول إلى أ. د. (جبار أهليل الزبيدي) ،لما أبداه من رعاية أبوية وعلمية، فما رأيتُ منه إلا كل ما يقوّي العزم وينيل الهم، فجزاه الله عنا خير جزاء المحسنين.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أ. د. (ثائر عبد الحميد العذاري) ،الذي كان له الفضل في اقتراح عنوان الرسالة، ولولا جهوده القيمة، لم يبصر هذا البحث ضوء النهار، جزاه الله عني خير الجزاء وأوفره.

كما أتقدم بالشكر الوافر إلى الأساتيد الأفاضل: أ.د. (كريم عجيل الهاشمي)، و أ.م.د. (حيدر اسماعيل عسكر)، و أ.م.د. (هديل علي كاظم)، و أ.د. (وداد محمد نوفل) من جمهورية مصر العربية، الذين لم يخلوا عليّ بإرسال الكتب والبحوث التي أفادت هذه الرسالة، فجزاهم الله خيراً، وأدام عليهم فضله.

كل التقدير والاحترام للسادة أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذه الرسالة، و لما يقدمونه من ملاحظات وآراء قيمة.

كل الود لمن شاركني رحلة هذا البحث ..

زوجي، ورفيق دربي الأستاذ (علاء صاحي العمار) الذي لم يكل ولم يمل عن مساعدتي والوقوف إلى جانبي .

و أخي العزيز الأستاذ الأديب الشاعر (جعفر الخطاط) لما قدّمه لي من جهدٍ مشرٍ في طباعة هذه الرسالة فله مني خالص الشكر والامتنان ..

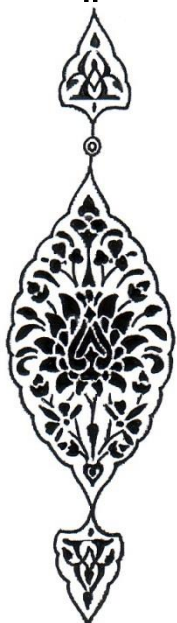
و لكل مَنْ ساعدني، ولم يخل عليّ بجهدٍ ، أو دعاء في إتمام هذا العمل.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر و عرفان	
المقدمة	٦-١
التمهيد / الأدب البيئي و النقد البيئي و سياق التجربة الشعرية	٣٧-٧
أولاً : مفهوم الأدب البيئي	١٥ - ٧
ثانياً : مفهوم النقد البيئي وتطوره	٢٦ - ١٥
ثالثاً : حياة الشاعرة لميعة عباس عمارة	٣٧ - ٢٧
الفصل الأول خصوصية البيئة العراقية	٩٨ - ٣٨
المبحث الأول/ الماء و تجلياته في شعر لميعة عباس عمارة	٤٥ - ٣٨
ملامح حضور الماء في الشعر العربي قديماً وحديثاً	
أولاً : الماء بوصفه مكوناً بيئياً	٥٤ - ٤٦
ثانياً : الماء و تجلياته رمزاً	٦٦ - ٥٥
ثالثاً : البعد النوستالجي (الحنين و الذاكرة) للماء	٧٣ - ٦٦
المبحث الثاني/ الطبيعة في شعر لميعة عباس عمارة	٧٦-٧٤
أولاً: الأرض	٨٧ - ٧٧
ثانياً: النخيل	٩٨ - ٨٧
الفصل الثاني/ أثر البيئة الثقافية في شعر لميعة عباس عمارة	١٥٧ - ٩٩
المبحث الأول: الموروث الاجتماعي و الديني في شعر لميعة عباس عمارة	١٠٢-١٠١
أولاً: الموروث الاجتماعي (العادات والتقاليد)	١١٨ - ١٠٢
ثانياً: الأثر الديني	١٣٢ - ١١٩
المبحث الثاني/ حضور المرأة و تجلياتها الشعرية	١٣٦-١٣٣

١٤٦ - ١٣٦	المحور الأول: الوظائف الاجتماعية للمرأة و تجلياتها البيئية
١٥٧ - ١٤٦	المحور الثاني: المرأة والبيئة مقارنة نقدية
٢١٥ - ١٥٨	الفصل الثالث/ تجليات الاغتراب البيئي (المكاني)
١٨٧-١٦٤	المبحث الأول: صورة الوطن والحنين إليه
٢١٥-١٨٨	المبحث الثاني: ثنائية البيئة (الأم) والبيئة (الجديدة)
٢١٨-٢١٦	الخاتمة
٢٤٠-٢١٩	قائمة المصادر والمراجع
A-C	Abstract

المُقدِّمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقدِّمة

الحمدُ لله المحمودُ لنعمته، المعبودُ لوحده، المطاعُ بقدرته، الذي جعل ذكره طمأنينةً للقلوب، وجلاءً لها عن دناءة الذنوبِ وذنسِ العيوبِ.

أما بعدُ:

ترسّخ مفهوم البيئة في العقود الأخيرة ، بوصفه . مصدر اهتمام لدى الناقدين والدارسين البيئيين ؛ نتيجة التحديات المتسارعة التي واجهت العالم ، كالحروب، والتلوث ، و التغيرات المناخية ، وتقشي الأمراض والأوبئة ، وتدهور الموارد، والاحتباس الحراري ، والتوسع العمراني العشوائي ، وقلة الوعي البيئي ، وكل هذه التحولات العميقة ، لم تكن مجرد قضية بيئية ، بل أضحت قضية سياسية ، وثقافية ، واقتصادية ، تؤثر في استدامة المجتمعات ، ولا تقتصر دراستنا للبيئة على جزء دون آخر، أو نمطٍ دون آخر، بل لا بد من النظر إلى العالم الطبيعي من الداخل إلى الخارج، على وفق رؤيته الأدبية؛ لأنه ليس مساحة ذات أبعاد هندسية فقط، ففيه نبحث عن إتجاهنا الغريزي لرؤية عواطفنا تنعكس على بيئتنا. ولا تتمظهر البيئة بمظهر واحد، بل تعددت بتعدد الوجود الإنساني، فالكون عالمٌ مختلف و واسع منه ما يشاركنا الشعور، وبما أنّ الإنسان على قرب شديد من الطبيعة، يتفاعل معها، وتتفاعل معه، على وفق ترتيب وتسلسل: يجعل الطبيعة والبشر، يتبادلون الأدوار،

في التعبير عن ذواتهم، و امتزاج أحدهم بالآخر. مما جعلت بعض البشر ينتبهون لخطورة ما يحدث للبيئة، ويؤكدون أنّ البشر متساوون مع جميع الكائنات الحيّة الأخرى الموجودة على الكوكب الأرضي، ولها الحق في أنّ تشعر بالأمان على هذا الكوكب.

ومن هذا المنطلق تنامت الدراسات المنادية بوقف جماح هذا الاستغلال البشري للبيئة، فظهرت مجموعة من الحركات والمنظمات الداعية إلى الاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها، وفي هذا السياق تبدو الأعمال الأدبية مهمة للغاية. فالأدب من أكثر الطرق نجاحًا وتأثيرًا في موضوع تنشئة الأشخاص على الإحساس بالهم البيئي لدى المتلقي. وهذا ما دفع الناقدين والباحثين المعنيين بالبيئة إلى العناية بهذا الاتجاه البيئي، لما له من تأثير في تشكل الوعي البيئي البشري، فهذه الملاحظة النقدية تركز على كيفية تعامل البشر مع البيئة والمحافظة عليها.

وتُعدّ تجربة الشاعرة (لمیعة عبّاس عمارة) من التجارب الشعرية النسوية الرائدة في الأدب العربي المعاصر، التي أُشبعَت درسًا، ولكن أرى هذا الموضوع لم يُدرس ويكاد يكون بكرًا، ويستحق الاهتمام والدراسة على وفق المنهج البيئي على وجه الخصوص، لحاجة المكتبات العربية إلى مثل هذه الدراسة، التي تكاد تكون قليلة في مجال الدراسات النقدية البيئية.

وتهدف الرسالة إلى كشف وعي الشاعرة (عمارة) بالبيئة، وتفاعلها مع ما تعرضت له البيئة العراقية من استغلال وانتهاك بسبب كثرة الحروب، والكوارث، والدمار من لدن بني البشر، ولاشتمال خطابها الشعري على وعي بيئي، وما تمثله البيئة من مقومات فاعلة ومؤثرة للحياة بأجزائها وفروعها، والعناية بمنجز (عمارة) الشعري الذي تميّز بالفراة عن معاصريها من الشعراء.

ومن الجدير بالذكر أن الباحثة اعتمدت على المصادر الأجنبية المترجمة التي أنارت لي الطريق للانطلاق في عوالم هذا الموضوع ، وإنجاز البحث في صورته الأخيرة ؛ لأن المصادر والدراسات العربية قليلة في هذا الحقل. ومن أهم هذه المصادر (النقد البيئي) لخرج جرارد ، ترجمة : عزيز صبحي جابر، و(النقد البيئي بين التنظير والتطبيق) لورانس بويل، ترجمه: معتز سلامة، و(النقد البيئي مقدمات، مقاربات، تطبيقات)، إعداد وترجمة: نجاح الجبيلي، و(الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية) لمايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية.

وثمة إشارة لابدّ منها إلى الدراسات الأكاديمية العربية السابقة ومنها (النقد الأدبي البيئي قراءة جديدة في الشعر القديم) لفاطمة الزهراء محمد فوزي، و(الشعر الإماراتي في ضوء النقد البيئي) لعائشة جمعة الشامسي، و(النقد البيئي في شعر العصر العباسي الأول اختصاراً) لنضال جبري طابور، و(الأرض و الإنسان في شعر بدر شاكر السياب، دراسة في ضوء النقد البيئي) لشاكر جواد علي الموسوي،

و(تمثلات الطبيعة في خطاب علي جعفر العلاق الشعري- دراسة في ضوء النقد الأدبي البيئي، بنين سمير عيسى، و(الشعر النسوي المعاصر في العراق- دراسة في ضوء النقد البيئي)، أسماء حسين علاوي.

وأما المنهج الذي انطلقت منه الدراسة كان الأساس هو المنهج البيئي في قراءة النص، لكن في بعض الأحيان يحتاج إلى مناهج أخرى تتداخل مع المنهج البيئي مثل المنهج النفسي، والمنهج الاجتماعي.

وتأسيساً على ذلك فقد ابتدأت هذه الدراسة بتمهيد تناول أولاً: مفهوم الأدب البيئي ، وثانياً مفهوم النقد البيئي وتطوره ، كما ذكرت أهم رواد هذا المنهج ، وثالثاً: عرفتُ بالشاعرة العراقية (لمیعة عباس عمارة)، وذكرتُ أهم مجموعات الشعرية.

وانتظمت طبيعة الدراسة في ثلاثة فصول رئيسة ، جاء الفصل الأول بعنوان : (خصوصية البيئة العراقية) وقُسم على مبحثين، تناولتُ في المبحث الأول: (الماء وتجلياته في شعر لمیعة عباس عمارة) بوصفه من مكونات البيئة ، وأنه رمز، فضلاً عن البعد النوستالجي للماء، وتناول المبحث الثاني: (الطبيعة)، وجاء الحديث فيه عن الأرض والنخيل.

في حين جاء الفصل الثاني تحت عنوان : (أثر البيئة الثقافية في شعر لمیعة عباس عمارة)، وقُسم على مبحثين ، تناولت في المبحث الأول: (الموروث

الاجتماعي والديني في شعر لميعة عباس عمارة)، وشمل كلاً من (الموروث الاجتماعي، والعادات والتقاليد والأثر الديني)، أمّا المبحث الثاني: (حضور المرأة وتجلياتها الشعرية في شعر لميعة عباس عمارة)، فاشتمل على (الوظائف الاجتماعية للمرأة وتجلياتها البيئية، المرأة والبيئة مقارنة نقدية).

أمّا الفصل الثالث: تجليات الاغتراب البيئي (المكاني) ، فقسّم على مبحثين؛ إذ جاء المبحث الأول: (صورة الوطن والحنين إليه)، في حين عُنون المبحث الثاني ثنائية البيئة (الأم) و(البيئة الجديدة).

وكانت الخاتمة خلاصة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم تليها قائمة بالمصادر والمراجع التي استندت عليها هذه الدراسة.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر أستاذي ومشرفي الدكتور (جاسم حسين سلطان الخالدي) في إتمام هذه الرسالة، بدءاً من وضع الخطة، وجمع المصادر، وابداء الآراء والتوجيهات، وحرصه الشديد على إنضاج العمل، وانتهاءً بأدق التفاصيل، ولا يسعني إلا أن أدعو له بخالص الدعاء والتوفيق لأعلى الدرجات فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأني كباحثة لا أدعي الكمال لدراستي؛ إذ أن الكمال لله وحده، وقد بذلتُ قصارى جهدي، فإن قصرت فذلك من صعوبة تطبيق هذا المنهج. فحسبها أنها

التجربة الأولى في ميدان البحث العلمي. وسبحان من لا يُخطئ، وأن أصبت
فالفصل لله سبحانه وتعالى.

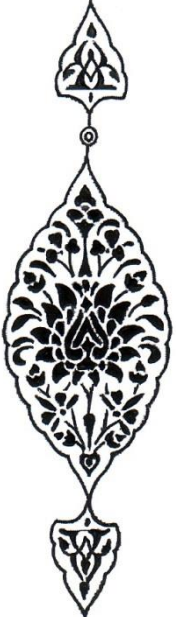
سائلة المولى عزّ وجلّ أن تكون هذه الرسالة إضافة أخرى في مجال الدراسات
البيئية في الأدب، وأن يتقبله مني عملاً صالحاً وعلماً نافعاً خالصاً لوجهه الكريم،
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

التمهيد

الأدب البيئي و النقد البيئي و سياق التجربة

الشعرية



التمهيد

الأدب البيئي والنقد البيئي وسياق التجربة الشعرية

أولاً: مفهوم الأدب البيئي

واجه البشر أزمات ومشاكل بيئية نتيجة الهيمنة العشوائية على الطبيعة واستغلالها من لدن الإنسان بفعل التطور الصناعي والاقتصادي، مما زاد من تفاقم الخطر الذي يهدّد حياة البشرية على سطح الكرة الأرضية، وما خلفته الحروب النووية والحرائق وأسلحة الدمار الشامل، فضلاً عن مخلفات التطور الصناعي والتقني من المواد السامة والملوثة، التي كان لها الأثر الأكبر على الإنسان والطبيعة، فتأزمت علاقة الإنسان ببيئته، وتحوّلت من علاقة تكامل وتكافل إلى علاقة اختلال واستنزاف واسع للموارد البيئية ما خلف نوعاً من الأزمات البيئية التي تُعرف اليوم بالأزمة البيئية. وقبل الدخول في تفاصيل (الأدب البيئي) لابد من الوقوف عند تعريف (البيئة) وعلاقتها بالأدب.

ويعود الأصل اللغوي لكلمة (البيئة) إلى الجذر (بؤ)، الذي اشتق منه الفعل الماضي (بأ)، وقال ابن منظور: "بأء إلى الشيء، أي رجع إليه"^(١)، وذكر المعجم

^(١) لسان العرب، لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، مجلد (١): مادة (بؤ).

نفسه معنيين قريبين من بعضهما لكلمة (تبوأ): الأول: إصلاح المكان وتهيئته للمبيت، والآخر: بمعنى النزول والإقامة، "ويقال: تبوأ منزلاً أي نزلته وأقمت فيه"^(١)، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾^(٣)، ولذلك نجد أنَّ المفاهيم التي ذكرت في لسان العرب تعطي معنى واحداً عن الإطلاق، وهو ارتباط الإنسان بالمكان بكلِّ حالاته.

كثرت تعريفات البيئة، لكن ما يلحظ على بعضها أنَّها تنظر إلى البيئة بوصفها مجموعة متجانسة من العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية، وهنا ما يُدخل أنواع النشاط البشري في مفهوم البيئة، وأمَّا مفهوم البيئة بالمعنى الاصطلاحي فهو "الوسط الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس أنشطته الإنتاجية والاجتماعية... وتتحدد علاقة الإنسان بالبيئة في دائرتين، فهي إطار الحياة يجب أن يحافظ عليه ويصونه من التلوث والتدهور، وهي مصدر للثروات الطبيعية يجب أن يرشد استغلاله ويعظم

(١): لسان العرب، مادة (بوأ).

(٢) سورة يونس: الآية: ٨٧.

(٣) سورة الحشر: الآية ٨. وينظر سورة آل عمران الآية: ١٦٢، وسورة العنكبوت الآية: ٥٨.

وسورة الأعراف الآية: ٧٤. وسورة يوسف الآية: ٥٦. وسورة النمل الآية: ٤١.

عطاءه"^(١)، ومصطلح البيئة هنا لا يعتمد على البيئة الطبيعية ، بل مختلف انواع البيئة التي تشمل البيئة الثقافية والحضارية، وما يطرأ عليها من تغييرات بفعل بني البشر.

ويتسع معنى البيئة ليضيف معانٍ أخرى ، فتُعَرَّف بأنها " كلُّ ما هو طبيعي يؤثر في الإنسان وأنشطته كالنبات والماء والهواء والصخور والجو والحيوانات وغيرها من الكائنات الطبيعية الأخرى، سواء أكانت حيّة أم جامدة"^(٢) كما عُرِفَتْ أيضاً بتعريفات مختلفة "بحيث أصبحت تدلُّ على أكثر من مجرد عناصر طبيعية (ماء وهواء وتربة ومعادن ومصادر للطاقة ونبات وحيوانات... بل هي رصيد الموارد المادية، والاجتماعية، المتاحة في وقتٍ ما في مكانٍ ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته"^(٣) ؛ لذلك نجد أنَّ مفهوم البيئة لا يقتصر على معنى واحدٍ ، بل تعددت تعريفاته نظراً لتعدد القضايا البيئية.

(١) الانسان وتلوث البيئة، محمد صابر، الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر، السعودية، ٢٠٠٠م: ٧.

(٢) النقد البيئي الأيكولوجي في الادب والفن، جميل حمداوي وحسن اعراب، دار الريف للنشر والطبع الالكتروني، ط١، المملكة المغربية، ٢٠٢٠م: ٩.

(٣) البيئة ومشكلاتها، رشيد الحمد، ومحمد سعيد صباريني، سلسلة المعرفة، (د.ط)، الكويت، ١٩٧٩م: ٢٤.

وبذلك تعدّ البيئة أحد المفاهيم التقليدية التي لا تتعدى ما تشاهده العين ضمن نطاق رؤيتها، حتى وإن شملت البشر فقط في بعض الدراسات^(١)، وبذلك أصبحت البيئة تطلق على الإنسان وغير الإنسان مع مرور الزمن.

والعلاقة بين الأدب والبيئة عريقة، وموجودة منذ القدم، لأنّ الأدب يمثل الشقّ المعنوي للحضارة، ويجسّد قضايا المجتمع و همومه، ويمثل كل ما يدور في الحياة من مشاكل سببها البشر، وبذلك يتحمّل الأديب جزءاً من المسؤولية في تصوير تلك المشاكل والأزمات من خلال النصوص الأدبية التي يُعبّر عنها بطريقته الفعّالة والمؤثرة، التي تمتاز بمحاورة الطبيعة وتفاعلاتها ، ويحمل همّاً بيئياً لما تتعرض له البيئة من استغلال واختلال للموارد^(٢)، وبذلك يجسّد قدرته في رفع مستوى الوعي البيئي لدى المتلقي، وإنماء الحواس الجمالية والاخلاقية في تعامله مع المنظومة البيئية، ويهدف الأدب إلى التحذير من مخاطر تلك الأزمة عن طريق "إعادة توجيه الوعي الإنساني باعتبار كامل لمكانته في عالم تكون فيه الطبيعة مهددة، تتطلب

(١) ينظر: النقد البيئي (الايكولوجي) بين التأصيل والمفاهيمي والطرح التطبيقي رواية (القدس) أنموذجاً، وداد نوفل، دار حورس الدولية والريادة، (د.ط)، ٢٠٢٢م: ٤.

(٢) ينظر: شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الأيكولوجي، محمد عبد الناصر، حولية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ٢٠٢٢م: ٢ / ٤٣٤٦.

هذه المهمة التزاماً أخلاقياً شخصياً^(١)، فهو بذلك يجعل وجهة نظر أخرى أكثر تحسّساً وتعمّقاً عمّا تتصوره وتتخيله اتجاه تلك المخاطر، والأدب بدوره يجعل المتلقي أكثر تفكيراً وتأملاً بخطر المشكلة البيئية أكثر من الإحصائيات ؛ "ليظهر في مُدد زمنية لاحقة. ما يُسمى بـ (الأدب البيئي) ، ليعيد استثمار طاقات خيال الشاعر اتجاه البيئة الهادفة إلى عقد التصالح بين الأحياء وغير الأحياء على سطح الأرض، وتنمية علاقة البشرية بالعالم الطبيعي، وتحديد أنماط التفكير المُدمرة للبيئة وعرضها بأسلوب أدبي ممتع"^(٢)، ومن هذا المنطلق فإن الأدب البيئي هو "نشاط إبداعي مُفكّر فيه، وبناء فني، تحركه مقصديات إيكولوجية وفنية وفلسفية، وتدفعه نوازع الخوف من اختلال العلاقات بين كائنات وبيئتها، ومن ثم فهو مشاركة إبداعية تهدف إلى التأسيس لوعي بيئي جديد يكف فيه البشر عن تخريب شروط الحياة ، ويعاد فيه النظر في أساليبهم في التعامل مع الكائنات التي تقاسمهم الوجود على ظهر الكوكب"^(٣)، ومن هذا النص نجد أن الأدب البيئي هو أدب يسعى إلى إعادة

(١) النقد البيئي مقدمات -مقاربات- تطبيقات، اعداد وترجمة: نجاح الجبيلي، دار شهريار، ط١، البصرة-العراق، ٢٠٢١م: ٤٦.

(٢) النقد البيئي -شعر العصر العباسي الأول اختياراً، نضال جبيري طابور، إشراف: وليد شاكر النعاس، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، ٢٠٢٣م: ٥-٦. (أطروحة دكتوراه)

(٣) من أجل لغة خضراء-محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، عباس آدمي، مجلة أبوليوس، العدد (٢)، المجلد (٨)، الجزائر، ٢٠٢١م: ١٠٧.

الاعتبار لحالة الانسجام والتوازن والتواءم التي تحققت بين الإنسان وبيئته^(١)، "والأدب البيئي في المنظومة النقدية المعاصرة لا يقف عند حدود الوصف البيئي، وكشف جماليات الظواهر الطبيعية، وتوظيفها بوصفها رمزاً شعرياً، وزينة وجدانية وبلاغية، بل أصبح ذا أفقٍ أوسع من ذلك وأبعد؛ إذ صار الأدب البيئي وثيقة لمعالجة الضرر الذي حاق بالمنظومة الطبيعية، ونشر الوعي وتشكيل حركة تنوير عالمية؛ لإعادة صحة كوكب الأرض، وما عليه"^(٢)، لذلك نجد أنَّ أدب البيئة بهذا المعنى "لا يجب أن يتحول إلى مناشير حقوقية، أو تقارير علمية، وأن مجرد ارتباطه بالبيئة لا يغيّر من هويته بوصفه فناً يتأسس على أسلوبية شعرية خاصة، تظلّ تصله دائماً بالإبداع، حتى لا يفقد الخطاب قدرته على التأثير الفني والجمالي"^(٣) فهو أدب "يصدر عن كاتب يتمتع بوعي بيئي، وأن الطبيعة الفطرية هي البيئة المثلى للموجودات، وأنّ اختلال توازن الظواهر البيئية ناتج من طبيعة الإنسان المتعالية على الطبيعة"^(٤)، ولذلك نجد أنَّ النصّ البيئي هو النص الذي يحسن تمثّل الأضرار التي لحقت

(١) ينظر: من أجل لغة خضراء-محاولة في فهم أدب البيئة ونقده: ١٠٧.

(٢) النقد البيئي أفق اخضر في الدراسات النقدية المعاصرة ، إيمان السلطاني وآخرون ، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد(٣٣)، ٢٠٢١م: ٢٠.

(٣) من أجل لغة خضراء-محاولة في فهم أدب البيئة ونقده: ١٠٧.

(٤) الشعر النسوي المعاصر في العراق -دراسة في ضوء النقد البيئي، أسماء حسين علاوي، إشراف: عبد الرحمن عبد الله أحمد، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢٥م: ١٤.

(أطروحة دكتوراه)

بالمنظومة البيئية من سوء استغلال واستنزاف للموارد الطبيعية من لدن بني البشر؛ فضلاً عن ترسيخ وزيادة الوعي البيئي لدى المتلقي، ويرى (لورنس بويل)* "أن النص البيئي، حتى وإن كانت مرجعيته الطبيعية الكائنة في الوجود، إلا أن الأمر فيه لا يقوم على التماثل النقلي أو المحاكاة، لكنه يصدر عبر الخيال الذي يصنع الطبيعة بصيغته الخاصة، فينتج نصاً بيئياً ثرياً"^(١)، ليؤكد (بويل) أن الخيال هو إحدى الآليات المنتجة للنص البيئي الثري. كما حدد (بويل) المعايير الواجب توافرها في النص الأدبي حتى يكون نصاً بيئياً، هي:

١- البيئة غير البشرية موجودة في النص البيئي ليس بوصفها أداة تأطيرية فحسب، بل أيضاً بوصفها حضوراً يوحى بأن التاريخ الإنساني مستوحى من التاريخ الطبيعي.

٢- يجب ألا يكون الشأن الإنساني هو المصلحة الوحيدة والشرعية في النص البيئي، أي أن الشأن الإنساني لا يكون هو القيمة الشرعية الوحيدة.

* لورنس بويل: أستاذ بكلية هارفرد وأستاذ (كرسي بأول م. كابوت) للأدب الأمريكي، ينظر: النسوية البيئية والتمرد البيئي - مقالات ودراسات في النقد الأدبي البيئي، جريتا جارد وآخرون، ترجمة: أماني حسن الشلقاني ، دار النابغة للطبع والنشر والتوزيع ، (د. ط) ، (د.ت): ١٠٦ .
(١) النقد البيئي - مفاهيم وتطبيقات، مجموعة من الباحثين، تحرير: أبو المعاطي الرمادي ومعجب العدوانى، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٢٢م: ٧٧.

٣- المسؤولية الإنسانية نحو البيئة هي جزء من التوجه الأخلاقي للنص البيئي.

٤- أن يوحى النص البيئي بشيء من معرفة البيئة والإحساس بها بوصفها عملية اكتشاف للمستتر في النص، وليست شيئاً ثابتاً أو مفترضاً^(١).

وأبرزت الباحثة (وداد نوفل) أهمية تصنيف الأدب البيئي وفق المعايير التي وضعها (بويل) في تحديد طبيعة النص البيئي، وترى أن تحقيق هذه المعايير في النص ليس شرطاً أساسياً ليكون نصاً بيئياً؛ إذ من الممكن أن يتناول النص قضايا أو موضوعات تتصل بالبيئة، لتُدرج ضمن هذا النوع من الأدب، كما تسوّغ توافر المعايير الأربعة في نص واحد وتوظيفها بأسلوب بلاغي وفني متقن يمنح النص البيئي تميزاً خاصاً وأنموذجاً رفيعاً للأدب البيئي. لذلك نجد من الاشتراطات الواجب توافرها في النصوص البيئية هو "إحساس الكاتب بالبيئة التي يُعدّ جزءاً منها"^(٢). ومن هذا المنطلق يتمثل تعامل الأديب مع البيئة ومحاورتها على أنها كائن حي "يعتق أفكار الإمتزاج والاندماج بالطبيعة داخل النص والاحتفاء بها، وأن هذه النصوص تتبنّى مبدأ التحول من الاجتماعي إلى الطبيعي.

(١) ينظر: النقد البيئي مقدمات -مقاربات-تطبيقات: ٥٠.

(٢) النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات : ٩٢

وأن يحمل مبدعها همّاً بيئياً^(١)، ل يتميز بدوره عن الأدب الذي يعنى بدراسة البيئة (الطبيعية) التي تصف المناظر الطبيعية والحيوانات والنباتات، في حين أن تركيز الأدب البيئي على قضايا الأزمة البيئية المعاصرة، والأضرار التي لحقت بها من لدن الهيمنة العشوائية البشرية.

ثانياً: مفهوم النقد البيئي وتطوره

شهد العالم في العقود القليلة الماضية من القرن العشرين كثيراً من المخاطر والتحديات المصاحبة للبيئة، المتمثلة بالتلوث البيئي الناجم عن المخلفات الصناعية، والاحتباس الحراري، و التغيرات المناخية، والجفاف، وتقلص المساحات الخضراء، والتوسع العمراني العشوائي، وكل هذا من فعل البشر الذين يعتقدون أنهم القوة الوحيدة على سطح الأرض، دون إدراك العواقب بعيدة المدى، ونظراً لقلة الوعي البيئي، وانعدام الأخلاق البيئية، فقد أدى ذلك إلى فقدان البنية الجمالية للمظاهر التي تميزت بها البيئة بفعل التوحش الإنساني في التعامل معها. فهذه التحديات ليست قضية تقنية أو علمية بل أضحت إحدى القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية التي أثرت على حياة البشرية في العالم^٢. ونظراً لخطورة هذه المسألة، أُجبر الإنسان على

(١) النقد البيئي - الرؤية والتطبيق، فريد عوف، مجلة دراسات، العدد (١)، المجلد (١٢)، ٢٠٢٣م:

^٢ ينظر : النقد البيئي بين التنظير والتطبيق ، لورنس بويل وآخرون ، ترجمة : د. معتز سلامة ، دار النابغة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، طنطا ، ٢٠٢٣ م : ٩ .

اتخاذ الاحتياطات الجذرية العاجلة للتخفيف من الضرر الذي لحق بالبيئة، وضمان الوجود الآمن واستمرار الحياة للكائنات كافة، هذا ما دفع أصوات المبدعين من النقاد، والفلاسفة، والأدباء المعنيين بالبيئة إلى إيجاد حلول للأزمة البيئية ومخاطرها، ومن هذا المنطلق تنامت الدراسات التي تهتم بالبيئة، وعلى وجه الخصوص من الدول التي تنتهج بُعْداً ثقافياً وبيئياً عالي المستوى. وبما أن الأدب هو أحد الحلول الرئيسية لردم الفجوة بين الإنسان والبيئة والعنصر الرئيس الذي يشكل الهوية الثقافية والحضارية. لذلك نجد أنَّ الحراك البيئي جَذب الانتباه، ليشمل المجالات الأدبية والفنية، فانخرط الأدباء بأدبهم للدفاع عن البيئة، وإحياء القيم البيئية التي تمجد احترام الطبيعة وجمالها، والتوازن البيئي، ونقد السلوكيات المدمرة للبيئة، ومواجهة كل ما هو صناعي بوصفه مصدراً من مصادر تشويه البيئة^(١)، ونظراً لانتقال المشاكل والأزمات البيئية إلى الأدب برز أحد مصطلحات النقد الجديد الذي عُرِفَ بـ (النقد البيئي) وهو أهم الاتجاهات النقدية التي ظهرت على الساحة الثقافية لما بعد الحداثة منذ منتصف القرن المنصرم، و قد نشأ في الدراسات الثقافية الغربية. و(النقد البيئي Ecocriticism) "مصطلح شامل لمجموعة من المقاربات التي تُعنى بتمثيل علاقة البشري بغير البشري في الأدب (والأشكال الثقافية الأخرى)، من خلال منظور القلق حول التأثير المدمر للبشرية على الغلاف الجوي للأرض إلى حدٍ

(١) ينظر: النقد البيئي - مفاهيم وتطبيقات: ١٠٤.

كبير^(١)، أي أن علاقة الإنسان علاقة وطيدة بيئته لا يمكن فصلها، فهي قائمة على مبدأ التفاعل والتأثير التي تنعكس بدورها على سلوكياته وثقافته في المجتمع، ولكن بمرور الزمن شهدت هذه العلاقة نوعاً من التفكك بعد أن كانت مثلاً للألفة والتوحد نظراً لانتشار الأزمات والمشاكل البيئية التي أصابت النظام باختلال التوازن في الأنظمة البيئية، فظهر النقد البيئي من أجل ترسيخ وتعميق الوعي البيئي بحجم تلك المخاطر، فكان الأدب أبرز الوسائل للكشف عن هذه المشكلات.

وتعددت آراء كثيرة حول أسباب ظهور (النقد البيئي)، وأن أول الإشارات التي مهدت لظهور هذا النقد - على رأي أغلب الباحثين والدارسين - تعود إلى عقد الستينيات، في أعمال الكاتبة وعالمة البايولوجيا (راشيل كارسون*)، وعنوانها (الربيع الصامت)، الصادرة عام (١٩٦٢)؛ إذ تُعد بداية المذهب البيئي الحديث، الذي يمثل المنظومة الرئيسة لعلم البيئة، التي تدعو إلى الاهتمام بالبيئة الطبيعية والعناية بها والعودة إليها^(٢).

وتشير جميع الدراسات إلى الظهور الأول لمصطلح (النقد البيئي) بشكل خاص في الثقافة الأنجلوسكسونية في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وقد

(١) النقد البيئي بين التنظير والتطبيق : ٦١.

* راشيل كارسون: (١٩٠٧-١٩٦٤) كاتبة وعالمة احياء أمريكية. ينظر: النسوية البيئية: ٣٩

(٢) ينظر: النقد البيئي مقدمات -مقاربات-تطبيقات: ١٠.

رافق هذا النقد مرحلة (ما بعد الحداثة)، ويُعد (وليام روكيرت) أول ناقد أمريكي قام بتوظيف المصطلح عام (١٩٧٨م) في مقال له بعنوان (الأدب وعلم البيئة تجربة في النقد البيئي)، وقد تطرق إلى ضرورة تطبيق مفاهيم علم البيئة في دراسة الأدب^(١)، وقد عرّف مصطلحات بيئية أخرى، مثل: الدراسات الثقافية الخضراء، والبوطيقا البيئية، والشعرية البيئية^(٢)، كما استعمل مصطلح (النقد البيئي) في الدراسات الأمريكية منذ أواخر الثمانينات، وأما في المملكة المتحدة فقد اندرج تحت مُسمى الدراسات الخضراء^(٣)، وفي عام (١٩٩٢م) بدأ (النقد البيئي) بوصفه حركة أدبية منفصلة؛ وذلك بتأسيس أول منظمة لِنقاد البيئة التي عرفت باسم (جمعية دراسة الأدب والبيئة)، كما أصدرت هذه الجمعية مجلة دورية نصف سنوية بعنوان (ASIE News) في عام (١٩٩٣م) ، وهي مجلة متعددة الاختصاصات، تعنى بدراسة أبحاث البيئة والأدب، وقد مثّلت (أسيل) النمو السريع للدراسات البيئية والنقد الأيكولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم، ولذلك عكست الازدياد المستمر في إنتاج الأدب البيئي والحضور المتنامي له على مدى العقود الماضية^(٤).

(١) ينظر: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي:

www.shaqhaf.com : ٢٩٨

(٢) ينظر: النقد البيئي أو الأيكولوجي في الأدب والفن: ٤٤.

(٣) النقد البيئي - مفاهيم وتطبيقات: ١٣.

(٤) النقد البيئي مقدمات - مقاربات - تطبيقات: ٤٨.

ويُعرف هذا النقد بمفاهيم ومصطلحات كثيرة، منها: (شعرية البيئة
(Ecopoetis)، (الثقافة الخضراء Green Culture)، (النقد الأدبي البيئي
(Environmental Criticism)، وتُعزى كثرة هذه المسميات - على رأي (كرين
وارين) - إلى انفتاح وتشعب الاتجاهات النقدية في النقد الأدبي البيئي وتنوعها
وتعددتها، فضلاً عن اختلاف وجهات نظر النقاد وطريقة تناولهم للنصوص البيئية،
فبعض النقاد يرى أن دور النقد في طرح المشاكل التي تعرضت لها البيئة وهددت
وجود الإنسان والكائنات الأخرى على سطح الأرض، ومن ثم نشر وترسيخ الوعي
البيئي ورفع مستواه لدى الإنسان، بينما يرى آخرون أن هذا التعدد والتنوع هو رد فعل
على النظريات النقدية التي سيطرت على الساحة النقدية في عقدي الثمانينيات
والتسعينيات^(١)، لذلك نجد أن النقد البيئي ليس حكراً على اتجاه واحد، بل هو أكثر
شمولية؛ لأنه "نهج متعدد التخصصات لدراسة الأدب يركز على الاهتمامات
البيئية"^(٢)، فهو يتداخل مع كثير من التخصصات غير الأدبية ، مثل: الدراسات
الثقافية الخضراء، والكتابات المعنية بالطبيعة ، والأنثروبولوجيا، والفلسفة البيئية،

(١) ينظر: النقد الأدبي البيئي - النظرية والتطبيق، محمد أبو الفضل بدران، كلية الآداب جامعة جنوب الوادي بقنا، ضمن كتاب سلسلة أعلام اللغة والأدب المعاصرين، اعداد: محمد عبد الرحمن الريحاني: ١٨٠.

(٢) الرواية والمكان دراسة نقدية ايكولوجية، محمد عبد الله سرحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١، القاهرة، ٢٠٢٣م: ١٤.

والإيكولوجيا العميقة، والنسوية الأيكولوجية، وعلم الأحياء، وعلم النفس، والتاريخ، والجغرافية، وكذلك قد أثبت النقد البيئي امكانياته وتداخله مع التخصصات غير الأدبية، بما يتيح فهمًا كبيرًا للآزمات البيئية التي تعرضت لها البشرية^(١)، ومن هذا المنطلق نجد أن (النقد البيئي) هو أحد الاتجاهات النقدية التي جاءت في مرحلة ما بعد الحداثة في الدراسات الثقافية المعاصرة، لذلك نجد تعدد مفهوم النقد وتنوّعه من لدن النقاد والباحثين، ويُعد (لورانس بويل) من أهم رواد النقد البيئي، إذ يُعرّف هذا المصطلح في كتابه (الخيال البيئي) بأنه "دراسة العلاقة بين الأدب والطبيعة التي تسودها روح الممارسة البيئية"^(٢) وأما (تشيريل غلوتفيلتي*) رائدة النقد الأيكولوجي فتعرف (النقد البيئي) حسب رؤيتها في كتاب (دليل قارئ النقد البيئي) بأنه "دراسة العلاقة بين الأدب والبيئة المادية"^(٣)، وذلك للكشف عن مدى تأثير النصوص الأدبية ودرجة تفاعلها مع عوالم الطبيعة. أمّا (بيبامارلاند) فتعرّفه بأنه "مصطلح شامل لمجموعة من المقاربات النقدية التي تتحرى من خلال الأدب، لتمثيل العلاقة بين البشر وغير البشر، من منظور القلق حول التأثير المُدمّر للبشرية على الغلاف

(١) ينظر: روايات صبحي فحماوي -دراسة في ضوء النقد البيئي، نعمان ثابت الهيتي، كلية الآداب، جامعة الأنبار، ٢٠٢٣م: ٣٠. (أطروحة دكتوراه)

(٢) النقد البيئي مقدمات -مقاربات- تطبيقات: ٧٠.

* تشيريل غلوتفيلتي (Cheryll Glotfelty): هي باحثة وأكاديمية أمريكية، تُعد رائدة مؤسسة

لمجال "النقد البيئي"، ينظر : النسوية البيئية : ١٤ .

(٣) النقد البيئي بين التنظير والتطبيق: ١٣.

الجوي للأرض إلى حدٍ كبير"^(١)، ويعكس هذا الطرح مدى التنوع والتفاعل بين الكائنات وتأثيرها في الإنسان وبالعكس، لذا نجد أن (النقد البيئي) أكثر خصوصية وشمولية في آنٍ واحد، فهو يتجاوز حدود الأدب إلى الأشكال الثقافية المتنوعة. ليبرز أهمية البيئة في تلك النصوص، وعلى الرغم من هذا التعدد والتنوع في الدراسات، يظل النص الأدبي هو المقياس الذي نستند إليه.

ومن أهم منظريه أيضاً (جوناثان باث) في كتابه (البيئة الرومانتيكية)، ورئيس جمعية (الأدب والبيئة) البريطانية (جرج جيرارد) في دراساته: (النقد البيئي) و(الابداع والبيئة)، و(غياب النباتات الأزلية)^(٢) فكان لهم الدور الأكبر في تطوير النقد البيئي في مختلف كتاباتهم ومقالاتهم التي تناولت طبيعة العلاقات بين البيئة والأدب، كما أشارت (تشريل غلوتفلي) في كتابها (دليل قارئ النقد البيئي) عام (١٩٩٦م) أن "إحياء الوعي هو أهم مهمة للنقد الأدبي البيئي، لأنه يشجع الآخرين على أن يفكروا بجدية في علاقة البشر بالطبيعة"^(٣)، وترى (تشريل) أنّ المهمة الجوهرية في إحياء الوعي البيئي من خلال تقديمه للفهم الشامل والواسع في طريقة تعامل الإنسان ببيئته أو محيطه الذي يعيش فيه، لذلك نجد أن (باتريك دي مورفي)، كان محقّقاً عندما

(١) المصدر نفسه: ٦١.

(٢) الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان الى الايكولوجيا الجذرية، مايكل زيمرمان، ترجمة: معين روميه، علم المعرفة، الكويت، (د.ط): ٣٩١/١.

(٣) النقد البيئي بين التنظير والتطبيق: ٢٠٠.

قال: "إن النقد البيئي هو نقد أدبي ينشأ من الاهتمام بالتفاعل والترابط بين البشر وغير البشر، وجميع الكائنات الحية على هذه الأرض لها قيمتها الجوهرية، ولا يوجد سيد أو مُسود على سطح الأرض"^(١)، وبحسب رؤية (دي مورفي) إن النقد البيئي يركز على أهمية ترسيخ الوعي الذي يحذ من وعي الإنسان ب (الأنثى)، وهذه الرؤية تعطي حقوقاً متساوية لجميع الكائنات حفاظاً على النظام البيئي المتوازن. "فالأزمة البيئية الحالية هي نتاج مباشر للثقافة البشرية. فهي لم تنتج عن كيفية عمل النظام البيئي؛ وإنما عن الكيفية التي يعمل بها نظامنا الأخلاقي؛ والكيفية التي نتصرف فيها مع الطبيعة الأم"^(٢) أي أن تجاوز الأزمة يحتاج إلى قدر كبير من الدقة والفهم لمدى تأثيرنا على الطبيعة.

وبما أن البيئة قديمة ومترسخة بالتفكر الإنساني سواء أكانت في الدراسات العربية أو الغربية، لذلك نجد أن (Ecology)، التي هي اختصار لعلم البيئة الذي يهتم بالعلاقات بين الكائنات الحية في بيئتها الطبيعية، فضلاً عن علاقتها بالمحيط الذي تعيش فيه، ومن هذا المنطلق نجد أن (النقد البيئي) يُعنى بالعلاقة بين الأدب والبيئة وكيفية انعكاس تلك العلاقات في الأدب^(٣). ومن المعروف أن الشاعر ابن

(١) المصدر نفسه: ١٤.

(٢) المصدر نفسه و الصفحة نفسها

(٣) ينظر: النقد البيئي مقدمات -مقاربات-تطبيقات: ٩١.

بيئته ومتأثر بعواملها المحيطة به . وعلى هذا الأساس ، ننظر إلى النقد البيئي بوصفه منهجاً جديداً في التحليل والتأويل والقراءة ، الذي يركز على حضور البيئة في النص الأدبي "فإن ما يميز النقد البيئي هو تفكيك النص وتحليله بهدف الوصول إلى حل للزمة البيئية وإعادة النظر في القيم الأخلاقية البيئية"^(١)، أي دراسة موقف الإنسان وأخلاقه والتزامه نحو العالم الطبيعي، واعتبار موقف البيئة جزءاً من التوجه الأخلاقي للنص. لذلك نجد أن حضور الطبيعة في أي نص أدبي دون الوعي به وأهمية المحافظة عليه يُخرج النص الأدبي من إطار النص البيئي. "فالتحليل البيئي يركز على الأنسنة التي نقلت البيئة من عوامل مادية إلى سمو روحاني يرتبط بالبيئة كارتباطه بأمه"^(٢)، أي أن عملية التحليل النقدي للنص البيئي لا تقف عند حدّ الوصف، أو ما يسمى بالتحليل السطحي للنص، أو الوقوف على المظاهر الجمالية البارزة فقط، بل يسعى إلى تحليل جميع الجوانب الأدبية والثقافية، وتفكيك العلاقات بين الإنسان وبيئته، والهدف من الأدب البيئي والمنهج النقدي البيئي هو إعادة النظر في تصور الإنسان للطبيعة والبيئة والتفاعلات التي تحصل معها، في اتجاه من التصالح المنعقد على أساس أن المبدع الذي يتجاوز إبداعه الذاتي إلى إبداع عام

(١) النقد البيئي ونظرية الأدب-دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة، عبير جودت عبد الحافظ،

دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٢٣م: ٢٣.

(٢) المصدر نفسه : ١٣٠.

محققاً في البيئة إبداعه لنصه^(١)، والهدف الرئيس هو رفع الوعي البيئي تجاه مخاطر البيئة من خلال الصور البلاغية التي تمثل الطبيعة.

وعندما نتحدث عن الجهود العربية في مجال النقد البيئي، نرى أنها ما زالت محدودة في الدراسات النقدية، ويُعد (محمد أبو الفضل بدران) أول كاتب عربي يصدر دراسة في النقد البيئي وهي: (النقد الأدبي البيئي النظرية والتطبيق) في عام (٢٠١٠م)، وكتب بحثاً آخر بعنوان: (أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية)، وشارك فيه في المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، فيُعرّف النقد البيئي بأنه "دراسة علاقة ما بين الأدب والبيئة الطبيعية، بحيث تلمح الوعي البيئي والخيال البيئي في النص"^(٢)، وأما الأكاديمي الجزائري (حفناوي بعلي) فقد وظف مصطلح (النقد الأيكولوجي) في كتابه (مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن) في عام (٢٠٠٧م)، بوصفه مصطلح النقد الايكولوجي جزءاً من أجزاء النقد الثقافي، لفهم الترابط بين البيئة والخطاب الثقافي^(٣)، وأما (جميل حمداوي) فيُعرّف النقد البيئي بأنه

(١) ينظر: النقد الأدبي (قراءة جديدة في الشعر القديم)، فاطمة الزهراء محمد فوزي، دار الأدهم للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠١٩م: ٣٠.

(٢) أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية ، محمد أبو الفضل بدران ، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية : ١٩٦ .

(٣) ينظر: مدخل نظرية النقد الثقافي المقارن، حفناوي بعلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م: ٣٣٣.

"ذلك النقد الذي يهتم بدراسة النصوص والخطابات الأدبية والإبداعية، في ضوء نظرات بيئة ايكولوجية متنوعة ومختلفة، تبحث عن مكانة البيئة أو الطبيعية أو المكان أو الأرض أو الحياة، داخل الإبداع الأدبي والفني بالانتظير والتحليل والقراءة والفحص، بغية رصد رؤى الكُتّاب والمبدعين والمثقفين تجاه البيئة؛ ولاسيما بعد ظهور الحركات والجمعيات والمنظمات والنوادي الداعية إلى الاهتمام بالبيئة بعد تقاوم ظاهرة التلوث"^(١) لذلك نجد أن تعريف (جميل حمداوي) يرى أن مصطلح النقد البيئي هو "الأكثر شمولاً لمقتضيات النقد البيئي"^(٢)؛ لأنه يعتمد على نظريات ومناهج متداخلة متعددة الاختصاصات كالبيئة والطبيعة والحياة والمكان، لأجل دعم وترسيخ الوعي البيئي، وحماية البيئة، والحفاظ على توازن الأنظمة البيئية.

ونستنتج مما سبق أن (النقد البيئي) هو حقل جديد وفرع من فروع النقد الأدبي، ظهر في مرحلة ما بعد الحداثة، يجمع المعارف الإنسانية والعلمية، يتسم بالنزعة الكونية التي تنشأ نتيجة تفاعل الأدب البيئي مع النقد، والدراسات الاجتماعية والثقافية، ويتناول النصوص من منظور بيئي، ويرمي إلى الكشف عن علاقة

(١) النقد البيئي الايكولوجي في الأدب والفن: ٤٤-٤٥.

(٢) الأرض والانسان في شعر بدر شاكر السياب -دراسة في النقد البيئي، شاكر جواد الموسوي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢٤م: ٢. (رسالة ماجستير)

الإنسان بالبيئة، وتأسيس حضارة جديدة أساسها الانسجام والتوافق والتناغم بين الإنسان والطبيعة، والمحافظة عليها من التخريب والاستنزاف والهيمنة البشرية.

وتعد الشاعرة (لميعة عباس عمارة) من أبرز الاصوات الشعرية النسوية في الشعر العربي المعاصر، حيث تميزت تجربتها الشعرية بعمق الرؤى وتنوعها وتعددتها، وأنّ تفاعلها مع البيئة شكّل سبقاً نقدياً أصيلاً، كما أظهرت نصوصها الشعرية التي تميزت برهافة الحسّ الفائقة، التي استطاعت من خلالها أن تصوغ وعياً بيئياً، تجاوز المفهوم التقليدي للبيئة. ومن خلال علاقة الشاعرة ببيئتها، نجد كثيراً من التصورات المبكرة لهذه البيئة التي أعادت تشكيل الذات واللغة معاً، وأن دراسة هذا الحضور المبكر في شعر (عمارة)، هو ما نسعى إليه في فصول الرسالة، لنبين أنّ (عمارة) لم تكن شاعرة محلية فقط، بل أنّها سبقت معاصريها من الشعراء في قضايا ما بعد الحداثة.

ثالثاً: حياة الشاعرة لميعة عباس عمارة

لميعة عباس عمارة، شاعرة حديثة، اقترن اسمها بشعر الحداثة في العراق. ولدت في بغداد تعود جذور عائلتها الى مدينة العمارة جنوب العراق ومنها أخذت لقبها . نشأت في عائلة مندائية عريقة في منطقة الكريما ، وهي منطقة تقع في لبّ المنطقة القديمة من بغداد ، وتحديداً بين جسر الأحرار والسفارة البريطانية على ضفة نهر دجلة في جانب الكرخ في (١٣/١١/١٩٢٩)، وعمارة اسم جدها وكانت أول مولود لأبٍ وحيد أبويه، وأم لم تتجاوز الخامسة عشرة^(١).

أكملت الصف الأول الابتدائي في بغداد بمدرسة (الشوكة)، ثم انتقلت الأسرة إلى العمارة، لتتأ في بيت جدها وبين عماتها بعد أن تركها والدها بحثاً عن الرزق والمجد، وكان يشتغل في هندسة الطائرات في معمل (فروود) بالولايات المتحدة في مدينة (مشيغن)، ويتمتع بشخصية قوية، وكان فناناً طموحاً وذكياً مثل العراق في عدة معارض، ونال كثيراً من الأوسمة والجوائز، فضلاً عن نشاطاته السياسية واهتمامه بالقضية الفلسطينية، فنشر الكثير من الخطب وقام بمقابلات عدّة لكبار

(١) ينظر: ديوان الزاوية الخالية، لميعة عباس عمارة، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٥٨م: ١١٧.

وينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، عثمان سعدي، المكتبة الوطنية ببغداد، ١٩٨١م:

المسؤولين في أميركا من وجهة نظره العربية ضد الصهيونية^(١)، وعادت (الشاعرة) إلى بغداد لإتمام دراستها الثانوية وحصلت على شهادة الخامس بتفوق، وأبدت نشاطاً باهراً، وقدمت طلباً لالتهاق بالبعثة العلمية، وفي ذلك الظرف توفي والدها في ايلول سنة (١٩٤٦م) بعد أشهر من عودته وهو في عمر الأربعين.

كما فقدت أختها في سنة (١٩٥٨م)، وهو في السادس والعشرين، التحقت (الشاعرة) بدار المعلمين العالية سنة (١٩٥٠م)، وبعد تخرجها ، عُينت مُدرّسةً في دار المعلمات ببغداد^(٢)، وهي ابنة خال الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد، الذي كتب عنها في مذكراته، فقال :

وَيَا لَمَعِيَّةُ، يَا أَزْهَى بِيَادِرِهَا

يَا زَرْعَ بَيْتِي، وَيَا قَنْدِيلَ جِيرَانِي

يَا أَطْوَلَ النَّخْلِ فِي مَيْسَانَ أَجْمَعِهَا

وَيَا أَعَزَّ الْحَلَا فِي تَمَرِ مَيْسَانَ!

يَا بَنْتَ خَالِي مَا أَبْقَى الزَّمَانُ لَنَا

(١) ينظر: شعراء العراق في القرن العشرين، يوسف عز الدين، مطبعة أسعد، ط١، بغداد،

١٩٦٩م: ٣٩٧.

(٢) ينظر: شعراء العراق في القرن العشرين: ٣٩٧.

مما حَدَوْنَاهُ من رَكْبٍ وَأَظْعَانٍ؟

تُرى أَنبَأَكَ العَرَّافُ ليلتها

أَنَا سنصبحُ في الستين سيَّانٍ؟

أنا هنا بين أهلي شبهُ معتربٍ

وانتِ فردٌ بلا أهلٍ وأوطانٍ!^(١)

تزوجت (عمارة) بعد سنة واحدة من تخرجها، من قريبها (مبارك)، وكان مهندساً ويُدرس في كلية الحقوق، رُزقت بأربعة أبناء: وهم البكر(زكي) سنة (١٩٥٢م)، ومن ثم رُزقت بالتوأمين (مازن وطيبة) سنة (١٩٥٤م)، وأخيراً رُزقت بزيدون سنة (١٩٥٥م)^(٢)، وتُعد (عمارة) زوجة مخلصة مقتصدة أنيقة، وأماً وربة بيت من الدرجة الأولى^(٣)، "لا تتكلف غرابة الشعراء... تحب الأسفار، ودراسة الناس، وزارت أقطاراً عديدة وكانت وجهاً عراقياً مرموقاً"^(٤).

(١) لميعة عباس عمارة-نصوص-عبد الرزاق عبد الواحد (ذكرياتي): ٧٦.

(٢) ينظر: شعراء العراق في القرن العشرين: ٣٩٨. وينظر: ديوان الزاوية الخالية: ١١٨.

(٣) ينظر: مجلة الإذاعة والتلفزيون، العدد ٩٦. السنة الخامسة، الثلاثاء، ٢٦-شباط-١٩٧٤.

(٤) شعراء العراق في القرن العشرين: ٣٩٧.

نظمت الشعر بالعامية وهي صغيرة ، وكان أكثره هجاءً، وأول شعرها الفصيح في الصف السادس الابتدائي، ولم تنتشر قصيدة إلا في الرابعة عشر من عمرها، وكانت ترسل قصائدها إلى الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي، الذي كان صديقاً لوالدها، ونشرت جريدة (السمير) أول قصيدة لها سنة (١٩٤٤م) في نيويورك^(١)، وقد عززها إيليا أبو ماضي بنقد وتعليق طويل ولطيف مع احتلالها الصفحة الأولى من المجلة، إذ يقول: "...أيتها الشاعرة الصغيرة ... فإنَّ وجود فتاة في مثل عمرك لها هذه النزعات الجميلة في الحياة لا يدحض على أن العراق يمشي بفتياته إلى عصر جديد سعيد"^(٢)، وفعلاً مرَّ العراق بنهضة شعرية في منتصف القرن الماضي وكانت لميعة من روادها.

وكانت (عمارة)، عضوة الهيئة الادارية لاتحاد الأدباء العراقيين في بغداد (١٩٦٠ - ١٩٦٣م)^(٣)، وكذلك عضوة الهيئة الادارية للمجمع السرياني في بغداد، ونائب الممثل الدائم للعراق في منظمة اليونسكو في باريس (١٩٧٣-١٩٧٥م)، ومديرة الثقافة والفنون/ الجامعة التكنولوجية/ بغداد، عام (١٩٧٤م)، مُنحت درجة

(١) ينظر: ديوان الزاوية الخالية: ١١٨.

(٢) ادب المرأة العراقية: ١١٦.

(٣) ينظر: شعراء العراق في القرن العشرين: ٣٩٨.

فارس من دولة لبنان^(١)، وعندما درست الشاعرة في دار المعلمين العالية (كلية التربية الآن) اجتمعت مع عدد من الشعراء مثل: بدر شاكر السيّاب، عبد الوهاب البياتي، سلمان العيسى، عبد الرزاق عبد الواحد، وغيرهم، وقد كان التنافس كبيراً بينهم، ونتج عنه ولادة الشعر الحر، الذي لم تكثرث الشاعرة كثيراً بمسألة الريادة فيه، وممن أشار إليها المستعرب الفرنسي البروفسور (جاك بيرك) في دراسة صدرت في فرنسا عن الشاعرات العربيات، فذكرها ونازك الملائكة، وفدوى طوقان، فقال: لميعة عباس عمارة شاعرة الرقة والجمال والأنوثة التي لا تنتهي^(٢).

كتبت (عمارة) الشعر الفصيح فأجادت فيه، كما كتبت الشعر العامي وأجادت فيه أيضاً، وأحبت الشاعرة لغتها العربية وتخصصت بها ومارست تدريسها، فتمسكت بها أكثر دون أن تتكرر لهجتها الدارجة، فوجدت نفسها في الاثنين معاً. و هي ترى في اللغة العربية الفصيحة وسيلة للتواصل، بينما تجد في لهجتها العامية ما يقربها من جمهورها المحلي الذي استعذب قصائدها، فتحولت بعضها إلى أغاني يرددها الناس^(٣).

(١) ينظر: لميعة عباس عمارة -شاعرة الرقة والجمال والأنوثة، مقال، ملاحق المرواة، عالية كريم ٢٠١٢/١١/١٤م: ٦: ٢١م.

(٢) ينظر: لميعة عباس عمارة -شاعرة الرقة والجمال والأنوثة: ٦: ٢١م.

(٣) ينظر: الشاعرة لميعة عباس عمارة، حنان عبيد عليوي فياض، جامعة كربلاء، كلية طب الاسنان، ٢٠٢٠م: ٢

تميز شعرها بحُب الطبيعة والحياة والحرية والرومانسية والجرأة، لتأثرها بأدب الشاعر إيليا أبو ماضي، وكانت أول باكورة التحرر لها هي المقالة الأدبية التي كتبتها في مجلة (عالم الغد) البغدادية وعنوانها (أنا وعباءتي) وكان لهذه المقالة أثر كبير، فقد أحدثت دويًا في محافل الرجال ومجامع النساء^(١)، كما كتبت مقالات عدة منها (إلى ابنتي التي لن تولد)، (سفر ميمون)، (دعوتان)^(٢)، ولشعرها "جرس لطيف مؤنس تملأ الأذان أنغام القيثارة وآهات الأعواد، وترانيم الطير، وشدو البلابل"^(٣)، فضلاً عن عذوبة إلقائها، مما جعلها تشغل مكانة في خارطة الشعر العربي بوصفها إحدى أهم الشخصيات الشعرية النسوية في الأدب العربي المعاصر، وتُعد تجربتها من التجارب النسوية الرائدة في الشعر العراقي الحديث، في الخمسينيات والستينيات وهي تجربة تجاوز بالتجليل إذا جاز التعبير ظواهر شعرية مهمة مثل بدر شاكر السياب ونازك الملائكة، وغيرهما^(٤).

(١) ينظر: ادب المرأة العراقية: ١١٧

(٢) ينظر: ادب المرأة العراقية: ١١٧.

(٣) شاعرات العراق المعاصرات، سلمان هادي الطعمة، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ١٩٥٥م: ٤٠.

(٤) ينظر: لميعة عباس عمارة (الانسانة-القصيدة) قراءات -شهادات مختارة، هدية مجلة الأديب العراقي، العدد (٢٩)، لميعة عباس عمارة وأنساقها الثقافية، علي سعدون: ١٧٨.

ويقول الناقد العراقي جاسم عاصي: إنّ شعرها يتضمن رؤى متنوعة للواقع الطبقي والتأريخ السياسي والتعمق في أوجاع الشعب كأقرانها، فكان لها صوتها المتميز في الشعر الفصيح أو العامي، بل يعتقد أن أفكارها وثقافتها التي اكتسبتها من تاريخ الحراك الوطني، وبخاصة الحراك اليساري، ولّد عندها حسّاً طبقيّاً سبق الحس السياسي.

وعن غربتها وتأثيرها على طريقة كتاباتها الشعرية، قال عاصي إنه بسبب النفي السياسي المبكر زادت من توثيق صلتها بالشعر العالمي والعربي ويختم قائلاً إنّها أيقونة الشعر العراقي والعربي على غرار نازك الملائكة وفدوى طوقان^(١).

أحبها السيّاب وأثارت فيه شعوراً قوياً غامضاً تجاهها، ولم يكن ذلك الشعور القوي الغامض تجاهها إلا حبّاً حقيقياً؛ فهي المنتظرة التي كان يهفو إليها في شعره. أما لميعة فقد شعرت بالانجذاب إلى بدر وأحبت شعره، وكانت تدعوه "بالنبي الوديع" وتقول (لميعة) إن بدر كان بالنسبة لي الصديق المنتظر والرجل الذي خطت كل حياتي لأن ألتقي به لإنسانيته ومواهبه وذكائه ولاتجاهه السياسي ، وأنه ذا (خلق بصري)^(٢)، ولكن الظروف حكمت هذا الحب ألا وهي الصحة والدين، عذران بل

(١) ينظر: مقال منشور، الشاعرة لميعة عباس عمارة أيقونة الشعر العراقي الحديث :

[https://share google/w6wl3tgIfvbgpGsa](https://share.google/w6wl3tgIfvbgpGsa)

(٢) مجلة ألف باء العدد (٢٨٠) السنة السادسة (٢٣ كانون الثاني) ١٩٧٤ م.

حقيقتان حدّدت الكثير من تفاصيل حياتهما في مجتمع تقليدي ويعلم أثره الفعّال في التفرقة بين الناس فيما يتعلق بأمور الزواج المختلط، لكنه أنحى باللائمة على الدين نفسه وعلى مَنْ ينسج العادات الاجتماعية الدينية^(١)، تلك هي قصة هذا الحب كما يرويها الشعر، ولهذا خلّدها في ديوان شعر كامل هو ديوان "أساطير" ويذكر محبوبته الشاعرة^(٢).

وتلك؟ وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها

شربت الشعر من أحداقها ونعست في افياء

تنثرها قصائدها عليّ، فكل ماضيها

وكل شبابها كان انتظاراً لي على شط يهوّم فوقه القمر

وتنعس في حماه الطير رش نعاسها المطرُ

وهكذا لخص بدر هذا الصراع الطويل بينه وبين أحلامه بصراحة تامة

(١) ينظر: بدر شاكر السياب حياته وشعره، عيسى بلاطة: دار النهار للنشر، بيروت، لبنان ١٩٧١م: ٦.

(٢) ينظر: بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، احسان عباس، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط٦، بيروت، ١٩٩٢م: ٨٥.

أما لميعة فقد أهدته كثيراً من قصائدها في حياته وبعد مماته ، وآخر ما أهدت له قصيدة أسمتها "لجنة التميز" في بداية التسعينيات وقرأتها في جمعية التميز العنصري العربية قالت فيها:

يومَ أحببتك غمضتُ عيوني

لم تكن تعرف ديني

وعرفنا وافترقنا دمعين

عاشقاً مَتَّ ولم تلمس حدودَ الأربعين

وأنا واصلتُ أعوامي

أو واصلتُ تسديدَ ديوني

ودرسْتُ الدين من بوذا وزرادشت وإبراهيم

صلَّيتُ مع الرهبان

صمتُ الصيفَ في رمضان

وغمّدت على جبين أبي في النهر. ^(١)

^(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٥٢٣.

وتميّز شعرها بحب الطبيعة والحياة المتوهجة، وقد انتهت مسيرة هذه الشاعرة في إحدى مستشفيات الولايات المتحدة الأمريكية، بعيدة عن أرض الوطن في يوم (الجمعة ١٨ حزيران ٢٠٢١م) عن عمر ناهز (٩٢) عاماً تاركة خلفها كثيراً من الإنجازات والأعمال الأدبية.

أما دواوينها الشعرية بحسب سنوات صدورها فهي كالآتي:

١. الزاوية الخالية (١٩٥٩م)

٢. عودة الربيع (١٩٦٢م)

٣. اغاني عشتار (١٩٦٩م)

٤. عراقية (١٩٧١م)

٥. يسمونه الحب (١٩٧٢م)

٦. لو انبأني العُراف (١٩٨٠م)

٧. البعد الاخير (١٩٨٨م).

٨. قبل الـ ٢٠٠٠ (٢٠٠١)

٩. انا بدوي دمي (٢٠١١م).

وكشفت سيرة (لميعة عباس عمارة) عن تجربة إنسانية وإبداعية ثرية، أسهمت في تشكيل شخصيتها الشعرية ورؤيتها للحياة والطبيعة، وقد استطاعت بما تمتلكه من

موهبة وثقافة وحساسية فنية أن تشغل مكانة مهمة في الشعر العربي المعاصر تاركة إرثاً شعرياً مميزاً ما زال يحظى باهتمام الدارسين والناقلين .

وبعد تحديد المفاهيم الأساسية للأدب البيئي والنقد البيئي وسياق التجربة الشعرية، تتجه الدراسة إلى تحليل الأثر البيئي في شعر (لميعة عباس عمارة) عبر ثلاثة فصول رئيسة هي : خصوصية البيئة العراقية، وأثر البيئة الثقافية، ثم الاغتراب البيئي بوصفه امتداداً لتحولات العلاقة بين الذات والبيئة.

الفصل الأول

خصوصية البيئة العراقية

المبحث الأول:

الماء و تجلياته في شعر لميعة عباس

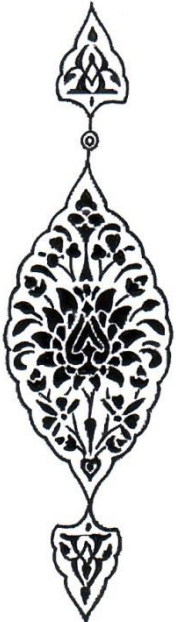
عمارة

ملامح حضور الماء في الشعر العربي

قديمًا وحديثًا

المبحث الثاني:

الطبيعة في شعر لميعة عباس عمارة



الفصل الأول

خصوصية البيئة العراقية

المبحث الأول

الماء وتجلياته في شعر لميعة عباس عمارة

ملاحح حضور الماء في الشعر العربي قديماً و حديثاً

يُعد الماء من أهم رموز الحياة وخصوصاً في ذهن الإنسان منذ بدء الخليقة ووجودها على الأرض، فهو مادة الحياة التي خُلِقَ منه كل شيء حيّ، وهو أبو الحياة، وقد اقترن الماء بالخصب الذي تعدّه العرب موسماً للفرح والرزق، ويمكن القول: إنّ إفراط العرب في حب الماء إلى درجة التقديس وذكره في أشعارهم يُعدّ نوعاً من التعويض نظراً إلى ندرته في شبه الجزيرة العربية^(١)، فأصل الماء مأخوذ من (موه) فأبدلت الهاء همزةً في (الماء) من الهاء^(٢)، بدليل قوله في الجمع: أمواه، ومياه، وفي التصغير مويه^(٣)، أما في الاصطلاح فهو "جسم رقيق مائع به حياة كل نام"^(٤). ويمكن

(١) ينظر: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الأله الصائغ، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت): ١٤٦.

(٢) ينظر: معجم العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م: مادة (ماء)

(٣) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، دار احياء التراث العربي، ط١: مادة(موه).

القول: إنّ الماء هو جوهر الحياة الذي اتفقت عليه جميع العلوم والآداب في مختلف العصور.

فإن تقديس المياه عند العرب قبل الإسلام يُعد راسباً اجتماعياً، ودينياً عالقاً في ذاكرتهم؛ لذلك عُدَّ من المعتقدات ذات الجذور الممتدة في حضارات الشرق الأقصى القديم، حيث اقترنت المياه بالآلهة؛ مما يعطينا تصوراً واضحاً عن أهميتها في حياة الشعوب وقديسيها^(١). والطبيعة في العصر الجاهلي كانت مصدراً للإلهام الشعري، إذ شكلت مجالاً خصباً لجميع الموضوعات الشعرية لما تحمله من مشاهد تحرك المشاعر وأضحت بذلك من أهم مصادر الإبداع الفني لدى الشعراء الجاهليين^(٢)، ولم يخلُ الشعر الجاهلي من مفردات (الماء)، ولا سيما المعلقة: بصيغتها الأصلية أو بصيغ معادلة لها، وقد يظهر على شكل مطر أو خصب أو نهر، ويمكن القول: إنّ الماء شدَّ العربيّ إليه، وربط وجوده به، فاستمد منه آلامه وصوره وتعبيره، فكل شيء قائم به ، ولا شيء دونه ، فيتجاوز الخوف، وواجه الأعداء فغزا من أجله ومدح به، وافتخر على من لا

(١) الكليات، أبو البقاء، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت - لبنان، ١٩٩٨م: ٨٧٣.

(٢) ينظر: المقدّس عند العرب قبل الإسلام ، سعد عبود سمّار، طباعة ونشر وتوزيع تموز وديموزي، ط١، دمشق، ٢٠١٩م: ٦٦.

(٣) ينظر: رمزية الماء الوجودية في الشعر الجاهلي - معلقة أمرؤ القيس أنموذجاً - دراسة سيميائية، خيره راي و ميلود عاشور، اشراف: بلقاسم خروبي، جامعة ابن خلدون، الجزائر، ٢٠١٩م: ٢٢. (رسالة ماجستير)

يملكونه^(١). وهذا يؤكد أن الماء أساس الوجود، وعماد الحضارات، ومصدر الإلهام الذي لا ينضب في الفكر الإنساني.

وتعددت مفردات (الماء) لدى الشعراء الجاهليين، دلالة على اهتمامهم بهذا العنصر الفاعل الذي يُحرّك خيالهم الشعري ويشاركهم همومهم، ولم يكن اختيارهم علامة (الماء) اختياراً عفويّاً؛ وإنّما كان مقصوداً في ذهن الشاعر الجاهلي^(٢)؛ لأنه شرط أساس الحياة؛ إذ كانوا يرونه في أبهى الأشياء وأكثرها حركة فكثرت استعماله في أشعارهم وقد وجدوا بينه وبين مفردات حياتهم تقاطعات دلالية واضحة^(٣).

وعندما نتأمل الشعر الجاهلي نجده نصّاً شعريّاً بيئياً؛ إذ تُشكّل بيئة الطلل مرتكزاً رئيساً في الشعر العربي، وهي نقطة انطلاق الشاعر لوصف صراع الإنسان مع الطبيعة القاسية^(٤).

(١) ينظر: الأبعاد الدلالية لتشاكل الماء في شعر ما قبل الإسلام، مصطفى منصوري، المجلة التعليمية، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعبّاس، العدد (١)، المجلد (١٥)، الجزائر، ٢٠٢٥م: ٣٢٩.

(٢) ينظر: رمزية الماء الوجودية في الشعر الجاهلي: ٢٢.

(٣) ينظر: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: ١٤٨.

(٤) ينظر: النقد البيئي - الرؤية والتطبيق - دراسة تطبيقية لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف الجزائري، عبد الملك بومنجل و فريد عوف، مجلة دراسات، العدد (١)، المجلد (١٢)، جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل، الجزائر، ٢٠٢٣م: ٤٦٨.

ومن هؤلاء الشعراء، (امرؤ القيس) الذي أقام بنياناً قوياً لصورة (الماء)، كما في معلقته المشهورة:

فَقَاصَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِحْمَلِي^(١)

صوّر الشاعر العربي الدموع كفيضان ليعبر عن حزنه، وجمع بين العاطفة (ماء الصبابة) والطبيعة (الماء) ليمنح البيت طابعاً إنسانياً وكونياً، حيث يصبح (الدمع) رمزاً للحزن والفرق.

وقد اتخذ العربي من (الماء) مادة للفخر وسلاحاً بيد القوي والمالك له، يعتز به ويظهر بأسه في مقاومة من يحاول الاقتراب منه، كما في قول الحارث بن حلزة (الشكري):

وَسَمِعَتْ وَقَعَ سَيُوفُنَا بِرُؤُوسِهِمْ وَقَعَ السَّحَابَةِ بِالطَّرَافِ الْمَسْرَجِ^(٢)

وقد يحمل (الماء) معنى السعادة وطيب العيش والهناء كما في قول (عمرو بن كلثوم):

(١) شرح المعلقات العشر، الشيخ احمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: فائق محمد خليل اللبون، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط): ١٩.

(٢) ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق: هاشم الطعان، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩م: ٢٢.

وأنا الشاربون الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطيناً^(١)

ويتضح من ذلك أن الشعر الجاهلي قدّم تصوراً واسعاً ومتعدد الدلالات للماء؛ إذ أفاد منه الشعراء في بناء الصور والمعاني.

وفي العصر العباسي اعتنى الشعراء بوصف البيئة الطبيعية، وقد قدموا ألواناً مختلفة من التصوير الشعري في ظل تطور الفنون الأدبية و الانفتاح الثقافي^(٢)، وشهد العصر العباسي امتزاج الثقافة العربية بغيرها، فأصبح المجتمع العباسي يحيا حياة مترفة سواء أكان في الوسط الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي. وأصبح (الماء) جزءاً من تخطيط المدن والقصور والحدائق، والبُرك، فانبهر الشعراء بهذه البيئة الحضرية الجديدة، وتحولت مفردة (الماء) إلى دلالات جديدة تناسب روح العصر^(٣).

ومن أبرز الشعراء البحتري (ت ٢٨٤) الذي برع في الوصف وربط بين نهر دجلة والقصور العباسية^(٤)، وهو المداح المجيد، والوصّاف المبدع، لم يدع الفرصة تقلت

(١) ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٩٩١م: ٩٠.

(٢) ينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط): ٥.

(٣) ينظر: حركة التجديد في العصر العباسي، محمد عبد العزيز الموافي مكتبة الشباب، ط٤، القاهرة، ١٩٩٢م: ٣.

(٤) ينظر: ديوان البحتري، دار صادر، المجلد الأول، بيروت، (د.ط): ٥.

منه، فعمد إلى مدح الخلفاء قارناً مدائحه بأوصاف لقصورهم، ومدائحهم، وصور من الطبيعة التي تبهج خواطرهم، وكان (البحثري) يربط نهر دجلة بالأحداث التاريخية، ودجلة مكان طيب الإقامة، القصور على جانبيه، وها هو البحثري يمدح المعتز، ويصف قصره الكامل بهذه الأوصاف الدقيقة بأبيات روضية يصور فيها نهر (دجلة)، وقد أدخلت مياهه إلى حديقة القصر في نُهَيَّرات جميلة. وهي صورة مقتبسة من صور البيئة الحضرية العباسية^(١)،

وكأنَّما نُشِرتْ على بُسْتانِهِ سِيراً وشي اليُمْنَةُ المتواصل
أَغْنَتْهُ دِجْلَةُ إِذْ تلاحقَ فَيضُها عن فَيضِ مُنْسَجَمِ السَّحابِ الهاطِلِ^(٢)

وإذا انتقلنا إلى الأندلس نجد أن شعراءها اتبعوا المشاركة، فحافظوا على بناء القصيدة، وتعدّ الأندلس منبعاً مهماً لشعر الطبيعة، فقد نما الحس البيئي أكثر عند الشعراء الأندلسيين، بما حبا الله (عزّ وجلّ) الطبيعة الأندلسية بجمالٍ خلابٍ يُسحر الأبواب. ووصف البيئة الأندلسية، وأحوالها أضفى على شعرهم بعداً جمالياً أعمق كما عند ابن زيدون^(٣):

(١) ينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي: ٧١١.

(٢) ديوان البحثري، دار صادر، د.ط، المجلد الأول، بيروت: ٥.

(٣) ينظر: شعر الطبيعة في الادب العربي، د.سيد نوفل، مطبعة مصر، د.ط القاهرة، ١٩٤٥م:

وَالرَّوْضُ عَنْ مَائِهِ الْفِضِّيِّ مُبْتَسِمٌ كَمَا شَقَّقَتْ عَنْ اللَّبَاتِ أَطْوَا
نَلْهُو بِمَا يَسْتَمِيلُ الْعَيْنَ مِنْ زَهَرٍ جَالِ النَّدَى فِيهِ حَتَّى مَالٍ
أَعْنَا(١)

أما في العصر الحديث، فقد ازداد حضور عناصر الطبيعة في الشعر العربي خصوصًا في النصف الثاني من القرن العشرين، مع شعراء الديوان والمهجر وجماعة أبولو ثم رواد الشعر الحر: بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، وعبد الوهاب البياتي، ومن عاصرهم، ففي قصيدة السياب (أنشودة المطر)، يتجلى المطر رمزًا للحياة والعذاب:

– وَمُنْذُ أَنْ كُنَّا صِغَارًا، كَانَتْ السَّمَاءُ

– تَغِيْمُ فِي السَّيَاءِ

– وَيَهْطُلُ الْمَطَرُ،

– وَكُلَّ عَامٍ حِينَ يُغْشِبُ الثَّرَى نَجُوعُ

– مَا مَرَّ عَامٌ وَالْعِرَاقُ لَيْسَ فِيهِ جُوعُ.

– مَطَرٌ ...

(١) ديوان ابن زيدون، شرح: كامل كيلاني وعبد الرضا خليفة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط١،

مصر، ١٩٣٢م: ٢٥٧.

— مَطَر ...

— مَطَر ... ^(١)

وفي قصيدة (على وقع المطر) للشاعرة نازك الملائكة يتخذ المطر دلالة القلق

و الخوف:

آه ما أَرهَبَكَ الآن، وقد ساد السكونُ

غير صوتِ الرِّيحِ، في الأعماقِ، تدوي في جفونُ

لم تَزَلْ تَهْمِي، من الأمطارِ، في الأرضِ عيونُ

لم يزل قلبي حزينًا، تحت أمواجِ الدُّجون^(٢)

وهكذا تتعدد دلالات المطر بين الخير والخصب من جهة، والحزن والقلق من جهة

أخرى، بحسب التجربة الشعرية والرؤية الوجدانية لكل شاعر، مما يجعل هذا العنصر

الطبيعي قابلاً لاحتواء رؤى متباينة تتصل بالذات والواقع والبيئة، وفي ضوء هذا التعدد

الدلالي للماء في الشعر العربي الحديث تتجه الدراسة إلى تتبع حضوره في التجربة

الشعرية للميعة عباس عمارة، بوصفها نموذجاً واضحاً في توظيف العناصر الطبيعية

ضمن رؤية شعرية تجمع بين البعد البيئي والبعد الوجداني.

^(١) ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، المجلد الأول، بيروت، ١٩٧٧م: ٤٧٩.

^(٢) ديوان نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، (د.ط.)، المجلد الأول، ١٩٧٧م: ٥٨٩.

أولاً: الماء بوصفه مكوناً بيئياً

إنمازت البيئة العراقية من بين أكثر البيئات تنوعاً وتعقيداً في المنطقة العربية، ووصفت بخصائص جغرافية، ومناخية ؛ إذ جمعت البيئة العراقية الخصائص المتميزة المتمثلة في الأنهار والسهول والجبال والأهوار والصحاري، وبين التحديات البيئية التاريخية عن العوامل البشرية أو ما أحدثته التطورات التكنولوجية.

أكتسبت بيئة العراق منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا مكاناً مرموقاً لموقعها المتميز بين أقطار الشرق الأدنى، وتحتوي هذه البيئة نهريْن عظيمين توأمين ، هما: دجلة والفرات، فالعلاقة بين الإنسان العراقي وبيئته المائية علاقة جدلية، ومن هنا ولدت حضارة كاملة على ضفاف نهري دجلة والفرات، وأصبحت فيما بعد من أهم المناطق تقدماً في الفنون الزراعية والزّي واستثمار الأراضي، والإفادة من البيئة الطبيعية المحيطة بها، ونتيجة إلتقاء النهرين في الجنوب العراقي، شكّلت الأهوار التي تمثل أكبر النظم البيئية^(١).

وتتشكل الهوية الحضارية والجغرافية لأي أمة من الأمم عبر تفاعل العناصر البيئية وفي مقدمتها (الماء)؛ لأنه ملتقى لجميع العادات والمعتقدات الشعبية والأفكار

(١) ينظر: أثر بيئة الأهوار العراقية في اعمال الفنان ماهود احمد، محمود حسين عبد الرحمن

حسين، مجلة الأكاديمي، العدد(٩٦)، ٢٠٢٠م: ١٩٦.

والقناعات التي تضفي عليه أبعاداً مختلفة ودلالات اجتماعية وثقافية وعقدية وشعبية^(١) والنهر بوصفه شريانها النابض الذي يرتبط بـ (نهر دجلة) بمهد الحضارات وقداصة الأرض ليشغل المكانة المحورية في الوجدان العراقي، متجاوزاً كلّ الوظائف الجغرافية والاقتصادية ليصبح رمزاً للوجود والهوية والعراقة التي امتدت جذورها إلى أعماق التاريخ^(٢).

والماء هو سبب الحياة وأصلها، سواء أكان بحراً أو نهراً أو مطراً أو في أعماق بئر، وهو لدى جميع شعوب العالم: " فهو الأول أصلاً لجميع الكائنات الحيّة، وهو الآخر ماءً هائجاً مائجاً وطوفاناً تعاقب به البشرية فيأتي على كل شيء ولكنه في آن ينبت بتمدد الحياة على وجه الأرض وبخلق جديد"^(٣)، والماء بتجلياته المتعددة (المطر، النهر، البحر، الشاطئ، والجداول) شكّل حيزاً كبيراً عند الشاعرة (لميعة عباس عمارة). ويُعد المطر من أبرز الظواهر الطبيعة التي ارتبطت بالخيال الشعري العربي قديماً وحديثاً، ويُشكّل رمزاً من رموز الحياة والخصب والتجدد.

(١) ينظر: رمزية الماء في التراث الشعري دراسة سيميائية: ٣٠.

(٢) ينظر: المعالجات التخطيطية لتطوير وعمران المناطق المطلة على الواجهات المائية لنهر دجلة (دراسة حالة المنطقة الواقعة بين جسر باب المعظم وجسر الاحرار)، مجلة اكليل للدراسات الإنسانية، العدد (٨)، كانون الأول، ٢٠٢٣م: ١٣٩١.

(٣) موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، د. محمد عجينة، دار الفارابي للنشر والتوزيع والطباعة، ط ١، ١٩٩٤م: ٢٥٢.

ويُمثل المطر في الشعر العربي عامة، والشعر العراقي خاصة ، مدلول الحرية والجمال والمحبة في السياق الشعري . الذي يقود القراءة الى دلالات عدة منها ثقافية وسياسية وإنسانية. فالمطر هو المنقذ من الجفاف والمخلص من الجوع^(١).

فالشاعرة لميعة عباس عمارة لم تخرج عن الإطار العام لبيئة الطبيعة الذي يُشكّل عندها قلب التجربة الشعرية، فالمطر (مفردة من مفردات الماء) وهو لغة من اللغات الكونية التي تخاطب بها الأرض والذاكرة في آنٍ واحد.

وقد وظّفت الشاعرة المطر كثيراً في النصوص الشعرية، لتشكل بذلك الميدان البيئي الواسع والرحب للأحلام الجميلة في الذاكرة الشعرية، كما في قصيدتها (سان ديبغو) إذ تقول:

يُسَوِّقُنِي لَكَ الْمَطَرُ الْخَفِيفُ

وَيُسْقِطُ كُلَّ أَوْرَاقِي الْخَرِيفُ

مُجَنِّحُهُ خُطَايَ، الرِّيحُ دَرَبِي

وَوَجْهُكَ قِبَلْتِي أَتَى اطْوْفُ

أَمُرُّ عَلَى الشَّوْاطِئِ فِي خُشُوعٍ

كَأَنَّكَ ذَلِكَ (الهادي) المخيف^(١)

^(١) ينظر: الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي، رسول بلاوي، حسين مهتدي،

مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد (٢١)، جامعة خليج فارس بوشهر، ٢٠١٥م: ١٩٦.

افتتحت الشاعرة النص بخطاب مباشر الى المطر، لتخلق تواصلاً بينها وبين هذا العنصر المائي ليجسد مشاعرها وحنينها واشتياقها لوطنها الحبيب. متخذة من عناصر الطبيعة (المطر، الخريف، الريح...) عنصراً باعثاً على الشوق والحنين، فجعلت المطر معادلاً موضوعياً ووسيطاً عاطفياً وبيئياً. يربط بين الذات والمحبوب (الوطن). فالمطر رمز التجدد والخصب والبعث والتغيير والحياة ، تقابله الشاعرة بفصل الخريف وما يحمله من دلالة الزوال والواقع السلبي وما حلّ بالطبيعة من دمار. فالخريف عند الشاعرة هو مرآة تعكس سقوط الذات وتشتتها.

كما وظّفت الشاعرة عنصر (الريح) برياحه الحاملة عنصراً طبيعياً لبناء صورة من البيئة كثيفة الدلالات والمعاني، وقد تميزت الشاعرة بأنسنة الطبيعة بكل عناصرها لتعبر عن قدسيتها لدى الإنسان، فكانت الشواطئ مكاناً للخشوع والتأمل من خلال التقاء عناصر الطبيعة، جاعلة وجه الحبيب (قبلة روحية) تتراءى لها أينما توجهت، فضلاً عن أنّها أضفت الصفات الدينية على الشواطئ لترفع من قيمتها البيئية الى مرتبة القداسة؛ فشكّلت هذه الأبيات ثنائية تعكس فهماً عميقاً للعلاقة بين الإنسان والطبيعة، فصورت الطبيعة بوجهين نقيضين (الهادي والمخيف) اللذين يُعبران عن التعددية الطبيعية، فمثلت الهادي الجانب المطمئن والمريح في البيئة، والمخيف الجانب الآخر الذي يمثل التسلّط والخوف من المجهول والرهبة والنقص في توفير الأمان لتضيف

(١) ديوان لميعة عباس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٢١: ٣٨١

عمقاً على المعنى؛ لأن الرمز هو " الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية، لا عن طريق التسمية والتصريح"^(١). فإن الطبيعة عنصر محوري في وجدان الشاعرة، وفي القصيدة نفسها تقول:

يُعَذِّبُنِي الْجَمَالُ ب (سنديغو)

وَيَذْبَحُنِي بِهِ الْغَيْمُ الشَّفِيفُ

وَكَيْفَ أَعِيشُ رَغداً فِي بِلَادٍ

تُسَنُّ لَأَهْلُنَا فِيهَا السِّیُوفُ^(٢)

بدأت الشاعرة النص بإسنادها أفعال الحياة إلى أشياء ليست من جنسها، كما في عبارة (يُعَذِّبُنِي الْجَمَالُ)، و(وَيَذْبَحُنِي بِهِ الْغَيْمُ) لتلفت الانتباه إلى الغيم لما له من فاعلية بوصفه عنصراً من عناصر البيئة الطبيعية لدلالاته الباعثة للحياة، إلا أن الشاعرة هنا بصورة مغايرة أسقطت عليه صفة الإنسانية المتمثلة (بالعذاب والذبح) الدالة على الاكتئاب والألم. وهي تبكي وطنها الذي غادرته لتذوق معاناة الغربة، فالجمال ليس مصدراً للأمان والسلام، بل حوّلت الشاعرة إلى أداة للتعذيب النفسي والروحي ، ورمز للبيئة المنفصلة عن البيئة العراقية، فقد زاد جمال (سان ديبغو) شعورها بالوحدة

(١) الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، إشراف عام: داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة

والنشر والتوزيع، ط١، مصر، ٢٠٠٨م: ٣١٥.

(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٨٢.

والحزن، وعدم ألقتها لهذه البيئة؛ بل زادها حزناً وألماً. وتحول (الغيم الشفيف) من دلالاته الباعثة للحياة إلى خيبة أمل وفقدان وشعورها بالذنب؛ لأنها تعيش في بلاد الأعداء وتستمتع بالحياة وأهلها تحت وطأة السيوف، فجمال (سان دייغو) لا يغنيها ولا يعوضها عن أهلها وبيئتها الممزقة بالحروب ومنتهكة الحقوق واعتبار الطبيعة "ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتها ومبادلتها الأفكار والعواطف والشعور"^(١)، فالشاعرة تحول قطرات المطر إلى كلمات، والغيم إلى أسطر تحمل هموم الإنسان وأحلامه. فيشكل المطر في شعر (عمارة) إحدى العلامات الدلالية التي تتغير مفرداتها من قصيدة إلى أخرى انسجماً يلائم السياق البيئي والنفسي، فهو يدل على الخصب والعطاء والنماء تارة، ويعبر عن الأمل والتغلب على قسوة المناخ والحقائق تارة أخرى، ففي قصيدتها (سلام قطر*) تقدم به الدعاء والحياة لدولة قطر وتدعو لها بالخصب والسخاء، إذ تقول:

تقودُ الرمالُ إلى المنتهى

وتومئ للشمس هذي قطر

يدُ تتحدّى جديبَ الرمالِ

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، منشورات كلية العلوم والآداب

في جامعة بيروت الأميركية، ط٢، بيروت، ١٩٦٠م: ٣١٥.

* بدعوة من خريجات جامعة قطر زارت الشاعرة قطر في نيسان ١٩٨٦.

لتلعبَ عامدةً بالدرر

كأنَّ الجزيرة صَبَّارةٌ

وأنتِ على الحرف منها ثمر

سلامٌ عليكِ سلامٌ قطر

وسقّاكِ ليس مجازاً مطر^(١)

رسمت (الشاعرة) في قصيدتها (سلامٌ قطر) إحدى اللوحات البيئية التي تجاوزت فيها الوصف الجغرافي لحدود دولة قطر، بثنائية مقارنة بين بيئة (القفر والعمران)، وتحويل البيئة الصحراوية التقليدية إلى بيئة متحدية لعوامل الانهيار البيئي ومؤثرات المناخ. فوظفت الشاعرة (الرمال والشمس والمطر) من خلال وصفها للبيئة الصحراوية وقسوة الحياة وتحدياتها. وتحمل الحياة في طياتها، على الرغم من قساوتها، فالصحراء رمز الأصالة والعروبة والأرض والانتماء والجذور والتاريخ والمجد العربي. وأبدعت الشاعرة بالأنسنة الجغرافية لهذه العناصر، وتحديات البيئة القاسية من الجفاف والتصحر فقد شبهت (الجزيرة بالصبرة) وهي نبات صحراوي ينمو في بيئة قاسية، لكنه يزدهر رغم كل الظروف. فالبيئة الصحراوية هنا أرض الغربة للشاعرة حيث يكون ظلها هناك فقط، أما جذورها ففي وطنها العراق، وختمت الشاعرة قصيدتها بـ (سلامٌ عليكِ سلامٌ قطر... وسقّاكِ ليس مجازاً مطر) فالمطر ليس مجازاً شعرياً، بل واقعياً على

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٩٥.

الرغم من البيئة الصحراوية لكنّها تفيض عطاءً حقيقياً. ومن غرائب المصادفات أن أمطرت الدنيا مطراً شديداً أثناء قراءة هذه القصيدة، وأمطرت ثانيةً في اليوم الثاني حينما صارت الشاعرة تقرأ في محفل آخر في الدوحة أيضاً، فالنصوص أنظمة بيئية، ليس فقط بالمعنى الضيق بوصفه بيئة خطابية، لكن بيان علاقة الفرد بالنص، وعلاقة النص بالبيئة، وعلاقة النص بالعالم، أي أن النص الفردي جزء لا يتجزأ من البيئة في كل مرحلة من مراحلها^(١)، فالشاعرة تستوحي من واقع الطبيعة رموزاً تحمل استمرار الحياة والأمل والتفاؤل.

وفي صورة أخرى توظّف الشاعرة (المطر) لتعبر عن حالها من غير حبيبها في قصيدة (شتاء باريس) إذ تقول:

ورذاذ المطر الأنعم من كفّ حبيبٍ

يلمس شعري، خدي، شفتيّ

وأهدابي

آه ما أبعد أحبابي!

أهدابي أوتارُ

ورذاذ المطر الأنعم من كفّ حبيبٍ

أصابُ فنّانُ

(١) ينظر: النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات: ٧٩.

وحوائط ليس لها آذان

الأبواب الخرسُ هنا تلسعني

أيُّ الاسرار سيغمُرُه السَّيْنُ^(١)

فالشاعرة تقرّ بالرضاذ الناعم للمطر وحضور مظاهر الفن والعُشّاق، ولكن يطغى عليها إحساس الغربة، على الرغم من سحر الطبيعة في باريس، فإنَّ شوقها الى من تُحِبُّ يُعَكِّرُ ويُفسد الاستمتاع بهذه المناظر الخلّابة، فهي منشغلة بمن تُحِبُّ، وتتنهد (آه ما أبعد أحبابي!) فأبواب (باريس) تلسعها، والنهر يقهرها، ويغمر جميع أسرارها. فهي وحيدة وتحتاج إلى من يشاركها من بيئتها لكي تتمكن الشاعرة الحصول على الشعور بالأمان الذي افتقدته، ويؤكد علم النفس البيئي أن علاقة الإنسان بالبيئة علاقة حقيقية ذات نظام مترابط ومتلاحم. فسلوك الفرد يتغير بمقدار تغير الاستجابات البيئية رداً على السلوك البيئي للفرد^(٢)، فالشاعرة محت المسافة بين الواقع والخيال، واستطاعت أن تمنح المطر أبعاداً وجدانية وإنسانية توحى بالابتعاد والاغتراب.

(١) ديوان لميعة عبّاس عمارة: ٣١٠.

(٢) ينظر: الإنسان وعلم النفس، عبد الستار ابراهم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

الكويت، ١٩٨٥م: ١٨٩.

ثانياً: الماء و تجلياته رمزاً

يُعد الرمز من أبرز تقنيات الشعر العربي ، وأحد الإنجازات المهمة في القصيدة العراقية الحديثة، وقد نال المكانة الفائقة، والرمز من أهم فنون القصيدة الحديثة وبدونه تجوع، وتعرى وتتحوّل الى هيكل عظمي^(١)، فضلاً عن ذلك هو إشارة مصطنعة يتفق على معانيها مجموعة من البشر. وللرمز دلالات مختلفة، تختلف من منطقة إلى أخرى، وتختلف معانيها باختلاف الأزمنة، ووظيفته الأولى التواصل وإدخاله في الوظيفة الإيحائية^(٢)، والرمز في الأصل "كيان يُثير في الذهن شيئاً آخر غير محسوس"^(٣)، ويُعدُّ (غوته Goethe*) أول من حدّد مفهوم الرمز بطريقة أدبية وحديثة عام (١٧٩٧م) على أنه امتزاج للذات بالموضوع والفنان بالطبيعة وقوانين الوجدان^(٤)

(١) ينظر: دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، د.محسن اطميس، دار الرشيد للنشر، (د.ط)، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م: ١٢١.

(٢) ينظر: الرمزية في الفن الحديث، صبري منصور، مجلة عالم الفكر، العدد(٣)، المجلد(١٦)، الكويت، ١٩٨٥م: ١٣٦.

(٣) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح احمد، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م: ٣٠٦.

* ولد الشاعر الألماني فولفغانغ غوته(١٧٤٩-١٨٣٢) ويُعد الايكولوجي الأفضل بين شعراء أوروبا وأكثرهم علمية. ينظر: الشعر الايكولوجي: ترجمة: معين روميه: ٧٦.

(٤) ينظر: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ٣٧.

والرمز يمنح الشاعر القدرات التعبيرية العالية، ويفتح أمامه آفاقاً حيّة تمنحه الحرية في الاتساع والامتداد والانطلاق بمعانيه، بما يحقق أعلى مستويات التعبير الفني^(١).

ويتخذ الرمز الشعري عند بعض الشعراء طابعاً مجازياً أو استعارياً ، وأن أغلب الرموز ذات علاقة مباشرة بحياة الشاعر أو البيئة التي نشأ فيها، لأن الرمز لدى الشاعر أداة تعبير أساسية، أما القارئ فالرمز يمثل عنده وسيلة من وسائل الإيحاء^(٢). ويلجأ الشاعر العربي الحديث إلى استعمال الرموز التي استمدّها من منابع الطبيعة المتعددة: (الماء والنخيل والرياح،...الخ) وتُعد مظاهر الصورة الرمزية من الوسائل الفنية التي تمكن الشاعر من تجسيد رؤيته الشعرية و التعبير عن تجربته الوجدانية^(٣).

وقد اتكأت الشاعرة في توظيفها الشعري للرمز، مستمدة منه صوراً طافحة بالإيحاء والتكثيف، تمكنها من التعبير عن القضايا البيئية مُشكّلة بذلك صورة شعرية من البيئة الطبيعية تلامس وجدان المتلقي.

(١) ينظر رمزية الماء في شعر السيّاب، مولود محمد زايد البيضاني ، اشراف: حسين عبود الهاللي ، جامعة البصرة، كلية التربية ، ٢٠٠١م: ١٥.(رسالة ماجستير)

(٢) ينظر: دير الملاك: ١٦٢.

(٣) ينظر: مقدمات الصورة الفنية في شعرية بدر شاكر السيّاب ، سمية عطار، اشراف : عبد اللطيف، الجزائر، ٢٠١٨م: ٤٤. (رسالة ماجستير)

وقد استحوذت الطبيعة على قلوب الشعراء وعقولهم؛ إذ منحتهم الفرصة في اختيار الرموز التي تعبر عن مشاعرهم، ولذلك أصبح تفاعل الشاعر مع الطبيعة تفاعلاً حياً، فلم تعد الطبيعة الشيء المفضل عند تجربة الشاعر؛ إنما أصبحت رموزاً لحالاته الشعورية^(١)، ويُعدُّ المطر الرمز الأكثر حضوراً في الشعر لما يحمله من دلالات متعددة تتراوح بين الخصب و التجدد ، والأمل والحنين ، وقد استلهمت الشاعرة (عمارة) من مظاهر الطبيعة رموزاً عبرت من خلالها عن مشاعرها وأفكارها، كما في قصيدتها (وجهك الممطر)، إذ تقول:

- وجهك يمطر
- يا عنف الموج على الصخر
- يا رَشَّ المزنّة في الفجر
- يا ماء الطلّع الباردِ
- في حرّ الظهر
- يا مَطَرُ يظمي
- يا رِيّاً
- من بعد مواسمه

(١) دراسات في النقد العربي المعاصر، محمد زكي عشاوي، طبعة دار الشرق، ط١، (د.ت)،

١٩٩٤م: ١١.

- شعري^(١).

وقد ألقت الشاعرة بصورة عفوية مزجت من خلالها بين الإنسان وثقافته، وكشفت عن تعلقها بوطنها الذي تجلى في عناصره الطبيعية، ويتضح ذلك من خلال توظيفها مفردات مثل: (المطر والموج والمزنة والماء)، لأنها تنتمي إلى نهري دجلة والفرات العالقين في مخيلتها أينما حلت و ارتحلت، وقد جعلت قصيدتها ممزوجة بالرومانسية مع الماء الذي هو سر الحياة، وتفاعلت مع المطر لتجسد مشاعرها المتأججة بين الحزن والألم؛ إذ يصبح المطر رمزاً لذكرياتها وتجربتها في الحنين إلى الاستقرار وبناء وطن آمن، وكانت هذه الصورة صورة للبيئة الطبيعية بوصفها رمزاً لهويتها التي تعرضت للضياع والتشتت، والتي ارتبطت بالعراق ارتباطاً روحياً وجسدياً، مهما ابتعد الانسان عن وطنه إلى أماكن أخرى؛ إذ يحمل النص تكرار أداة النداء (يا)، وهو وسيلة للتعبير عن مشاعرها ووطنيتها من خلال البحث عن الهوية للانتماء إلى الوطن؛ لأنها وظفت أداة النداء (يا) لتأكيد المعاناة والضيق والغربة، وفي هذا النص حاورت الشاعرة الوطن وكأنه شخص، فالمطر عندها هو رمز للحياة.

واستعملت الشاعرة لميعة عباس عمارة (الماء) - بوصفه عنصراً من عناصر الطبيعة - رمزاً للحب فتصف شعورها عند لقائها بالحبيب؛ إذ تقول في قصيدة (عنبر):

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٤٠.

لَقَيْتُكَ

فَانسَكَبْتَ نَشْوَةً

عَلَى الرُّوحِ

وَأَنهَمَرَ الْعَنْبَرَ

وَأَوْرَقَ فِي الْغَيْمِ طَيْفَ حَقُولِ

وَجُئْتُ بِطُوفَانِهِ

أَنْهَرُ^(١)

وظّفت الشاعرة عناصر الطبيعة بشكل لافت في وصف لقائها بالحبیب؛ إذ أن لقاء الحبیب لا يُثير في نفسها فرحاً عادياً؛ بل نشوة تنسكب ثم عنبر ثم طيف حقول وطوفان وأنهر. فالماء عند الشاعرة بجميع متعلقاته (نهر، وطوفان، ومطر) وكذلك بعض متعلقات الماء كـ (انسكب، انهمر، الغيم) ليس مجرد عنصر من عناصر الطبيعة التقليدية؛ بل هو جزء من أجزاء النظام البيئي الذي يعبر عن التوازن الدقيق في الطبيعة. وقد شكّلت الطبيعة لدى عمارة مصدراً مهماً للإلهام، فهي مرآة تعكس طبيعة الحياة بوصفها وسيلة للتعبير عن عواطفها ومشاعرها؛ إذ إنّها جعلت الطبيعة تبدو وكأنّها شريك في هذا اللقاء، مما جعل قصائدها تتسم بالعمق البيئي والصدق العاطفي.

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٩٤.

وفي قصيدة (بغداد أنت) استعملت الشاعرة (نهر دجلة) في وصف عيون حبيبها

لتضفي عليه جمالاً ساحراً وتعبر عن عمق إعجابها به، فتقول:

وعيناك دجلة، غفو الغروب

على الشاطئين، وليل السمّر

يميسُ التَّغَطُّفُ أنى خَطَرَتْ

وتغنى بك العين حتى البطر^(١)

وظّفت الشاعرة (نهر دجلة) أحد المكونات البيئية بطريقة موحية ، إذ ربطت جمال

عيون حبيبها بجمال الطبيعة وشبهتها بـ (نهر دجلة وقت الغروب) ، وذلك من خلال

إضافتها إلى لفظة (غفو الغروب، والشاطئين، وليل السمّر) لتعبر عن الحالة النفسية

التي كانت الشاعرة تمرّ بها بسبب الغربة، فالانتماء إلى الطبيعة من سمات الرومانسية

للتعبير عن تداخل الإنسان معها بإحساس، لوصف الأجواء النفسية والبيئية، وقمة

المعاناة وَحْدَة الألم. فقد ولدت الشاعرة وعاشت أحلى أيامها على ضفاف دجلة، وهو

نهر الطفولة الذي عشقته وتغنت به لجوده وكرمه، فهو الشريان الذي يضحّ أمل الحياة

في جسد العراق. فأصبح النهر الخالد جزءاً من سيرتها وهويتها. فهي تحنّ إلى مراح

الطفولة والصبأ، وتستذكر حب الأسرة والأهل ليس بهدف الهروب من الحاضر، بل

تحقيقاً لحالة التوازن العاطفي والبيئي. ويجسّد نهر دجلة فكرة الاستمرار والحيوية من

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣١٧.

خلال تدفق مياهه دون توقف ، فهذا التدفق يحمل معه الزمن والتعبير الذي يمثل رمزاً للحياة البشرية، من خلال فكرة التناغم والتعايش السلمي بين البشر، وإطلالته الخلابة، والهدوء الذي يمنحه النهر من المؤثرات الإيجابية والروحية ، ورمزاً للتطور الذي يمرّ به الإنسان في مختلف المجتمعات وما يحمله الجميع من وعي وفكر بيئي للمحافظة على هذه المصادر الطبيعية من التلوث البيئي^(١).

ولم يكن نهر دجلة مجرد خلفية جغرافية في حياة (عمارة)، بل الشريان الروحي لتجربتها الشعرية. كما وظفت الشاعرة مفردة (الماء) وما يُلازمها من لفظة (الجسر) في قصيدة (عيون المها)، وتقول في حيرة ممزوجة بالحب في جسر حديدي في بغداد، ويُعرف بالجسر (المعلق) قائلة:

ويَظَلُّ هذا الجسر يفصلنا

وكأنَّ دجلة تحته بحرٌ

خُلِقَتْ جسورُ الكون موصلةً

إلا "المعلق" أمره أمر^(٢)

(١) ينظر: المعالجات التخطيطية لتطوير وعمران المناطق المطلة على الواجهات المائية لنهر

دجلة: ١٣٨٤.

(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٢٢.

فإن لفظة (الماء) ، ومتعلقاتها ذات دلالات سيكولوجية عميقة تختلف تمامًا عن دلالاتها في النصوص السابقة. التي عبرت عن الأمل والخير والحياة، فإنها هنا تُعبر تعبيرًا مباشرًا عن قمة المعاناة النفسية تجاه انتهاك عناصر البيئة الطبيعية ومكوناتها المتمثلة بـ (الجسر) وهو رمز يدل على التقريب والتواصل وتجاوز الحدود، كما يرمز إلى الانفصال عن أرض الوطن؛ لتعبر عن رؤية نفسية جعلت نهر دجلة بحرًا في اتساعه لكونه يفصل بينها وبين من تُحبُّ ولاقتزان مفردة (البحر) عندها، التي ارتبطت بالخوف والرعب والحزن وما يتعرض له الإنسان من المهالك والكوارث جزاء الحروب؛ ولاسيما بعد العدوان الثلاثيني الأمريكي على العراق، وقصف الجسر المعلق في (نهر دجلة) في مشهد مروع وحزين لا يمكن وصفه، وتشارك الشاعرة في التعبير عن هذا الحدث بلهجتها العامية في ديوانها قصيدة بعنوان (جسر المعلق)^(١)، معبرة عن انهيار الأنظمة البيئية المتمثلة بتدمير البنى التحتية كقصف الملاجئ بالصواريخ، وتدمير الجسور، فضلًا عن شيوع مظاهر الخداع والغش، التي تعبر عن فساد النفس البشرية التي يتجرد فيها الإنسان عن إنسانيته.

كما عرفت (عمارة) بأسلوبها العاطفي المميز في التعبير عن مكنون ذاتها وتجاربها في مواجهة هموم الحياة ومأساتها، كما عبّرت عنها بقصيدة (الفن والحياة)؛ إذ تقول:

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٦٠٧.

الحياة ابتسامة عطّرتها

نفحة الورد في ضحى نيسان

ليس قُبْح الحياة إلا جمالاً

شوّهته حماقة الإنسان

همسة النهر واخضرار الروابي

وشحوب السماء عند الغروب

ودموع الندى وظلّ الدوالي

ويذ الظلم توسّع الناس بؤساً

وارتعاش المروّع المكنوب^(١).

فقد رمت الشاعرة نفسها في أحضان الطبيعة التي عشقتها ؛ لأنها تجد فيها عالماً يختلف عن عالم مُقيد بقيود الحزن والحرمان والغربة، فالطبيعة عالم حرّ وواسع، فقارنت نفسها بالطبيعة التي تعاني أيضاً من قساوة الإنسان كما تعاني هي، وتعيش الأحران نفسها من قبل الناس، من خلال تشخيص عناصر البيئة الطبيعية؛ وذلك لخلق حالة من التوحد والانسجام البيئي، وهي تشخص (النهر والسماء والندى) فتُسقط أحرانها وآلامها وغربتها، بما وهبته من صفات إنسانية، فالشاعرة تسمع لهمة النهر تضي عليه صفة الهدوء، كما منحت السماء صفة الشحوب وقت الغروب الذي يمثل ذهاب

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٦.

اليوم من غير رجعة، والذي يتمثل ببداية الليل والظلام والخوف والكآبة. وما يعكسه من سكوت وألم قاتل في أعماقها، وهذا يشبه إلى حدٍ كبير عبارة (لورانس بويل Lawrence Buell): وهي الخيال البيئي الذي "يمنح القصائد رؤى جديدة و مفاهيم مستحدثة لفهم النص البيئي و من ثم تحليله وفق النقد الأدبي البيئي بما يمنح المتلقي أدواتٍ جديدةً مغايرةً للأطر القديمة المتوارثة"^(١).

فالشاعرة تستمد جميع مفرداتها من الطبيعة وتحملها دلالات جديدة، بحسب الحالة النفسية التي تمرّ بها، فالخيال البيئي يتجلّى في رؤيتها وإبداعها وإحساسها ووعيها العميق بالبيئة ، وما تتعرض له من انتهاك من لدن البشر.

والشاعرة تتألم على بلدها العراق البعيدة عنه، ولشدة تألم وتأزم حالتها، فقد لجأت إلى محاوره الطبيعة، لأنها تمثل الملاذ الآمن لها وللكتير من الشعراء أمثالها، فجعلت قصائدها ممزوجة بالماء، وهو رمز الحياة والخصب والنماء.

وقد كان لمعتقداتها الصابئية المندائية أثرٌ كبيرٌ وواضحٌ أيضًا في شعرها؛ لا سيما فكرة (التعمّد بالماء) وهي ظاهرة رئيسة في الديانات الصابئية، بل هي من أهم طقوسهم، ويُعد الاغتسال بالماء رمزاً للحياة، بل هو الحياة نفسها، وإن الاغتسال بالماء متعلق حتى بتسميتهم، فكلمة الصابئة مأخوذة من (صب) ومعناها الارتماس بالماء والالاغتسال به، فالماء عند الصابئة المندائيين مقدّس، وهو يُطهّر الأرواح والقلوب

^(١) أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية : ٢٠٠

والأبدان، فالماء يتجلى في كل طقوسهم العبادية^(١)، ففي قصيدة (هل نحن الأحياء)، تقول فيها:

– جميلٌ أنت

– دماؤك من عسلِ النحلِ

– نقيٌّ من ماءِ الأردنِّ

– أجنّتْ تُعمّدنا بالماء؟

– هل يقوى شبحٌ ... ؟

– عفوك – هل نحن الأحياء؟

– أكبر من ماءِ الأردنِّ خطايانا

– يسودُ إذا نزلت فيه الماء^(٢).

وقد كررت الشاعرة في هذا النص لفظة (الماء) أكثر من مرة، وهي تقصد به سحر الماء الذي يُظهر جسد الإنسان من الخطايا والاعتسالات من الذنوب، كما هو موجود في المعتقد الصابئي، وكما في اللغة العربية الفصحى، كذلك باللهجة العامية

(١) ينظر: المثلوجيا المندائية، خزعل الماجدي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية،

٢٠١٠م: ١٨-١٩.

(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٧٠.

العراقية كتبت (عمارة) من وحي معتقدها المندائي غزلاً بالنهر النقي في قصيدة (يا نهر) ^(١)، من ضفاف نهر السين بباريس شوقاً لدجلة .

ومما تقدم يتبين أن النهر في شعر لميعة عباس عمارة تجاوز دلالاته الطبيعية ليغدو مركباً للهوية والانتماء والذاكرة، كما ارتبط بالحياة والخصب من جهة وبالاغتراب والانفصال من جهة أخرى، وقد امتدت دلالاته إلى متعلقاته من ماء وجسر وبحر، لتشكل شبكة رمزية تعكس تحولات التجربة الشعرية للشاعرة ، وتؤكد حضور البعد البيئي والوجداني في رؤيتها الشعرية.

ثالثاً: البُعد النوستالجي (الحنين والذاكرة) للماء :

النستولوجيا: كلمة أجنبية ذات جذور يونانية مأخوذة من (algos) بمعنى الألم، وصاغ هذا المصطلح الطبيب السويسري (بوهاش هومز ١٨٦٧ - ١٩٢٨م) في أواخر القرن السابع عشر في إشارة إلى الحنين إلى الوطن الذي مرّ به الجنود المرتزقة السويسريون، وشملت أعراض الحنين أفكاراً متواصلةً حول المنزل والأرق والكآبة والضعف والقلق وخفقان القلب، وأما في الدراسات العربية فإنّ مصطلح (النستولوجيا) يقابل الحنين إلى الماضي، وقد وردت كلمه الحنين في المعاجم العربية بمعانٍ مختلفة

^(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٥٨٤.

ففي اللسان تعني "الشوق وتوقان النفس، والمعنيان متقاربان"^(١)، والحنان صفة من صفات الله (عز وجل) وقد وردت كلمة الحنان في قوله تعالى: ﴿يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتِيَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾^(٢)، وأما المدلول الاصطلاحي لكلمة (الحنين) فهو حالة نفسية ترتبط بطبيعة الإنسان الحساسة بالانتماء إلى الوطن، والتحسر على الماضي والحنين إلى الأهل وأيام الطفولة^(٣). وتعدّ النستولوجيا واحدة من السلوكيات التي تطرأ على الفرد، وتظهر تحت تأثير العوامل الاجتماعية أو الفردية كالنفسي، وفقد الأسرة والحبس والهجرة، وحضور الذكريات المتعلقة بالطفولة والشباب، فيعود الفرد إلى ماضيه، وكل هذه العوامل يمكن الإشارة إليها تحت مظلة تسمى الحنين^(٤).

أمّا الملمح النوستالوجي فهو (الأفول المحايد للبيئة) في استعادة الأيام الخالية، والحسرة والأسف عليها، وقد ازدادت هذه الظاهرة؛ بسبب حلّكة الحاضر وسواده وتراجعها، وقد أصبحت أكثر حضوراً وفعالية؛ بسبب هيمنة التكنولوجيا وعامل الاغتراب

(١) لسان العرب: ابن منظور، مادة (حنين)، دار احياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٩٩٩م: ٣٦٧.

(٢) سورة مريم الآية: ١٢-١٣.

(٣) ينظر: الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث- فوزي المعلوف انموذجاً، حنان غميض، اشراف: بوزيد رحمون، جامعة بوضياف المسيلة، الجزائر، ٢٠١٥م: ٤٠.

(٤) ينظر: النوستالجيا وتمثلاتها في النص المسرحي العراقي، مجلة نابو للبحوث والدراسات، العدد(٣٨)، المجلد(٣١)، ٢٠٢٢م: ٧٧.

النفسي والروحي والاجتماعي، وقد اختلف الدارسون في تحديد أنواع (النستولوجيا)؛ وذلك لتعدد مجالاتها من جهة ولارتباطها بمشاعر الإنسان وتصوراته حول الواقع المتغير من جهة أخرى، وهي نوعان: الأول: النستولوجيا الجماعية: وهي محاولة الهرب من الحاضر تحت وطأة التراجع التي تزداد ضغطاً على خنق الأمل، بالأخص للذين لم يعيشوا ذلك الماضي الجميل^(١).

والآخر: النستولوجيا الفردية: وهي التي تظل ملازمة للفرد، وتشكل جزءاً من حياته، ويرتبط حضورها بذاكرته بين الحين والآخر، أو بفقدان التوازن النفسي والصحي^(٢)، وتُعد الشاعرة (عمارة) من الشعراء الذين هاجروا من أوطانهم وأحسوا بلوعة الحنين والوحشة والبُعد، فقد عبّرت عن شوقها وحنينها إلى العراق، ففي قصيدة (على الخليج العربي)، إذ تقول:

فيا جدولَ الهمِّ هاتِ الغَرْقُ

إذا كان مأوك يرقى الجبين

أحنُّ لبغداد...

ماذا تركت

(١) ينظر: جماليات المكان في شعر الاتجاه الرومانسي - دراسة في ضوء النقد البيئي، هناء محمد

مصطفى، مجلة السرديات، العدد (٣٠): ٢٠٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

ببغداد من بهجة يا حنين؟

وكم ليلة شت ما بيننا؟

أكانت شهوراً؟

أكانت سنين؟^(١)

إن إحساس الشاعرة بالغربة والبُعد عن الوطن جعلها تميل في قصيدتها إلى الاستفهام الذي يوحي بالانكسار والتوجع، فهي تقف موقف الحائرة المتوجعة، وقد هيجت في نفسها مشاعر الألم عند رؤية الخليج لتعبر عن شوقها، وحنينها إلى العراق وترسل أشواقها مع المياه؛ لأنَّ الإنسان عندما يشعر بالحنين والشوق يلجأ إلى الطبيعة لمحاورتها، وقد صبغت هذه القصيدة بروح حزينة تبعث في نفسها الكآبة والغربة، وبكل ما تحمله من معاني الحنين والوفاء والشوق، فالشاعرة تسترجع الماضي والذكريات وببئتها المفقودة (أنهارها وجداولها وجمالها الطبيعي) الذي يُشكّل جزءاً من هويتها وعراقتها. وفي قصيدة (رسالتان إلى الكويت) تقول:

ضمّيه يا نسائم الخليج في الضُّلوع

فهو غريب متعب ضاقت به الدروب.

و يا رمال الشطّ في الكويت

يا شفة الصحراء تمتص من الخليج

^(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٢٠.

سفائن البترول والغبر والمحار

تبيني خطي حبيبي تعبّر القفار

على خيوط الشمس واللهفة للمجهول

تستعجل الفجر، وتقصي لفتة الأصيل^(١)

قدّمت (عمارة) في رسالتها إلى الكويت خطاباً عاطفياً مكثّفاً، إذ تتوسل بالطبيعة وتطلب منها أن تتقمص دورها وهي في حالة اشتياق وحنين إلى حبيبها وطنها أو حبيبها (السياب)، وأن تمنحه المزيد من القوة والصبر والصمود في وجه القسوة، من خلال تشخيصها لنسائم الخليج بقولها (ضميه)، كما شخّصت (شفة الصحراء، والفجر)، لتعبر عن عاطفتها المتأججة، وهي تنادي (رمال الشط) في الخليج بوصفه مكاناً قريباً من روحها، لذلك نجد أن حضور السفر جعل الطبيعة جزءاً رئيساً في خطابها الشعري، فهي تبث همومها وشكواها للطبيعة قبل الإنسان، "فالعودة إلى الطبيعة حملت معنى طلب الحرية والثورة على التناقضات والقيود والمؤسسات الاجتماعية، والدينية، والاقتصادية، والأدبية. فكانت الطبيعة نقيضاً لكل ما وجدوا فيه انتهاكاً لحرية الإنسان"^(٢)، نظراً لتقلبات البشر وانعدام القيم الإنسانية تجاه الأوطان،

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١١٩.

(٢) حركية الابداع دراسات في الادب العربي الحديث، خالدة سعيد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م: ٢٩.

اتخذت من الطبيعة التي اعتادت عليها منذ الصغر عنصراً أزلياً وثابتاً تستعيد فيه صورة بغداد، كما تُظهر إدراكاً مبكراً لعلاقة الإنسان ببيئته الطبيعية؛ إذ ترى في الصحراء والخليج العربي منظومات بيئية تعرضت للهدر واستنزاف ثرواتها، وفقدت براءتها الطبيعية بفعل الهيمنة المادية التي لا ترى الأشياء لقيمتها الذاتية بل لقيمتها الاستهلاكية .

والشاعرة (عمارة)، على ارتباط مباشر مع الطبيعة والكائنات الموجودة فيها، فهي تحسّ وتشعر فيها، بوصفها جزءاً من النظام البيئي، الذي له حق المشاركة في الوجود فمن هنا تقول في قصيدة (أحلام الغيوم) :

أحنُّ إليك كطير سجين

فما الغيمُ لولاك إلا ظلام

وما الأرضُ ممطورةً

غير طين^(١)

في هذا النص الشعري تتحوّل العناصر الطبيعية المتمثلة بـ (الطير، والغيم، والمطر، والظلام) إلى رموز للهجرة والحنين والبُعد الروحي. بما يحمله من معاناة وأزمة وجودية وبيئية، فاتخذت من (الطير السجين) صورة للكبت النفسي والحزن الداخلي المؤلم والحرية المفقودة، إذ يشارك الطير الشاعرة آلامها وأحزانها وحنينها، كما يتحول

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٦١.

المطر- بوصفه رمزاً للخصب - الى ظلام ، وتغدو الأرض مجرد طين بلا حياة،
فالشاعرة تُبصر معاني البهجة والحرية والأمان مع لقاء حبيبها وطنها، وفقدانه يعني
فقدان الذات والإحساس بالحياة.

فإنّ أزلية الماء تجاوزت الزمن الإنساني، وتصوره كائناً حياً، ولعل اختيار الشاعرة
(عمارة)، الخليج العربي، يعود إلى قربها الجغرافي من العراق، وإلى رغبتها في أن
يصل صوتها إلى بغداد التي اشتاقت إليها.

ومن هنا تتوافق رؤية الشاعرة مع (غاستون باشلار G-Bachelard)* في كتابه
(الماء والأحلام)، إذ يرى إن "الماء يمثل كائناً شاملاً: له جسد وروح وصوت، وقد
يُكوّن للماء أكثر من أي عنصرٍ آخر، واقع شعري كامل، على الرغم من تنوع
مشاهده"^(١).

ومما سبق نستنتج: أنّ القداسة الكاملة للماء ليست حكراً على النصوص الدينية
والأساطير القديمة، بل تجددت في الأدب الحديث؛ ولاسيما في الشعر العراقي

* غاستون باشلار G-Bachelard: ولد في (١٨٤٨) في بلدة بارسوب آوب في شرق فرنسا،
علّم الفيزياء والكيمياء ثم الفلسفة والعلوميات في المدارس المتوسطة، ثم عُيّن استاذاً في جامعة
ديجون، ومن أهم كتبه (التحليل النفسي للنار)، (الماء والأحلام)، (الهواء والأحلام)، توفي في
باريس عام ١٩٦٢م. ينظر: الأرض وأحلام يقظة الراحة: ٣٨٥.

(١) الماء والاحلام -دراسة عن الخيال والمادة، غاستون باشلار، ترجمة: علي نجيب إبراهيم،
مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت، ٢٠٠٠م: ٣٥.

المعاصر، وهو ما تعكسه تجربة الشاعرة لميعة عباس عمارة التي جعلت من الطبيعة سياقاً لتجسيد الوعي الإنساني والبيئي بوصفهما جزءاً لا يتجزأ من الهوية .

المبحث الثاني

الطبيعة في شعر لميعة عباس عمارة

المدخل

تُعد الطبيعة من الموضوعات الحيّوية التي حظيت باهتمام واسع في عصرنا الحالي ؛ لما تشهده الأرض من تحديات بيئية تمس جميع العناصر الحيّة وغير الحيّة ضمن المنظومة البيئية، بوصفها المعيار الرئيس لاستدامة الحياة على الأرض. فضلاً عن ذلك، فإنّها تُشكّل الإطار الحيوي الذي تنبثق منه جميع أشكال الحياة.

وخلّقت الطبيعة قبل البشر، وهي من صنع الخالق سبحانه وتعالى، وهي كل ما يحيط بنا من الكائنات بأصنافها الصامتة والمتحركة، التي ليس للإنسان أي دخل في وجودها، ولكل عنصر من عناصرها دورٌ رئيسٌ في النظام البيئي. وإن تفاعل تلك العناصر مع بعضها، هو خلق توازن محكم تتجلّى فيه بدائع الصنع الإلهي، وتترابط المكونات الحيّة وغير الحيّة مع بعضها في شبكة علاقات معقدة ومنظمة ومتكاملة حفاظاً على التوازن أو التكامل البيئي؛ إذ يُعد التوازن البيئي مركزاً من المراكز الاستراتيجية المستدامة التي تضمن الحياة لجميع الكائنات على سطح الأرض^(١).

(١) ينظر: الانسان والبيئة، مشكلات البيئة المعاصرة، عصام عباس بابكر كرار، (د.م)، (د.ط)،

وتحمل الطبيعة غير البشرية في الوجود نوعًا من الاستقلال، وذات مركزية وأثر كبير بغض النظر عن الطرف الآخر المتمثل بالإنسان، كما يقول رولستون: إنَّ "العلاقة بين الإنسان والطبيعة، علاقة تفاعلية، وعلاقة تجاذب بين المتضاد، مثل: الأم والزوجة والطبيعة،... فالطبيعة هي القلب الذي نخرج منه جميعًا وتظل شريك الحياة وهما تيار الغيرية الذي نحتاج إليه بعمق"^(١).

ويُعنى النقد البيئي بعمل الأنظمة الأخلاقية تجاه الطبيعة (الأم) أكثر من اهتمامه بعمل الأنظمة البيئية^(٢)، ويمكن القول بأنَّ "عالم الطبيعة مهما تأنس يُعد عالمًا مفارقًا للإنسان الذي يحيل المحيط بفضاءاته المختلفة إلى موضوع"^(٣).

واهتم الشعراء قديمًا وحديثًا بالطبيعة وكل عناصرها وظواهرها، لما لها من أهمية كبرى في خيال الشعراء؛ وذلك لأنَّ الطبيعة في الآداب الإنسانية كافة، تُعد مصدرًا للشعر لا يقل أهمية عن الحياة ذاتها. وقد يتباين الشعراء في مقدار تأثرهم بالطبيعة المحيطة بهم؛ إذ عن طريقها يجسدون التعبير عما يجول في خواطرهم، وتبرزُ من خلالها الكثير من المعاني والصور الرائعة، فلا يمكن لأي إنسان التقليل

(١) إشكالية القيم بين الإنسان والبيئة-دراسة تطبيقية في فلسفة (هولمز رولستون) الايكولوجية، معتز احمد، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، العدد(١)، المجلد (١٣)، ٢٠٢١م: ٩٦٤.

(٢) ينظر: النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات: ١٦٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٤٠.

من شأنها وأهميتها^(١). "قالشعر ابن الطبيعة، فيها نشأ، وفي أحضانها ترعرع، وبمُثلها العليا بلغ الكمال"^(٢).

وتعاملت الشاعرة لميعة عباس عمارة مع البيئة فأضفت عليها لمساتها لقوة أثر البيئة في نفسها، وغناها بالدلالات المعبرة عن مكوناتها لارتباطها الوثيق بها. فعبرت عن حبّها للطبيعة وطريقة انتمائها بمختلف عناصرها وموجوداتها الأرضية والسماوية. وهذا كثير ما يلائم قول سيد نوفل إنّ الطبيعة هي : "الملمح الأول لكل فن من الفنون، كذلك كانت، وكذلك لا تزال زواجاً بين النفس والطبيعة تخلق حالات من الوجدان تستحيل شعراً، أو تستحيل موسيقىً، أو تستحيل نقشاً وتصويراً"^(٣)، فخطبت الطبيعة بأحاسيسها المليئة بالحب والشجن، وعبرت عن انتمائها الروحي والعقلي، ومن أهم العناصر التي وظفتها الشاعرة في عموم تجربتها الشعرية هي (الأرض والنخيل):

(١) ينظر: الطبيعة في شعر محمد توفيق علي، أسماء عربي عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة أسوان، العدد (٥٢)، ٢٠٢١م: ١٦.

(٢) شعر الطبيعة في الأدب العربي : ٢٥.

(٣) المصدر نفسه: المقدمة: و.

أولاً: الأرض

شكّلت الأرض منذ أقدم العصور محوراً رئيساً في الفكر الإنساني، فهي الكوكب الذي يحتضن الحياة، وهي موطن الإنسان الأول ومصدر وجوده، وتفاعلاته الحضارية والطبيعية، فهي ركيزة ذات أبعاد فكرية وثقافية وجمالية.

ويُعدّ كوكب الأرض أحد أفراد المجموعة الشمسية، وهو كوكب فريد في كل صفة من صفاته، مما أهله بجدارة أن يكون مهداً للحياة الأرضية بكلّ مواصفاتها، والأرض في اللغة اسم جنس للكوكب الذي نحيا عليه تمييزاً له عن بقية الكون. ولفظة الأرض مؤنثة، والأصل يقال لها (أرضة) والجمع: (أرضون، أرضات)^(١).

وقد خلق الله تعالى الأرض ومهدّها وهيئاً سُبُل الحياة فيها، ولعل هذا التأهيل هو أحد مقاصد الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها الحق: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾^(٢)، وقد ورد ذكر الأرض بالقرآن الكريم في آيات كثيرة وفي دلالات مختلفة متباينة بتباين المواقف والموضوعات. فورد ذكرها في مجال الخلق، فقال

(١) ينظر: الأرض في القرآن الكريم، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة، ط١، بيروت،

٢٠٠٥م: ٨٠-٨٤.

(٢) سورة الذاريات الآية: ٢٠.

تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١)، كما جاءت في ذكر معنى الاستقرار، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٢).

وتشكّلت الحياة الإنسانية من مجموعة أحداث متسلسلة متلاحقة، حُدّدت أبعادها بمظاهر مختلفة تتحكم بها شبكة من العلاقات التي تربط الإنسان بمكانه، فضلاً عن تعميق وجوده وانتمائه إليه^(٣). "وعلاقة الإنسان بالمكان قديمة وجدت بنزوله إلى الأرض حين لجأ إلى الكهوف الطبيعية والأشجار التي تحميه من الحرّ والمطر"^(٤).

وتتجلى الأرض - بوصفها حضارةً - في أرقى صورها عندما وصفها العالم (كارل ساجان Carl Sagan*) (بالنقطة الزرقاء الباهتة) في المنظور العلمي

(١) سورة البقرة الآية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية: ٣٦.

(٣) ينظر: الرواية والمكان، ياسين النصير، الموسوعة الصغيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م: ٩-١٠.

(٤) جماليات المكان في الشعر العباسي، حمادة تركي زعيتر، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١٢م: ٥٨.

* كارل ساجان (Carl Sagan): هو أستاذ الفلك وعلوم الفضاء في جامعة ديهد دنكان، وخبير ومستشار لوكالة (ناسا) منذ الخمسينيات، ينظر: كوكب الأرض: ٥٠٧.

الفلسفي الذي يؤصل لفكرة التنوع الثقافي واللغوي، وقد وقعت هذه النقطة الباهتة متحدية جميع أوضاع البشر المصطنعة^(١).

وتوزعت علاقة الإنسان بالأرض على ميادين كثيرة نظراً لاهتماماته، و لم تعد تقتصر على الوجود والعيش فيها، بل امتدت إلى علاقات كثيرة لا حصر لها واستعاض الإنسان عن ذكر بعض الظواهر المكانية المحددة بذكر كلمة الأرض مع شمولية دلالاتها.

وكانت الأرض بمظاهرها الجميلة، وفضاءها اللامحدود وآفاقها الرحبة مصدراً لإلهام الشعراء^(٢)، وتبرز لميعة عباس عمارة في فضاء الشعر العربي والعراقي المعاصر، بوصفها نموذجاً شعرياً تتجلى فيه خصوصية العلاقة بالأرض؛ إذ ظهرت الأرض بوصفها محوراً مركزياً في رؤيتها الإبداعية، ولم تتحقق هوية الشاعرة العراقية من دون الأرض؛ لأنها عاشت على أرض العراق، أرض الآباء والأجداد وزرعها وحرثها وحضارتها فقد امتزج طينها وثرأها بدمها، وفي جماليات قلب الشاعرة التي ترى في الأرض كل مقومات الشموخ والإباء والمحبة والسلام. فنقول في قصيدتها (يوم السلام):

(١) ينظر، كوكب الأرض، كارل ساغان، تر: شهرت العالم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠م: ٢٢.

(٢) ينظر: جماليات المكان في الشعر العباسي: ٥٩.

يا خُضرةَ الحقولِ

يا عيونُ يا وديانُ

يطيرُ بيَّ عيدُ إليكِ ألثمِ الأغصانِ

أعودُ في الطيورِ بعدَ الذُّعرِ للأمانِ

أجري مع النبعِ إلى الدبكةِ والمزمارِ

ألعبُ بالثمارِ، أجيءُ والسلامِ

يباركُ الرعاةَ والقطعان^(١)

لقد استأثرت البيئة الطبيعية بمكانة كبيرة في شعر لميعة عباس عمارة، وإن دلت على شيء فإنها تدل على انتمائها لتلك الطبيعة، فوصفت مناظرها وطيورها ونباتاتها فاندمجت الذات الشاعرة مع الطبيعة في نوع من الاحتفال الروحي والأخلاقي الذي يربط بين السلام الإنساني والسلام البيئي، وقد ألقت الشاعرة أفضل النعوت المعطرة بجمال اللفظ الذي يخص انتماءها لتلك الطبيعة من (عيون، وديان، حقول، ينابيع، الطيور، الثمار، الأغصان، الرعاة، القطعان) وقد افتتحت الشاعرة بمناداة عناصر الطبيعة (يا خضرة الحقول، يا عيون، يا وديان) وتعاملت مع هذه

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٩٤.

العناصر على أنّها كائنات بشرية آدمية تستحق الخطاب والنداء ، وهذا النداء جوهر الوعي البيئي، وقد اتخذت من (خضرة الحقول) رمزاً للإزدهار والسلام، وعبرت عن اشتياقها لأرض الوطن في قولها : (يطيرُ بيَّ عيدُ إليك ألثم الأغصان) وقد وظّفت مفردة (ألثم) التي تحمل دلالة الحب العميق، والعاطفة القوية تجاه أرض الوطن، وجعلت من عودة الطيور (أعودُ في الطيورِ بعد الذعر للأمان) لتعزيز الشعور بالانتماء إلى أرض الوطن، على الرغم من البُعد والتهجير، فجعلت هذه العناصر البيئية جزءاً من هويتها واستمرار الصلة العاطفية بالأرض عبر الاجيال. واندمجت الشاعرة في قولها : (أجري مع النبع) بما يرسخ قيمة المياه. بوصفه شريان الحياة النابض، ووصفت أناشيد الرعاة (الدبكة والمزمار) التي تحمل الأيكولوجيا الثقافية التي تربط الفرح بالفضاء الطبيعي ، وجمال القرى التي تربّت في أحضان الطبيعة مبتعدة بذلك عن متاعب الحياة ، "إذ كانت الطبيعة محض أداة بيد الإنسان ، أعطيت الآن ولأول مرة وجوداً ذاتياً... وربما كانت مراقبة الطبيعة هذه مما أدى إلى إدراك طبيعتها الحركية العضوية، ذات الحياة دائمة التغيّر، المتنوعة في مزاجها بتنوع حياة الإنسان ذاته"^(١). وخاطبت عمارة الطبيعة بمشاعرها وأحاسيسها المفعمة بالحبّ، وتغنّت بجمالها، فوصفت وديانها وسهولها وجداولها وطيورها، فجاء تصويرها

(١) موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

ط٢، مج(١)، بيروت، ١٩٨٣م: ٢٠٣-٢٠٤.

متسقاً مع طبيعتها الشعرية المرتبطة بعناصر البيئة فتقول في قصيدة (نوروز في أربيل*):

نوروزُ الراعي

وخرافُ بيضُ سُرحُ في الوديان

وبقايا ثلجٍ فوق (سري رش) و(حاجي عمران)*

تُغري قَدَمَيَّ

تغوصان به

يرميني بالثلجِ حبيبي

فأصيحُ وأركضُ

أهوي فوق الثلج، ونضحك^(١)

في هذا النص ألقت الشاعرة عناصر الطبيعة . بوصفها مكونات فاعلة في بناء الصورة الشعرية بما يعكس الانتماء للطبيعة في أجلى صورها ومعانيها، فعبرت

* أربيل: مدينة تاريخية عريقة في شمال العراق، اسمها القديم (اربا إبلو) أي الآلهة الأربعة، وقلعتها المشهورة التي كان عليها معبد عشتار.

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٠٥.

عنها بوجودها المعنوي والمادي الذي يؤثر على وجودنا وكياننا^(١)، بطريقة من الطرق المتمثلة بالمفردات مثل (نوروز الراعي والوديان والثلج وخراف بيض)، التي وصفت بها أرض شمال العراق، الذي يبرز تفاعل الإنسان مع الطبيعة والبيئة في احتفالية (عيد النوروز) في مدينة (أربيل) حيث خُلِقَ حوارٌ شعريٌّ بين أرض مدينة (أربيل) العراقية بجمالها ووديانها وهضابها وتقاليدها وأرض المنفى وتستحضر (عمارة) جبال أربيل (سري رش) و(حاجي عمران) رموزًا للثبات والهوية والانتماء للأرض العراقية من شمالها إلى جنوبها. فحاورت الشاعرة جميع موجودات الطبيعة التي تبعث في النفس حبَّ الانتماء الممزوج بروائع تلك الطبيعة بصورة (خراف بيض) الذي يمثل النظام البيئي المتكامل، وحاورت أيضًا (بقايا الثلج) للتخفيف عن حزنها وألمها، فالثلج إلى جانب أنه عنصر في الطبيعة، فهو رمز للسلام والسكينة والطمأنينة المفقودة في حياة الشاعرة. فهذا النص يكشف تواصل (لميعة عباس عمارة) مع عناصر الطبيعة ودورها في الحياة، فصوّرت عالم البيئة الطبيعية من خلال الصور المتلاحمة المتسلسلة للكائنات بنظام بيئي واحد، ولم تتوقف الشاعرة إلى هذا الحدّ، بل مزجت بين تفاعل الإنسان والآلهة، وعناصر الطبيعة في القصيدة نفسها فتقول:

(١) ينظر: الطبيعة في القرآن الكريم، كاصد ياسر الزبيدي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، ١٩٨٠م: ٨.

رئتاي العاشقتان هواءك يا كردستان

كوخ في حزنك مملكتي

أمنيّتي

أو قبر بين النرجس أغفو فيه

أغفو فيه على عطر

فأنا عاشقة مُدمنة حتى بعد الموت

كل رعاتك تهواهم عشتار^(١)

وهذا النص يُظهر تعبيراً قوياً عن الارتباط بأرض الوطن، فهي ليست مجرد قطعة جغرافية، بل رمز للوجود والمعنى الروحي للشاعرة، وتأتي عبارة (رئتاي العاشقتان هواءك يا كردستان) لتلفت الانتباه إلى فاعلية هذا العنصر مع البيئة، فالرئتان لا تستنشقان الأوكسجين، بل تتنفسان رائحة الهواء الجبلي ورائحة الطفولة والهوية، مقارنة بهواء المنفى، ومن هنا تندمج هذه المفردات بين قضايا الأرض

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٠٦.

وقضايا الجسد في الانتماء للوطن، عبر ثنائيات (الكوخ والمملكة ، والموت والحياة، والواقع والحلم)، فهذه الثنائيات تقوم على التوازن والتقابل^(١).

والأمنيات كثيرة عند الشاعرة، وأبسط هذه الأمنيات أن تجد قبراً صغيراً بين أزهار النرجس البرية يضم رفاتها، وهي الثقافة رقيقة مؤثرة لا يتمناها إلا من عَرَفَ قيمة الوطن وعظمته. وأخيراً ختمت هذا النص بذكر الآلهة (عشتار) التي "تميّز" بها العراقيون القدماء؛ إذ اعتقدوا أنّ آلهتهم تتميز بالصفات التي يتصف بها البشر^(٢). فالشاعرة تستعيد هذا الوعي البيئي من خلال العلاقة الأسطورية عشتار بوصفه نوعاً من التوازن بين الخصب والجفاف ، وجمال الطبيعة وقسوتها، فالأزمة البيئية في عمقها أزمة أخلاقية، ولا يكفي التعرف على مشاكل هذه البيئة أو مكوناتها، بل لابد من إعادة تنظيم وتأسيس أخلاقيات جديدة، ووعي جديد، أي إعادة العلاقات بين الإنسان والبيئة، الذي يعتمد على مبدأ التكافل، وهذا يقود البشرية إلى

(١) ينظر: الثنائيات الضدية- دراسات في الشعر القديم، سمر الديوب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٩م: ٩.

(٢) ظلم الآلهة عشتار في الأدب العراقي القديم، الباحث: ضياء رحمن نعمة، أ.م.د. محمد فهد القيسي، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة كلية التربية، المجلد (٣)، الجزء (٣)، العدد (٤١)، ٢٠٢٠م: ٢٥٣.

حماية البيئة والحفاظ عليها^(١)، ومسؤوليتنا في التعامل مع بعضنا الآخر بمزيد من الوعي والعطف والرعاية، والحفاظ على هذه الأرض والاعتزاز بكل أجزائها، فهي موطننا الوحيد الذي نلجأ إليه .

والشاعرة تذكر وطنها بوفاء ، وتعهده بأنها ستواصل الحياة فتقول :

سلامٌ لحركٍ يشوي الوجوه

أذبت به الصبر حتى انفجر

سلاّ من القمح للحاصدين

وغاراً يُحليّه ذاك الظفر

أتموز، أعلم أنّي سكّث

عن الشّعْر، هَبْنِي جوادًا عَثْر^(٢)

وترسم الشاعرة هذه الصورة التي يظهر فيها التجذر البيئي العميق في أرض الوطن، التي لم تستطع الغربة أن تمحوها من ذاكرتها فهي كثيراً ما تقابل بين

(١) ينظر: النقد الايكولوجي، مايكل برانش، ترجمة: معين رومية، مجلة توافد، العدد (٣٦)،

٢٠٠٧م: ٢٩.

(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣١٩.

الحبيب (تموز) البطل الأسطوري وشهر تموز الحار، وبين الفصول الأخرى، وهي في أرض غير أرضها لتعبر عن الوجد والالم والغربة. والشاعرة (لميعة عباس عمارة) من الشعراء الذين لم يستقروا في بيئة واحدة، بل عاشت في بيئات مختلفة، ولكل منها طابعها الخاص الذي أثر في شخصيتها وهويتها وانتمائها، فالانفصال عن الأرض ليس انفصلاً عن مساحة جغرافية، بل انفصلاً للذات المتجذرة، لأنّ الأرض أيقونة رمزية لكل معاني الحياة بما فيها من مياه ونخيل وغيرها من عناصر البيئة الطبيعية.

وهكذا تتجلى الطبيعة في شعر لميعة عباس عمارة بوصفها عنصراً مركزياً في تشكيل التجربة الشعرية، وفضاءً دلاليًا يعكس تداخل الإنسان بالمكان، ويكتف وعي الشاعرة بالبيئة ودورها في بناء النص الشعري.

ثانياً: النخيل:

سجّلت النخلة حضوراً متميزاً في الثقافة العربية الإسلامية، لما لها من مكانة حضارية مرموقة؛ إذ تواتر ذكرها منذ القدم في الكتب المقدسة والأحاديث النبوية الشريفة، وفي مختلف آداب العرب.

ويُعدّ النخل من أقدم أصناف الشجر الذي عرفته البشرية، وقد وردت إشارات إليه في (شريعة حمورابي) التي تُعد من أقدم الشرائع البشرية، وكثُر استعمالها في

العراق وخصوصاً في الإمبراطورية الآشورية ، وعُرفت باسم (شجرة الحياة)؛ إذ عُدَّت رمزاً من رموز آلهتهم، حيث أُتخذت رمزاً للشمس متأثرين بما هو كائن في الحضارات السابقة من تقديس وتبجيل، واتخذها البابليون رمزاً مقدساً لعلاقتها بالشمس سموحاً، وقد زُينت بها ردهات المعابد الداخلية ومداخل المُدن وعروش ذوي التيجان^(١).

والنخلة شجرة مثمرة مباركة دون سواها، وثروة نباتية حبا الله بها الإنسان، وقد فضلها الله تبارك وتعالى، ونظراً لأهمية النخيل للإنسان فقد ورد ذكرها في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، وقد خاطب سيدتنا العذراء، كما جاء في سورة مريم: ﴿وَهَزِيَ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رَرْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾^(٣) وبكل هذا يشير إلى أنَّ هذه الشجرة مباركة، كان لذكرها في القرآن تقديس، وفي حديث الرسول تقدير^(٤)، وقد وصفها الرَّحالة الأوروبي (هاينريش فون مالتزان Heinrich von

^(١) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، الشركة المتحدة للنشر، ط١، بيروت، ١٩٧٠م: ٧٠.

^(٢) سورة مريم الآية: ٢٥.

^(٣) سورة ق الآية: ١٠-١١.

^(٤) ينظر: النخلة سيدة الشجر، عبد القادر باش أعيان العباسي، مطبعة دار البصري، بغداد، ٢٠١١م: ٥٠٤.

(Maltzan) بقوله: "هنا تنتشر النخلة الهيفاء سعفها الجميل، وشجرة اليوغا ترفع رأسها الشبيه برأس النخلة في جلال، وبحر من الصبّار المتنوع يتعانق فوق الأرض، وكأن القمر يصيب ضوءه المخيف فوق سعفها البديع، ويرسم ظلالها فوق الصحراء الهادئة اللامتناهية"^(١).

وقد شغلت النخلة حيّزاً كبيراً في الذاكرة الشعرية العربية قديماً وحديثاً، وقد تحولت من نبتة أو كائن نباتي، إلى كائن بشري ومعنوي، فأصبحت رمزاً معنوياً يمثل (الوطن والمرأة والعطاء والشموخ والوفاء والمقاومة والقضية الإنسانية العادلة، والقداسة) ويُعدّ العراق في طبيعة البلاد العربية المالكة للنخيل في العالم، كان وما يزال من المناطق المشهورة بجودة تموره وكثرتها في مختلف مراحل التاريخ، فإنّ مواطن النّخيل الأصلي هو الخليج العربي، إلّا أنّ هناك مناطق أخرى كثيرة ذكرتها الكتب منها: وادي النيل وشمال أفريقيا ومناطق مختلفة من المعمورة، لذلك فإنّ

* هاينريش فون مالتزان (Heinrich von Maltzan): ولد في مدينة (درسدن) في يوم ٦ سبتمبر من عام ١٨٦٢ وتخرج عام ١٩٥٠م، ينظر: ثلاث سنوات في غربي شمال أفريقيا: ٥
(١) ثلاث سنوات في غربي شمال أفريقيا، هاينريش فون مالتزان، ترجمة: أبو العيد دودو، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الجزائر، ٢٠٠٨م: ٤٤.

النخلة شجرة مقدسة ، هي رمز التكاثر والأطمأنينة والانتصار على كل ما ينغص
حياة الإنسان اليومية^(١) وإلى مثل هذه القدسية يُشير المعري في قوله:

وَرَدْنَا مَاءَ دِجْلَةٍ خَيْرَ مَاءٍ وَزُرْنَا أَشْرَفَ الشَّجَرِ النَخِيلِ^(٢)

لبيان منزلتها وفضيلتها على بقية أنواع الشجر، كما حضرت النخلة في الشعر
العراقي ولعل أشهر ما قيل في قصيدة بدر شاكر السيّاب عندما أراد وصف عينيّ
حبيبته استحضر البيئة الطبيعية، وأهم ما فيها (غابات النخيل)، ويقول في مطلع
قصيدته (إنشودة المطر):

عَيْنَاكَ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرِ،

أَوْ شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنْأَى عَنْهُمَا الْقَمَرُ^(٣)

وكما قال الجواهري في قصيدة (يا دجلة الخير)^(٤):

وَسِدْرَةٌ نَبْعُهَا خَصْدٌ، وَسَاقِيَةٌ وَبَاسِقُ النَخْلِ مَعْقُوفُ الْعَرَّاجِينَ

(١) ينظر: النخلة في حضارة وادي الرافدين، عبد الملك يونس عبد الرحمن، مجلة آداب الرافدين،
العدد (١٠)، ١٩٨٢م: ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) سقط الزند، أبو العلاء المعري ، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م: ١٦٢.

(٣) ديوان بدر شاكر السيّاب: ١٢١.

(٤) ديوان الجواهري، محمد مهدي الجواهري، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ٢٠٢١م: ٢٤/٥.

والشاعرة (عمارة) ارتبطت وانعجنت بنخيل العراق وذابت صباة به ؛ لأنها تشاق إلى رشفة من نهر دجلة التي عاشت بجانبه ، وزرعت على ضفتيه أحلى الذكريات، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائدها من ذكر النخيل أو متعلقاته كالسعف والطلع والتمر، فالشاعرة مسكونة ببيئتها وطبيعة بلادها التي تتميز بهذا النوع من الشجر، فحملتها دلالات عدّة أهمها الرفعة والعزة والكرامة ، فالنخلة رمز الخصب ؛ إذ تؤكد صورة ألصاقها بالأرض فهي الرمز المكثف لكل ما في الوطن ، كما في قصيدة (Lee Anderson):

- ويتحدث لي أندرسن عن كل النّخل بحب
- يعلم كيف أتى
- أو جيء به تهريبا من بلد النهرين
- يعلم أنّ الحرّ إذا جاء شديداً
- يُسرّع في إنضاج الرُّطب^(١)

أبرزت الشاعرة الجانب الحضاري والبيئي المشرق لدى الطرف الآخر، وهو المواطن الأمريكي (لي أندرسون) ف(أندرسون) عاشق النخيل، ويتحدث مع الشاعرة عن النخيل بكل تفاصيله، وهي مستمتعة بالحديث؛ لأنها وجدت شخصا يتفق معها في النظر إلى النخيل، لكن نظرة (عمارة) تختلف عن نظرة (أندرسون)، فالنخيل في

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٥٠٨.

نظرها رمز للمثل الأعلى الجمالي، وقيمة ثابتة وراسخة، وقد تختفي زمناً لكنها مزروعة في وجدان الشاعرة؛ لأن النخيل هنا صنو الذات ورديف الوطن.

أما (اندرسون) الذي يملك بستان نخيل في (كاليفورنيا) فينظر إلى النخيل على أنه شيء جميل ويسعى إلى العناية به عناية فائقة ؛ ولا سيما أنه عانى كثيراً في سبيل تهريبه إلى بلده أو شرائه من التجار المهربين، فالجمال لديه محصور في الجانب المادي الملموس، يحب شكله وثماره التي يحفظ أسماءها، لكن هذا الحديث مع (أندرسون) يكشف أيضاً الفساد والخراب البيئي الناتج عن تهريب النخيل من بلد النهرين إلى كاليفورنيا، ويحاول (أندرسون) التحدث مع الشاعرة مطوّلاً حول خصائص النخيل وأنواعه والمناخ الجغرافي الملائم له. إلا أن البُعد المادي جعل (اندرسون) ينوء بحزنه وألمه أمام مشاهد النخيل المحروقة في زمن الحرب العراقية الإيرانية تقول :

- في موسم ما بعد الحرب
- كان حزيناً جداً لي اندرسن
- شاهد في التلفاز
- صورَ النخل المحروق على مدِّ البصرِ
- منتصباً أعمدةً سوداء
- كنساءٍ بثيابٍ حداد

- كأرامل بغداد
- وثكالى بغداد
- منتصبًا يقف النخل المحروق على مدِّ البصر
- شهداء لم تُدفن
- ليُذكر بالحرب العثمانية
- ترثيه الريح
- وتُعول نادبة:
- حتى النخل ضحية؟
- حتى النخل ضحية؟^(١)

وتتكرر صورة النخلة بوصفها رمزًا مركزيًا، وتبرز المفارقات بين الجمال والقبح ، والحب والظلم ، والحقيقة والخيال ، في مشاهد النخيل المحروق ، فضلاً عن اجتثاث الملايين من شجر النخيل لإقامة مستودعات للأسلحة في زمن الحرب، فأصبحت بساتين النخيل أعجازًا خاوية، وأن (أندرسون) يتفجّع عليها بوصفها ضحية للحروب المفتعلة، والكوارث الطبيعية المختلفة، وقد بينت الشاعرة آثار الحرب على البيئة وما خلفته من فوضى وعبثية و ما أحدثته من تدمير في النظام البيئي، فتقول:

- حتى النخل ضحية؟

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٥٠٩.

– حتى النخل ضحية؟

وهي صرخة بيئية مؤلمة تجسّد آثار الحرب واختلال التوازن البيئي وعدم توازنها؛ إذ أصبحت الطبيعة تدفع ثمن الصراعات البشرية، وهذا يمثل مرحلة "ينهار فيها النظام الأيكولوجي ويصبح غير قادرٍ على العطاء نظرًا لاختلاف مستوى التوازن بشكل جذري"^(١)، كما أنّ مفردة النخلة أو النخيل تنوب عن (الوطن) بوصفها المثل الأعلى للجمال لدى الشاعرة. وفي قصيدة (شتاء باريس) تقول:

تتقاصرُ أشباحُ الأبنية الدكناء من البردِ

وتسكنُ أوصالُ الشجرِ

وأنا في صمتي الثلجي بساتينِ نخيل خرساء

وبيتٌ من شعرٍ^(٢)

في هذه الثنائية تصوّر الشاعرة أنّ النخيل – حتى في المخيلة – يبقى حاضراً ، فهو لا يعيش في زهوه وشموخه خارج أرض العراق ، لأنه نخيل أخرس يتجاوب مع صمت الشاعرة الثلجي، بينما الأبنية الدكناء والأشجار الساكنة لا تمنح الدفء، فتغدو الغربة حالةً تزيد الإحساس بالعجز والاغتراب.

^(١) التلوث البيئي في العراق وأثره على الصحة والأمن الصحي، هادي فيصل سعدون، مجلة

كلية التربية الأساسية، العدد (١٠٢)، مجلد (٢٤)، ٢٠١٨م: ٤٠٤.

^(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٠٩.

ويبقى (النخيل) رمزَ الشموخ والأصالة والثبات والبقاء، وهي تتفعل بما ينفع به الوطن وجدانيًا، وتحسّ بما يحسّه من اللوعة والأسى وحسرة الاغتراب، فهو مُقيم في روح الشاعرة، وحاضر في المقارنة، وفي قصيدة (دموع على وجه عراقي كئيب)، تقول:

فرسًا جموحًا كنتُ لم أعثر ولم يسهل قيادي
بي من شموخ النخل والكرم المؤصل في بلادي
كان اعتزازي أن أجوعَ ولا أطأطيءَ كالنخيلِ
أنسيثُ يوماً كبريائي حين ضيّعني دليلي
فإذا يدي تمتدُّ للصدقاتِ
يرميها الذي قتل الحضارة للقتيل^(١)

وظّفت الشاعرة عناصر الطبيعة الحيّة من (نبات وحيوان) المتمثلة ب(النخيل والفرس) في تداخل بين الذات و الطبيعة والمساواة بينهما، فهي العراقية التي لا تُقهر ولا تُكسر كفرس عربيّة أصيلة جموح. والفرس عند العرب هي رمز للقوة والاعتزاز بالنفس التي ترفض القياد والسيطرة؛ وذلك لارتباط الفرس في المخيال العربي

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٥١٨.

بالفروسية والنبل والوفاء للأرض^(١)، مما عزّز حضور البعد الرمزي في النص، كما عززت الشاعرة الوعي بالعلاقة بين الإنسان والطبيعة المتمثلة بـ (النخيل) فقد عُرفت النخلة منذ القدم بارتفاع رأسها إلى أعنان السماء وشموخ قامتها، مما جعلها عرضة للكوارث الطبيعية والمفتعلة، فظلت النخلة في الشعر العربي المعاصر هي المرأة بكل تجلياتها معادلاً موضوعياً للقضايا الإنسانية العادلة، فكلاهما يشتركان في كثير من الخصائص والصفات كالشموخ والمقاومة والصبر والقوة والتجّد في مواجهة الصعاب، فهي تمثل التجسيد البيئي لمفهوم الكبرياء الإنساني، وأما ما يرتبط بصورة (الصدقات) التي تمتد إليها يد الشاعرة، فإنه يمثل حالة من الانكسار الإنساني، أي انتقال الذات من حالة الكرامة و الاكتفاء إلى حالة الاستجداء تحت ضغط الواقع، وهو ما يعكس توتر العلاقة بين الذات و البيئة في المنفى أو البيئة الأمريكية المعادية. وفي هذا السياق تأتي الجملة الشعرية: (يرميها الذي قتل الحضارة للقتيل) لتجسد رؤية الشاعرة لقتل الحضارة بوصفه نوعاً من الإبادة للمنظومة البيئية والثقافية في آن واحد، حيث لا ينحصر التدمير في الجانب المادي، بل يمتد إلى البيئة الثقافية و الرمزية للوجود الإنساني.

^(١) ينظر: تطور الصورة في الشعر الجاهلي، خالد محمد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٥م: ١٤٩.

كما تنتشد الشاعرة في نهاية القصيدة مقاطع من شعرها الشعبي حول نخل مدينة السماوة، وما يحيل من حزن على حال العراق وسُكَّانه. في ظل الهدم والحرق والخراب. و تعرض بذلك آثار جذور النخلة العراقية بفعل الحروب وما خلفته من تدمير وحزن عميق في نفس الشاعرة وابتعادها عن وطنها . وتوافق الشاعرة مع رؤيه (غوته Goethe) ببقاء الروح بوصفها مشتقة من الطبيعة الدائمة، إذ "لن يكون هناك، وتحت أي ظروف، مَحَقٌّ أو إبادة للقوى الروحية والطبيعة؛ لأن الطبيعة لا تهدر كنوزها عبثاً"^(١)، وبذلك تدعو إلى المواجهة وعدم الاستسلام وتعزيز الوعي البيئي للحفاظ على البيئة، وتقدّم تصورًا لعالم البيئة الطبيعية بوصفه نظامًا بيئيًا موحدًا؛ بما ينسجم مع الحركة البيئية المعاصرة.

يتبين مما تقدم أنّ عناصر البيئة الطبيعية شكّلت ركيزة أساسية في شعر لميعة عباس عمارة؛ إذ حضر الماء ومتعلقاته، من أنهار وجداول وأمطار وخليج ، بوصفه رمزًا للحياة والخصب والذاكرة والحنين. كما حضرت الأرض والنخيل بوصفهما معادلان موضوعيان للانتماء والهوية والاغتراب. وقد أفادت الشاعرة من هذه العناصر في التعبير عن رؤيتها للإنسان والوطن والطبيعة، فكشفت نصوصها عن وعي بيئي واضح يقوم على إبراز العلاقة التفاعلية بين الإنسان ومحيطه الطبيعي

^(١) الشعر الايكولوجي، فكتور بوستيكوف، ترجمة: معين روميه، مجلة نوافذ، العدد(٢٧)، ١/

ويجعل من البيئة فضاءً حيويًا تتداخل فيه القيم الجمالية والوجدانية والإنسانية، بما أسهم في إثراء تجربتها الشعرية ومنحها خصوصيتها الفنية.

الفصل الثاني

أثر البيئة الثقافية في شعر لميعة

عباس عمارة

المبحث الأول:

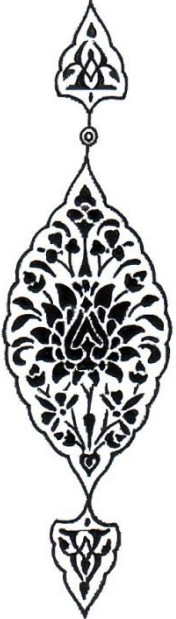
الموروث الاجتماعي والديني في شعر

لميعة عباس عمارة

المبحث الثاني:

حضور المرأة وتجلياتها الشعرية في

شعر لميعة عباس عمارة



الفصل الثاني

أثر البيئة الثقافية في شعر لميعة عباس عمارة

المدخل

تُعد البيئة الثقافية من أبرز العوامل الرئيسة التي شكّلت شخصية الإنسان في توجيه تفكيره وسلوكه، وتُمثل النسيج الديناميكي الحي الذي يربط مجموعة من العناصر المتجذرة في أعماق المجتمع المتمثلة بالقيم والعلاقات والصراعات الطبقية والتقاليد والمعتقدات؛ لأنها القلب النابض لأيّ مجتمع من المجتمعات التي انصهرت فيها تجارب الماضي وتحولات الحاضر لإنتاج شخصية الفرد وهويته المتميزة.

لم ينفصل الأدب العربي، قديماً أو حديثاً، عن البيئة أو المجتمع الذي يعيش فيه: فالمبدعون يعبرون عنه بكثير من الأساليب والأنماط التي تختلف من عصر لآخر^(١)، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش ويتطور خارج المجتمع؛ لأنه كائن اجتماعي وجميع العلاقات التي تقوم بين أفرادها هي علاقات اجتماعية منذ فجر الحضارة الإنسانية^(٢)، فعلاقة الأديب بالواقع الاجتماعي والثقافي ليست من جانب واحد؛ بل هي علاقة تفاعلية جدلية خصبة؛ لأنه يصور ويعكس الحياة الاجتماعية في بيئته.

(١) ينظر: أدب البيئة بين الأصالة والمعاصرة، كمال محمد الديب، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م: ٣.

(٢) ينظر: المدخل الى علم الاجتماع، محمد الجوهري، (د.ط)، القاهرة، ٢٠٠٧م: ٧٩.

وقد ارتبط الشعراء المحدثون بالمجتمع وقضاياه المصيرية، كما ارتبط الشعر بالحياة بكل مفاصلها، وتفاعل معها بكل أمانة وإخلاص منذ بواكيره الأولى. وتعاملت (عمارة) مع هذا الميراث بقصدية، فكان شعرها بحق، ينتمي إلى البيئة الثقافية التي أنجبته، فحملت هموم عصرها وقضاياها وما فيه من تراكمات وإشكالات، فكان للبيئة أثر واضح وكبير بشقيه المادي واللامادي، المتمثل بالبنى الاجتماعية والاقتصادية والمنظومة الفكرية والدينية. ونقصر الحديث في المبحث الأول على البيئة الاجتماعية التي تشمل الأعراف والتقاليد الاجتماعية في المحور الأول، في حين يتجه الحديث في المحور الثاني إلى الأثر الديني في خطاب لميعة الشعري، أما المبحث الثاني فيتناول الحديث عن المرأة وتجلياتها في تجربة لميعة عباس عمارة الشعرية .

المبحث الأول

الموروث الاجتماعي والديني في شعر لميعة عباس عمارة

يعد الموروث الاجتماعي والديني في الخطاب الشعري من أهم المداخل الرئيسة لفهم بُنية النصوص الشعرية، إذ إنّ الشعر لم يتشكل بمعزل عن السياقات الثقافية التي أنتجته، بل يجسد منظومة من القيم والعادات والمعتقدات السائدة في المجتمع.

ويشكل الموروث الاجتماعي والديني في مختلف العصور "الأرض الصلبة التي يقف عليها الشاعر ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد"^(١)، ليستمد منه أفكاره وتطلعاته المختلفة التي تعد مصدراً من مصادر الإبداع الأدبي السخية.

ولارتباط الشعر العربي المعاصر بالموروث أسباب وعوامل متعددة ، تنوعت بين الثقافية والاجتماعية والدينية والفنية ، ويصعب الفصل بينها، لأنها عوامل متداخلة ومتشابكة " فهذه العوامل ذاتها تتبادل فيما بينهما التأثير والتأثر بحيث قد يُقوّي عامل معين تأثير عامل آخر أو يضعفه"^(٢).

(١) ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر

العربي، (د.ط)، القاهرة، ١٩٩٧م: ٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٥.

ويمثل هذا الموروث، بما يشمل من قصص وحكايات شعبية، أو بما يتضمنه من عادات وتقاليد ورموز دينية، أحد أهم منابع التي ارتد إليها الشعراء العراقيون. فكان للموروث حضورٌ مميزٌ في القصيدة العراقية، سواء أكانت في قصيدة تقليدية عمودية أو قصيدة تفعيلية.

ونظرت (عمار) للموروث الاجتماعي والديني من منظورين رئيسيين الأول: أن الموروث الاجتماعي والديني يشكل هوية المجتمع العراقي، والآخر: يجسد وعيها وإدراكها للتغيرات الاجتماعية في البيئة العراقية التي تمزج بين أصالة البيئة وعصر الحداثة.

أولاً: الموروث الاجتماعي (العادات والتقاليد)

تُمثل العادات والتقاليد إحدى الركائز الرئيسة التي تُشكّل هوية أي مجمع من المجتمعات، وهي نوع من أنواع الممارسات والنشاطات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي ضمن السياقات اليومية، التي تكشف خصائص الاختلاف عن الآخر، وترسم واقع الأفراد داخل الوسط الاجتماعي.

ولكل شعب من الشعوب في العالم عاداته وتقاليدُه، التي تميزه عن الشعوب الأخرى، فالعادات والتقاليد هي وليدة الحكايات الشعبية والأساطير والخرافات التي يتناقلها الأحفاد من الأجداد، وتمسك بها الناس؛ خوفاً من الضياع في متاهات

الحضارة والتقدم والرفي^(١)، فالخطاب الشعري لا ينفصل عن البيئة الاجتماعية والثقافية، بل يعكس منظومة العادات والقيم التي تتحكم في حياة الأفراد والجماعات. ولا نستطيع الحديث عن أي مجتمع من المجتمعات دون الحديث عن عاداته وتقاليده وأعرافه التي يمارسها الفرد خاصة والعائلة عامة، بوصفها أهم التركيبات الرئيسة التي يقوم عليها أي مجتمع إنساني ، "فالعائلة مؤسسة اجتماعية وهي الوسيط بين شخصية الفرد والحضارة التي ينتمي إليها، وأن شخصية الفرد تتكون ضمن العائلة"^(٢)، فالعائلة هي البذرة الأولى التي يقوم عليها المجتمع ويتلقى أفرادها ثقافة الجميع. ويمكن القول أنّ الفرد هو حصيلة العوامل البيئية والوراثية بما تتضمنه من عادات وتقاليد وظروف اجتماعية وبيئية.

والعادات والتقاليد ليست مجرد طقوس أو سلوكيات متكررة توارثتها الأجيال، بل هي مرآة تعكس وعي الإنسان وهويته الثقافية، ومهما كانت ممارسات الأفراد صغيرة أم كبيرة فهي تحمل أبعادًا ودلالاتٍ عميقةً على كيفية إدراك الإنسان للعالم ، وطبيعة ارتباطه بالماضي والمجتمع.

(١) ينظر: عادات الشعوب وتقاليدها، أديب أبي ظاهر، دار الشوّاف للنشر، ط١، الرياض، ١٩٩٣م: ٣.

(٢) مقدمات لدراسة المجتمع العربي، هشام شرابي، الدار المتحدة للنشر، لبنان، ١٩٨٤م: ٩٧.

واكتسب الإنسان في بيئته الاجتماعية كثيراً من الأفكار والتصورات التي زودته بها ثقافة المجتمع، والعادات كما ذكر ابن منظور هي من "العودة أو ما يُعاد إليه معروفة، وجميعها عاداتٌ وعيد، وتعود الشيء، وعادة مُعاودة وعِوَاداً، واعتاده واستعاده واعاده، أي صار عادة له"^(١). فالعادات إحدى الظواهر الاجتماعية، وهي معيار أو قاعدة للسلوك الجمعي، وتشير إلى أفعال الناس التي تعودوا عليها، بفضل التكرار المستمر والتعلم والتدريب، وتُعدّ فصلاً مهماً أو جزءاً مهماً من دستور الأمة غير المكتوب، فهي راسخة في تكوينهم ومدونة في صورهم^(٢).

ويخضع الفرد لنوعين من العادات هما: العادات الفردية والعادات الجماعية: والعادات الفردية: تعبر عن السلوكيات العلنية التي يقوم بها الفرد لارتباطها بشخصه، فالفرد في تفاعله مع الآخرين يكون صورةً ذهنيةً أو رمزاً عن كل فرد تفاعل معه، وهذا الرمز قد يكون محبباً أو غير محبب، وطبيعة الرمز الذي أعطاه الفرد للآخرين، هو الذي يحدد علاقته معهم^(٣)، ومن المنظور البيولوجي يرى

(١) لسان العرب: مادة (عود).

(٢) ينظر: المجتمع دراسة في علم الاجتماع، حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المكتب الجامعي الحديث، ط١، (د.ت)، ١٩٩٠م: ٢٠٠.

(٣) ينظر: المدخل الى علم الاجتماع، خالد حامد، جسور للنشر والتوزيع، ط٢، الجزائر، ٢٠١٢م: ١٢٢.

(إدوارساير) "أنَّ كل العادات في الأصل هي عادات فردية"^(١) من هذا المنطلق نقول إنَّ العادة الفردية هي إحدى الظواهر الفردية الشخصية التي يمكن أن يزولها الفرد في حالات الانعزال عن المجتمع. وأما العادات الجماعية، هي ظاهرة اجتماعية تعبر عن مجموعة من الأفعال والأعمال والسلوك، تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية، وتُعد ضرورة اجتماعية تستمد القوة من هذه الضرورة؛ وتتمثل هذه العادات الاجتماعية في آداب المائدة وآداب الحديث وقواعد السلوك العام وعادات الضيافة وطرق تناول الطعام وطرق الخطبة والزواج وتربية الصغار وزيارة المقابر يوم الجمعة عند المسلمين، ولبس الملابس الجديدة خلال أيام الأعياد... الخ^(٢).

و إلى جانب مصطلح (العادات) داخل المجتمعات هناك ما يسمى بـ(العُرف) الذي ذكر في الكتاب المُنزَّل ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣)، وفي الآية الكريمة بيانٌ لأسس التشريع الإسلامي وأصول الفضائل الأدبية، واستدلال الأمة، واعتمادها على العُرف مادام غير معارض لنص. ويمكن القول إن (العُرف) هو مجموعة من المعتقدات والأفكار والآراء التي نشأت في جو الجماعة، فهو يمثل مقدّسات تلك الجماعة ومحرماتها.

(١) رمزية العادات والتقاليد، مجلة انثروبولوجيا، مجلد (٦)، العدد (٢)، ٢٠٢٠م: ٢٢.

(٢) ينظر: محاضرات عن دراسات في المجتمع العراقي، زينب هاشم، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، العراق، ٢٠١٤م: ٦٢.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٩٩.

ويرى (الجرجاني) في كتابه التعريفات أن (العُرف)، هو: " ما استقرَّت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقَّته الطَّبائع بالقبُول، وهو حُجَّة أيضًا، لكنَّه أسرع إلى الفهم، وكذا العادة وهي ما استَمَرَّ النَّاس عليه على حكم العُقُول وعادوا إليه مرة بعد أخرى"^(١) لذا نجد كثيرا ما يجعل (العُرف) مرادفًا لمصطلح (العادات الاجتماعية) أو عدها فرعاً من فروعها، وتختلف العادة عن العُرف (Custom) من حيث "أن الأولى عمل فردي، في حين أنَّ الثانية عمل جمعي، يمارسه أفراد المجتمع كافة"^(٢)، لأنها تختلف باختلاف الحياة الاجتماعية، فهي تنمو مع الزمن لتزداد قوةً، وأصالة وثباتاً.

وترتبط التقاليد في المجتمعات ارتباطاً وثيقاً بالماضي والأجداد من خلال محاكاتها لسلوكهم؛ فتمزج بين قيم الحاضر والماضي بعاداته وتقاليده، والتقاليد كما جاء في لسان العرب لابن منظور: "قلَّده الأمر ألزمه إياه وهو مثل بذلك التهذيب وتقليد البدنه أي جعله في عنقها عروة"^(٣)، والتقاليد هي عبارة عن "مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعي، وهي تستمد قوتها من المجتمع، وتحفظ بالحكم المتراكمة، وذكريات الماضي التي مرَّ بها المجتمع، يتناقلها

(١) كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٣م: ١٢٥.

(٢) قاموس الانثروبولوجيا، شاعر مصطفى سليم، ط١، الكويت، ١٩٨١م: ٤٢٧.

(٣) لسان العرب: مادة (قلَّد).

الخَلْفُ عن السَّلفِ جيلاً بعد جيل"^(١)، وتختلف التقاليد عن العادات لتعلقها بسلوك المجتمعات الكلّية، فشملت القيم والمبادئ التي لخصت تجربة الإنسان الطويلة، كالشجاعة والقوة وضبط النفس والأمان والحرية والعدالة والحب.

وتشكل العادات والتقاليد جزءاً رئيساً وأصيلاً من هوية الإنسان ، التي تعكس ملامح البيئة ، "فالعراق منذ أقدم العصور، كيان مركب من قبائل وأديان وطوائف ولغات متداخله تتعايش مع بعضها الآخر"^(٢)، ولذلك نجد في حياة المجتمع العراقي وفي عاداته وتقاليده ومعتقداته الشعبية ومأثوراته كثيراً من التفاصيل الغزيرة والدقيقة التي عبرت عن تماس (عمارة) وتأثرها ببيئتها، وما اعتاده أهل تلك البيئة من عادات وتقاليد اتبعتها الناس فأصبحت جزءاً من حياتهم. والشاعرة تمتلك الكثير من الجرأة وتخطت جميع الخطوط الحمراء، واخترقت جميع الافاق من دار المعلمين الى المهرجانات والمرابد الشعرية ودار الغربية فكَمَنَ عنصرُ التحرر والتحدي في داخلها لكسر القيود ورفضها؛ إذ كانت تَسَحَّرُ من العادات السائدة في البيئة؛ فقد رفضت الزي التقليدي الموروث والمعروف بـ (العباءة) وخلعته بعد أن ارتدته سنواتٍ من حياتها حتى المرحلة الجامعية ، فكانت ثورةً على المألوف ، وعبرت الشاعره عن

(١) المجتمع دراسة في علم الاجتماع: ٢٠٤.

(٣) الشخصية العراقية والبحث عن الهوية، ابراهيم الحيدري، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،

ط١، بيروت، ٢٠١٣م: ٢٣٨.

موقفها الرافض للتقليد ^(١)، مخالفة بذلك نساء مدينة (العمارة) التي تميزت بزيها التقليدي المعروف بالعباءة والجورب و(العصّابة) و(الجرغد)، فانمازت المرأة (العمارية) بالخلج الشديد ، والالتزام ، واحترام العادات والتقاليد ، وعدم التحدث مع الرجال ، لكن (عمارة) خالفت عادات الأمهات والآباء وأعراف المدينة ، لتضع لنفسها فلم تصنعها بيئتها وحدها، ولا أهلها، فتمكّنت من النجاح ، فكانت شاعرة جريئة ، وذات شخصية قوية وصاحبة مواقف ، وهذا التحرّر ظهر جلياً في قصيدة (شهرزاد)، فتقول:

ستبقى ستبقى شفاهي ظمأ
ويبقى بعينيّ هذا النداء
ولن يبرح الصدر هذا الحنين
ولن يُخرس اليأس كلّ الرجاء ^(٢)

صرخت (عمارة) منذ أربعينيات القرن الماضي في وجه العادات التي حالت بينها وبين من تُحب ، وقصيدة (شهرزاد) من قصائدها الشعرية التي كتبتها في السنة الثانية من المرحلة الجامعية ، وكانت مهداة إلى الشاعر بدر شاكر السياب ، وقد وظّفت (عمارة) موهبة الرسم في نصوصها الشعرية ، فجعلت منها لوحات بيئية، مؤلمة تعبر عن الواقع المرير في البيئة العراقية، فهي لوحة ملونة بريشة (المرأة

^(١) ينظر: أدب المرأة العراقية، بدوي احمد طبانة ، دار العالم العربي، ط١، ١٩٤٨م: ١١٧.

^(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٨.

الشاعرة) من حيث العنوان والمعاني واللغة التي تتواصل في كل مقطع منها. وقد وظّفت (عمارة) مفردة (العين والشفاه) لأنهما أهم ما يميز المرأة في نظر الرجل، فصدرها يملأه الأمل والحنين والحب، وعيناها تحملان الشوق كله ، وستبقى الشفاه والعيون كما هي، لم يغادرها الظمأ ولا النداء، بينما يبقى حنين (عمارة) حبيس صدرها. وأن ما تتمناه أن يبقى الرجاء عصياً على البعدِ و اليأس، فهي تعيش صراعاً ومرارة؛ إذ تبدو حبيسة العادات وحبيسة اليوم والغد، وتعود (عمارة) في النص إلى الجسد والذات، كما صوّرت برودة كفها التي لم ولن تُلامس كفّ الحبيب البعيد فنقول:

سيبقى لكّفي هذا البرود
ولن تعرف الدفء حتى تعود
عناقُ الأكفِ آثارَ الدماء
وعلمني كيف يُنسى الوجود^(١)

تعيش (عمارة) في عزلة عن العالم، وتصور المسافات البعيدة بين الكفين. فهي تصور البرود الأزلي الذي تعيشه كفّاه، مع رغبة لم تتحقق ؛ لكنها تتمنى (عناق الأكف) الذي يجعلها تنسى الوجود والعالم برمتيه لتبقى هذه الأكف محورا لعالم تكتنفه الظلمة ، وتبقى على أمل اللقاء والاجتماع بمن تُحب في مواجهة مجتمع

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٨، ينظر سندريلا: ١٥١.

ذكوري حاول سلب حقها في البوح بكينونتها الأنثوية، ويرى (ستيوارت ميل*) ، "أنّ العلاقات بين الرجال والنساء في شعب واحد لها أهمية أكثر من العلاقات مع الشعوب الأخرى، وأن المرأة هي ضحية آثار التنظيمات القديمة والخرافات البدائية التي لا تستند اليوم إلى أي منطق، أو أي تفكير سليم"^(١)، وكانت (عمارة) تدعو إلى ترك العادات والتقاليد القديمة والأساطير البالية، فتقول

هوانا وأشواقنا الخالدة
وثورة أرواحنا الحاقدة
لأعجز من أن تمُدَّ يداً
تُمزِّق أسطورةً بائدة
أساطير نَمَقَّها الأولون^(٢)

تمكّنت (عمارة) من البوح بكل جرأة ؛ لتدلي بصوتها الصريح الراض لما تعانيه المرأة المخنوقة والمكبوتة في المجتمع الذكوري، معبرةً عن وجعها الأنثوي ؛ إذ حملت آلامها وهمومها، وحزنها الدفين منذ زمن وأد البنات ، وقد استعملت لفظة (الثورة) في قولها:(ثورة أرواحنا) فهي ترفض بشدة تلك العادات والتقاليد البالية التي تحوّلت إلى أساطير بائدة ممزقة ، لا أمل فيها ولا خير .

* ستيوارت ميل: فيلسوف وعالم الاقتصاد البريطاني ولد عام ١٨٠٦، ينظر : تاريخ علم

الاجتماع : ٧٦

(١) تاريخ علم الاجتماع: ٨٠.

(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٩. ينظر: أنا لست المنتظرة: ٢٦

وكما رفضت (عمارة) بشدة كثيراً من العادات والتقاليد والأعراف التي كانت تقف حائلاً بينها وبين مَنْ تُحِبُّ ، وأشارت إلى هذه العادات بوصفها تمثل بنية فكرية ضاغطة ، فالرجل والمرأة في موعد دائم للقاء، سواء في الواقع الحقيقي أو في الخيال؛ إذ يكمل أحدهما الآخر، فلقاء (عمارة) والحبیب هو لقاء خالد وأزلي، لا تقيده السلطة الدينية أو السياسية، وهو لقاء استجاب لإيقاع الطبيعة البشرية متحدياً كل الظروف، حتى وإن كان اللقاء رمزيًا. وقد عبرت عن كلِّ ما يعيق هذا الوصال في قصيدتها (اللقاء الخالد*)، فتقول:

وبيننا قبل الردى برزخ
من عفن التراث والعرف
إذا بنا ورغمها نلتقي
هنا كتابين على رفٍّ^(١)

استمدت (عمارة) مفردة (البرزخ) من المفهوم الإسلامي ؛ إذ يدل على الحياة الفاصلة بين الدنيا والآخرة ، وأرادت بذلك هنا حاجزاً من العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية حال بينها وبين وصال مَنْ تُحِبُّ ، كما وظفت مفردة (عفن التراث) وهي تحمل كثيراً من دلالات الفساد والتحلل واستعارت حالة ثقافية واجتماعية. وتحول البرزخ من كونه حدًّا فاصلاً إلى حالة (اللقاء)، "إنَّ هذه الإشارات إلى العادات

* رأت ديوانه وديوانها متجاورين في إحدى المكتبات ، ينظر ديوان لميعة عباس عمارة : ١١٣ .

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١١٣ .

والتقاليد الشعبية تعبّر عن تماس الشاعر ببيئته، وهذا ما يمنح القصيدة زخماً كبيراً من الفاعلية؛ لاسيما أن بعض العادات فيها الكثير من التجني على حرية الإنسان، بالرغم من شعبيتها^(١)، وهذا يؤكد أن العلاقة الحقيقة بين طرفين مستحيلة خارج هذه الأطر التي حكمت عليها العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية؛ إذ تمثل هذه الأعراف الآخر السلبي الذي يمنع التواصل، ولذلك تتحدى سلطة الأعراف والنظام الذكوري عبر (ثقافة الكتابة)، وحين امتلكت سلطة التعبير جسّدت كيانها المستقل، فجاءت المساواة على شكل تكافؤ رمزي، كتابين و ديوانيّ شعر.

ومن العادات والتقاليد الشائعة في بيئة الشاعرة ما يرتبط باجتماع العوائل العراقية في ليالي الصيف الحارة، والنوم على سطوح المنازل للاستمتاع بمنظر القمر والنجوم المتناثرة في السماء الصافية ، فنقول (عمارة) في المقطع الأول من قصيدة (حكمة):

لِماماً

كنسمة شَمال

(١) البيئة العراقية في شعر السياب، نضال إبراهيم، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد (١)، ٢٠٠١م: ٣٠٢.

على السطح في ليل

آب^(١)

استمدت (عمارة) هذه المفردات من البيئة الجنوبية ، لتعبر عن العادات والتقاليد التي تميزت بها الأسرة العراقية، بما يتيح لها التمتع بصفاء البيئة ونقاؤها، فضلاً عن العادات الأخرى المتمثلة باستعمال (الكِلل) للنوم اتقاءً لوخز الحشرات والبعوض الذي يكثر في المناطق الجنوبية خاصة، حول بساتين النخيل نتيجة الرطوبة والحرارة العالية في الصيف، قبل أن يُدركَ زمن المبردات ومكيفات الهواء التي انتشرت بفعل التطور التكنولوجي، ويؤكد ذلك أنّ "التفاعلات الاجتماعية تصنع نسيج النظام الاجتماعي لأنها مؤسسة على معايير ومن بين كل هذه التفاعلات هي العلاقات والمقابلات اليومية الفردية التي تعتبر بمثابة الخط الناقل للتفاعلات الاجتماعية"^(٢)، فالنشاطات العائلية الفردية تصف تواصل الأفراد مع بعضهم الآخر، وأن دل على شيء فهو يدل على الانتماء للحياة الأسرية والبيئة العراقية البسيطة التي عاشتها بكل تفاصيلها الدقيقة.

كما ذكرت (عمارة) بعض الألفاظ المشاعة في أوساط العامة، من خلال ما نجده من عبارات ومفردات التخاطب اليومي، وإن ما يدعوها لاستعمال هذه الألفاظ

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٢٨.

(٢) رمزية العادات والتقاليد: ٤٢.

المتداولة هو "وعي الشاعر الجديد، وموقفه الواقعي، واهتمامه بما يدور حوله من مشكلات اجتماعية وسياسية، والتصاقه الشديد بالقضايا التي تهم المجتمع ككل، هيئاًه إلى الاقتراب من لغة الناس، وتوظيفها في القصيدة"^(١)، وإن استعمالها من لدنها هو تجسيد لعمق العلاقة بين البيئة والعادات والتقاليد اليومية، فقد امتزجت حياة الشاعرة الشخصية مع حياتها المادية، فتقول في قصيدة (في ديترويت):

أشْمُ البهاراتِ، رائحة التِمَنِّ العنبرِ المتهدّرِ
حين أعودُ من الدرسِ جائعاً
في أزقةِ بَغْدَادَ وقتِ الظهيرة^(٢)

وظفت (عمارة) مفردات (البهارات، التمن، العنبر)، لاستحضار روائح البيئة العراقية إذ يمثل (تمن العنبر) أجود أنواع الرز العراقي الذي يزرع في جنوب العراق، لتعبر عن مدى ارتباط الإنسان بالأرض والزراعة، وهي هنا تستدعي الروائح بوصفها جزءاً من الذاكرة والهوية العراقية، كما صوّرت الأزقة الضيقة في مدينة بغداد لتعكس تراث المدينة البغدادية القديمة، وتتحوّل بذلك من تجربة فردية إلى تجربة جماعية تبين مدى ارتباط الفرد العراقي بعاداته وبيئته.

(١) دير الملاك " ١٧٣.

(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٣٩.

كما نلاحظ في شعر (عمارة) ، تأثرها بالعادات والتقاليد المتمثلة بالطقوس المندائية التي وردت في ديوانها (لو أنبأني العراف) وفي قصيدة (شفاهي*) وردت بعض الألفاظ التي تتمثل بها الطقوس المندائية ، فتقول :

صَفَرْتُ لَشَعْرِي إِكْلِيلَ وَرْدٍ*

وَتَاجَ ضِيَاءٍ

وَحَدَّقْتُ فِي نَجْمَةِ الْقُطْبِ

كَلَّ لِيَالِي الشَّقَاءِ

أَحْنُ إِلَى مَوْطِنِي الْخَالِدِ النُّورِ

عَبَّرَ السَّمَاءِ^(١)

عبرت (عمارة) عن طقوسها المندائية بمفردات (أكليل الورد) الذي يُعد أهم الطقوس الذي لا يكون بدونه أي طقس مندائي، كما وظّفت (نجمة القطب) وهي كوكب عشتار، وكوب الزهرة، وفينوس، وهي قبلة الصلاة ومتجه الشمال واسمها أيضاً (نجمة أبائر) و(الموطن الخالد النور)، وهو عالم الجنة والنور.

* مفردة (شفاهي) تعني شبيهي، و تعود لأصول مندائية : ينظر مقال منشور في جريدة الزمان، قيس مغشغش السعدي ٤ شباط ٢٠٢٣

* وجدت الباحثة أن هذا النص في الديوان على خلاف ما موجود في النص الأصلي. ينظر: ديوان (لو انبأني العراف) ٩٣.

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٥٣.

كما وظفت بعض المفردات المتمثلة بـ(ثياب العماد)، فنقول:

ثيابي بيضاء

ما مسّها الحقدُ

مثل ثيابك

وروحى حمامةً برّ تهيمُ

تهيمُ بغيابك^(١)

وظفت (عمارة) اللون الأبيض مُشيرة إلى صفاء النفس وطهارتها، والمعروف في التراث العربي يُقال عن الشخص (أبيض القلب)، دلالةً على صدقه ونقائه، لتعمق معنى الطهارة النفسية، وهو يقارب الطقوس المندائية التي تشترط ارتداء الثياب البيضاء في طقوس (العماد والعروس والدفن والكفن)، لخلوها من الشوائب عندما تقول (ما مسّها الحقدُ) مما يعزز براءة الروح، كما وظفت (الحمامة)، هي طائر نظيف له علاقة بقصة النبي نوح(عليه السلام)^(٢)، والحمامة أحد الرموز البيئية التي ترتبط بالحرية والسلام ، وتتصف بالألفة التي تعقدها مع الإنسان، مراعاة لحماية الحياة وتتميتها تنمية مستدامة، فضلاً عن أنها تمثل الروح الطاهرة التي

(١) ديوان لميعة عباس عمار: ٣٤٥.

(٢) ينظر: شعر لميعة عباس عمار-دراسة فنية، (رسالة ماجستير)، اياد يوسف يعقوب، اشراف:

قصي سالم علوان، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٠م: ٣٨.

تُخلَقُ في العوالم النورانية، ويتجلّى وعي (الشاعرة) البيئي حيث تمزج البعد الروحي مع البعد الطبيعي، لتؤكد الوحدة بين الإنسان والكائنات لحفظ التوازن البيئي.

كما لجأت (عمارة) إلى (العزّاف) لتبث شكواها عن الحبيب المنتظر وهي تعيش حالة اليأس والمحنة المليئة بالقسوة والحزن والأسى في قصيدتها (لو أنبأني العزّاف) ، تقول :

لو أنبأني العزّاف

أنّك يوماً ستكون حبيبي

لم أكتب غزلاً في رجلٍ

خرساءً أصلي

لتنظّل حبيبي

لو أنبأني العزّاف

أنّي سألامس وجه القمر العالي

لم ألعب بحصى الغدران

ولم أنظّم من خرزٍ آمالي^(١)

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٩٦.

يمثل هذا النص حالة الشاعرة وهي تعيش محنة الـ (لو) وخلاصة تجربة عاطفية مرتبطة بحبيبها، وهو سبب لجوئها إلى العرّاف بوصفها ظاهرة اجتماعية شائعة في بيئة يسودها الجهل و التخلف الذي كان يعيشه المجتمع آنذاك، وكان الناس يؤمنون بما يقوله هؤلاء إيمانًا مطلقًا، وأن عرّاف (لميعة) معروف بوصفه إحدى المشكلات الاجتماعية الخاصة بالمرأة وعدم الإفصاح عن مشاعرها تجاه الحبيب، وهي أرادت أن ترسل إشارة إلى حبيبها بالبعد، وإنه صعب المنال، ولا تستطع الوصول إليه، وقد أرادت بذلك التعبير عن كمية المشاعر وحالة الحب التي كانت تحملها تجاهه، فقد مارست جميع الطقوس من أجل تحقيق الوصال، لكنها بقيت وحيدة بين الحرمان وهواجس الخواء والعدم وبقيت معلقة مثل عرّافها بين أرض وسماء.

ومما سبق نستنتج : أن الشاعرة وظّفت العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، بوصفها جزءاً من الهوية العراقية بما يعكس الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمسّ حياة الإنسان البسيط؛ لتكشف بذلك التناقض بين الحرية الفردية والقيود الاجتماعية.

ثانياً: الأثر الديني

لجأ الشاعر العربي المعاصر في سياق تجربته الشعرية ثقافياً إلى المرجعية الدينية؛ لبحث عن مدى لصوته وأصداء لتجربته، ويفتتح عن وجوه تعكس تجربته أو تؤكدّها أو تضيف إليها، وهنا يكون اتجاه الشاعر إلى الأصوات الشعرية مقصوداً، ويكون انتقاء الوجوه التراثية عقلياً مشروطاً بالتجاوب الإنساني بالمعنى الرحب للكلمة^(١).

وتمتاز البيئة العراقية بالتنوع والتعدد الديني والقبلي والطائفي واللغوي؛ فهي تُشكّل قطعة فسيفسائية مختلفة، متنوعة يسودها التعايش والتسامح في بقعة جغرافية متنوعة المناخات والتضاريس والأجناس^(٢)، وعلى الرغم من هذا الاختلاف والتنوع، فإنه يمثل صمّام الأمان الذي يحافظ على وحدة التماسك الاجتماعي في جميع أطرافه. والشاعرة (عمارّة) لم تكن بعيدة عن التداخل بين الأديان، فقد استلهمت كثيراً من الآيات القرآنية والتقاليد الأصلية التي تُعدّ من أهم الركائز الرئيسة في نصوصها الشعرية، على الرغم من معتقدها (الصابئي)، إذ نجد الأثر البارز لذلك في نصوصها، ففي قصيدة (شيء من الخوف)، تقول :

(١) ينظر: توظيف المقدس الديني في الشعر العربي الحديث، بشرى حنون محسن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، ٢٨/ نوفمبر/ ٢٠٢١.

(٢) ينظر: الشخصية العراقية والبحث عن الهوية: ٢٢٤.

أسائل نفسي:

لماذا أخافُ أُظَلُّ من الشرفة الشاهقة

وأني إذا ما بكى صاحباي أظَلُّ

الجريئة و الواثقة ؟

لماذا أخافُ اللقاء البسيط

وأحذرُ نظراته الخارقة؟

تذكرتُ

أني أخاف الليالي المطيرة

راعدة ... بارقة

أخافُ إذا ما التقت غيمتان

في الجوّ

أن تنزل الصاعقة^(١)

فقد جسدت (عمارة) في النص الشعري فهمها العميق للبيئة الإسلامية والمجتمع

العراقي الذي يتمسك ويلتزم بقيم ومبادئ الدين الحنيف ، عبر تناصها مع الآية

القرآنية التي تقول: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٤٩.

فِي عَادَانِهِمْ مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ^(١)، تبرز (عمارة) ثنائية الصراع بين الجرأة والثقة الاجتماعية من جهة، والخوف الكوني من جهة أخرى، وقد تجلّت ثقافة (عمارة) القرآنية من خلال توظيفها لمفردات (الليالي، راعدة، بارقة، الصاعقة)، بما تحمله من دلالاتٍ بيئية، تؤكد أن الإنسان جزءٌ من النظام البيئي، وتعكس في الوقت نفسه عمق انتماؤها للتعاليم الإسلامية، مع إظهار نقاء نفسها، وطهارة مشاعرها العاطفية. وهي تبدو قوية وصابرة في وجه تقلبات الدهر، متسلحة بقوة الثبات والإرادة على مبدأ التوكل على الله تعالى.

وعند تأمل النص الشعري نجد مفارقة نفسية ، فالشاعرة جريئة وواثقة في مواجهة التحديات الاجتماعية كالخوف من العزلة ، والبكاء أمام الأصدقاء ، لكنها تكشف عن الخوف الحقيقي من القوى الطبيعية (الرعد، البرق، المطر، الصاعقة)، فخوف (عمارة) ليس من المرتفعات والأماكن الشاهقة ، بل من الظواهر الجوية العنيفة، وهو ما يجسّد وعياً بيئياً عميقاً بأن القوى الطبيعية تفوق قدرة الإنسان مهما كانت شجاعته، وكما وظفت مفردة (الليالي) التي تمثل الظلمة الشاملة (النفسية والكونية)، مما يثير في مخيلة المتلقي دلالات الظلام بمعناها السلبي المرتبط بالخوف و القلق المرتبطين بالليل وما يحمله من هواجس إنسانية وروحية، وفي ذلك تأكيد على يقينها وإيمانها وبصيرتها الروحية؛ لأن مثل هذه المواقف تتصل

(١) سورة البقرة: (الآية ١٩).

بمنظومتها الأخلاقية والدينية، وتكشف عن حب طاهرٍ وسامٍ، أما في قصيدة (عتاب) فتقول:

بعد سبعٍ من السنين عِجَافٍ

حَمَلْتَنَا من الهموم جبالاً

عُدْتُ من موطنِ الشراءِ فقيراً

أنت تبغي كرامةً لا مالاً^(١)

في هذا النص استحضرت (عمارة) التعبير القرآني ليعكس تجربتها مع الجانب الروحي، وتفاعلها مع البيئة الطبيعية والاجتماعية، مستفيدة من دلالة قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وقد سلّطت الشاعرة الضوء على الحالة الاجتماعية التي كانت تمرّ بها العائلة في سياق مرحلة زمنية مضطربة، شهد فيها المجتمع تغيرات كثيرة في العلاقات بسبب التحول الخطير

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٤.

(٢) سورة يوسف (الآية ٤٣).

(٣) سورة يوسف (الآية ٤٦).

الذي رافق التغيرات السياسية التي شهدتها العراق، مع معاناة خطيرة مع المرض والفقر وتفشي الجهل والخرافات، و(عمارة) كانت أكثر إحساساً بالقضايا الاجتماعية، وفي تلك المدة الزمنية اغترب والد (عمارة) لمدة سبع سنوات لكسب المال والشهرة، وهنّ السنوات العجاف بالنسبة لها، ولكن عاد إليهم خالي الوفاض، فبيئة الحرمان والجوع تطغي على النص، فعندما تقترب البيئة من الإنسان تصبح رفيقةً له، ومن الصعب الإفلات منها، وهذا ما يُعرف (بالحرمان البيئي)، وإن سنين (عمارة) مغايرة للسنين العجاف في الآيتين الكريمتين، فالسنين العجاف تتقضي ويتخلص الناس بما أمّد الله سبحانه وتعالى النبي يوسف (عليه السلام) من خطط الادخار والتدبير، وأما سني (عمارة)، بقيت عجافاً لم يأت بعدها، إلا الفقر والهم والتعب، فالنقد البيئي يحاول استبعاد أفعال القهر والعبودية، فالإنسان والحيوان والجماد يشتركون في الحقوق، وتقضي وحدة المقام أن يرتدي الإنسان ثوب التواضع كلما أقبل على الطبيعة، ليصنع فيها أمراً^(١)، كما تُعلّل في البيت الأخير بقولها : (أنت تبغي كرامة لا مالاً)، وكأن (عمارة) تقول: إن المال يُهدر، ويذهب الكرامة، لتخفف بذلك عن نفسها هموم الحياة ومتاعبها، وقد استحضرت (عمارة) قصة النبي يوسف (عليه السلام) في أكثر من نص لما لها من حضور رمزي عميق في تجربتها ففي قصيدة (مسدودة طريقي)؛ تقول:

(١) ينظر: النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات: ١٨٨.

أَظُنُّ قَدْ جَاءَكَ الْوَاشُونَ عَنْ غَرَضٍ

مُخَضَّبِينَ قَمِيصِي مِنْ دَمٍ كَذِبٍ^(١)

أشارت (عمارة) إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(٢)، وقد استلهمت قميص النبي يوسف (عليه السلام) عندما جاء به إخوته ملطّخاً بدماء، وهي المكيدة التي كادها أخوة (يوسف) بالكذب والخداع من أجل إبعاده عن والدهم بدافع الغيرة والحسد فقد وظّفت جملة (دم كذب) دلالةً على البهتان و الافتراء للدلالة على صراع الحقيقة و الزيف.

وقد استعملت (عمارة) أحد التراكيب الشائعة عن المسلمين، في قصيدة (صباحات بيروت)، إذ تقول:

مازلنا أحياء بعدُ؟

مازلنا أحياء بعدُ

شكراً لله

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٣٦.

(٢) سورة يوسف الآية: ١٨.

ولله الحمد^(١)

فقد وظّفت الصيغة الدينية التي يستعملها المسلمون في الحياة اليومية، للتعبير عن الشكر لله على نعمة النجاة والحياة في سياق تصوير مدينة (بيروت) وكأنّها تتنفس مع أهلها، بعد ما انقشع الضباب الهابط على الأطواد كالغبار المتطاير من دمار كبير والدخان يتصاعد من الحرائق الكارثية، ونلاحظ أنّها كررت هذه العبارات بوصفها وسيلة لتعبر بها عن النجاة بعد الحرب، فتعود صباحات بيروت مليئة بالحياة المرتبطة بالطبيعة، بالشمس أو النهار والأمل. كما عبّرت عن إعجابها العميق بشخصية النبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، لتؤكد أن النبي (محمد) (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يمثل رمز البيئة الإسلامية المثالية التي يتطلع إليها الإنسان من النقاء والسمو والطهر والرفعة المتمثلة في قصيدة (عرسكما هذه)، فنقول:

(محمد) من نفحة الأولياء

تسامى مع الجاه عن مَطْمَعٍ

فتى لم تُغَرِّزْ به المغرياتُ

دعاه الفَخَارُ ولم يدعِ

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٣٣.

وسيمٌ كريمٌ حييٌ أبي

تشبّه بالأطيب الأروع^(١)

في هذا النص اتخذت (عمارة) من شخصية النبي (محمد) (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) معادلاً موضوعياً للبيئة الإسلامية وكل القيم الخلقية، فوصفت النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) (نفحة الأولياء)، و(فتى لم تُغَرَّز به المغريات)، رفض المغريات والمطامع الدنيوية وزخرفها، وكما وصفته بالكرم والطيب والحياء وهي صفات مستمدة من سيرته النبوية ومن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) ويلاحظ أن حضور النبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في نصّها يمثل نموذجاً أعلى للإنسان المنسجم مع القيم الروحية والبيئية والأخلاقية ضمن منظومة متكاملة.

وكما أشارت (عمارة) إلى فريضة الصوم بوصفها تجربة روحية متكاملة، إذ تقول في قصيدة (صوم) :

تسألني

ما سرُّ تلذُّذ روعي بالحرمان؟

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٣٣.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

أنت المسلم

لا تعرف لذة روح الصائم

في رمضان^(١)

تتظر (عمارة) إلى (فريضة الصوم) بوصفه تجربة تتجاوز الامتناع الجسدي إلى ارتقاء روحي وأخلاقي، منسجمة مع النص القرآني، و(عمارة) تعبر عن تجربة (الصوم) من ناحية وجدانية، وروحانية مُقدّسة لتكشف عن مدى ارتباط الإنسان بالبيئة، فإنّ الامتناع عن الطعام والشراب هو نوع من أنواع الحرمان البيئي، حتى يُدرك الإنسان قيمة الموارد الطبيعية التي يعتمد عليها يوميًا، فضلًا عن ارتباط الإنسان بالنهار والليل، وبشكل مغاير عن الأيام العادية، وتقول (عمارة) أنّ المسلم ربما لا يعرف (لذة روح الصائم)، وهذا يوازي المعنى القرآني. بأنّ الصوم ليس مجرد الامتناع عن الأكل والشرب؛ بل امتناع جميع جوارح الانسان من أجل السمو الروحاني والتقوى، واحترام (عمارة) لفرض الصوم في شهر رمضان.

ولم تقتصر (عمارة) على توظيف الدين الإسلامي، بل امتد حضورها إلى الديانة المسيحية الديانة المسيحية ومفاهيمها وتعاليمها في شعرها، وهو ما يعكس أثر البيئة التي عاشت فيها (عمارة) وقد وظّفت المفردات المسيحية توظيفًا بيئيًا ودينيًا

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٩٦.

ونفسياً، ومن أهم المفاهيم المسيحية التي وظّفتها في شخصية المسيح (عليه السلام) وقضية الصّلب، وقد جعلت (عمارة) من السيد المسيح (عليه السلام) رمزاً للتضحية والوفاء، وفي قصيدة (آخر مَنْ أحببت)، تقول:

لست تُصدّقني

أنّي في لبنان

أحضرُ قدّاسَ الأحدِ

ورفاقي اغلب أيام الأسبوعِ

الرهبانُ

الأب أوغسطين الصادقُ

يسألُ عني كلّ صباح

وأحبُّ الدعوات إلى نفسي

في بيت المطران^(١)

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٧٧.

في هذا النص تكشف (عمارة) عن تجربة وتفاعل إنساني وروحي مع الفضاء المسيحي من خلال حضورها ومشاركتها في قدّاس الأحد، فلا غرابة من أن تكون لميعة رفيقة الرهبان. وأن يكونَ حضورها لقداس الأحد هو محصّلة العلاقات المثمرة معهم، وتصور حضور القداس والعيش بين الرهبان والمطران، فهي تتعامل معهم تعاملًا حضاريًا منطلقًا من رؤيتها للعلاقات الإنسانية بأنّها جزءٌ من الثقافة المجتمعية، فالمسيح و(يوحنا) هما أبناء خالة، مما ساعد على نشوء هذه العلاقة^١، و(عمارة) لا تجد أي ضررٍ في حوارهما مع الأب (أوغسطين)، ولا حضورها في قداس الأحد، وهي تقدس هكذا علاقات ووصفتها بأنّها الأحب إلى نفسها، وتُشكّل دعمًا روحيًا وطمأنينة أبدية.

ويظهر في النص حضور معجم ديني مسيحي تمثل في مفردات(قدّاس، والأحد، والأب أوغسطين ، والصادق ، والرهبان)، وهو ما يؤكد انفتاح النص الشعري على تعدد المرجعيات الدينية و قدرته على تجاوز العقائدية الضيقة نحو رؤية إنسانية شاملة.

وأما في قصيدة (هل نحن أحياء؟) التي تقول فيها:

إلى يوحنا المعمدان

^١ ينظر : لميعة عباس عمارة وهموم الضياع (رؤية نفسية) ، شوقي يوسف بهنام ، أمل الجديدة ، ط ١ ، سورية - دمشق ، ٢٠١٣ م : ١٦٨

لمن الصوتُ الصارخُ في البرية

واعجبي

يسأل عني من بين عباد الله؟

مولاي... أنت هو؟

ألفا عام بين الصوت وبيني

وهمتُ أذناي، وهمت عيناي

لكن الصوت يناديني

وحزام الصوف الأعرفه (الهميان)

الثوب الأبيض، والنعلان

وهذا الغصن الزيتون؛

هل تصدق بعد الألفين عيون؟^(١)

تستدعي (عمارة) هنا شخصية (يوحنا المعمدان) بوصفه رمزاً دينياً مسيحياً

وتستحضر صوته الذي ورد في الإنجيل وهي شهادة يوحنا، حين أرسل اليهود من

أورشليم كهنة ولاويين يسألوه: (من أنت؟)، قال: " أنا صوتُ صارخٍ في البرية: قوموا

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٧٠.

طريق الربّ، كما قال (إشعيا) النبي^(١)، وتعبّر بذلك عن تقديسها وإعجابها برموزها الدينية، وهي تعيش حالة التعبد الروحي. إذ تحتمي برمزا الديني (يوحنا المعمدان)، الذي (يسأل عني من بين عباد الله) فهي لا تدري لم اختارها من بين العباد ليسأل عنها ويخاطبها وهو الرمز الأكبر من بين الرموز المندائية، وهي في حالة شك وحيرة، وتقارن نفسها بـ(المعمدان) مع احتفاظها بالمسافات النفسية والرمزية بينهما، وكأنّها تسأل: ما زال صوت الحق قادراً على أن يوقظ الإنسان بعد (ألفي عام)، وهذا الصوت تعدّه هو صوت الحق والخلص، على الرغم من المسافة بين زمن النبي وزمن الشاعرة؛ لكنّه يحمل معنى الرسالة والقيم الأخلاقية والدينية. فقد استعادت ذاكرتها القديمة عبر نداء صوتها الداخلي، كما وظفت عدداً من الرموز المندائية المتمثلة في الثوب الأبيض وهو رمز الطهارة، وحزام الصوف (الهميان، والنعلان) وهي رموز تعبّر عن الزهد والابتعاد عن مظاهر الترف ومغريات الحياة. كما استعملت أيضاً مفردة (غصن الزيتون) وهو رمز سلام وتجدد وشجرة معمرة جذورها متأصلة في الأرض لتعبر عن صرخة بيئية روحية تعيد الإنسان إلى نقاء الحياة وبساطتها المرتبطة بالطبيعية.

(١) الكتاب المقدس ، انجيل يوحنا ، دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط ، ط ٤ ، بيروت ،

لبنان ، ١٩٩٣ : ١٩ - ٢٠

وصفوة القول : إنّ الشاعرة (عمارة) على الرغم من انتمائها إلى المعتقد الصابئي المندائي، وأن التجربة الدينية كانت حاضرة في نصوصها الشعرية، نظراً لتأثيرات البيئة الاجتماعية والمؤثرات التاريخية، إذ عبّرت عن الدين برؤية إنسانية، ترى أنّ الإنسان على اختلاف مذاهبه ودياناته، يعود إلى الخالق الواحد.

المبحث الثاني

حضور المرأة وتجلياتها الشعرية في شعر لميعة عباس عمارة

شغلت المرأة حيزًا واسعًا في فنون الأدب، واهتم الشعراء قديمًا وحديثًا بموضوعها، وجسدت في جميع أشعارهم، نظرًا لأهميتها ومكانتها السامية في المجتمع؛ فأضحت بذلك محور اهتمام الشعراء من التقدير والاحترام والحب.

وللمرأة دور بارز منذ أقدم العصور؛ لما لها من مكانة مرموقة في جوانب الحياة، وهذا الدور سطرته صفحات التاريخ البيضاء؛ إذ إنها ذات مكانة مشرفة في جوانب الحياة، وإن من الإجحاف ونكران الجميل أن تُطوى صفحاتها أو يُتناسى دورها في بناء المجتمع^(١).

وحظيت المرأة في الأدب العربي بصور متنوعة، اختلفت من صورة إلى أخرى، باختلاف البيئات والتقاليد والعوامل الاجتماعية والحضارية والزمنية التي عاشت فيها المرأة.

وفي مطلع القرن العشرين، أصبح للمرأة حضور خالص متميز، واهتمام من لدن المؤسسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، في إطار الدعوة إلى تحرير المرأة

(١) ينظر: مكانة المرأة واسهاماتها في الأدب العربي القديم، نصر الدين إبراهيم، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد (١)، يونيو، ٢٠١٥م: ٢٢.

من الظلم والاضطهاد والتهميش في المجتمع العراقي، ونظرته الدونية إليها. فالقرن العشرين عصر حضارة لا بدأوة فيه ؛ لتأثره بحكم المعيشة في المدن الزاخرة بمظاهر الترف والحدثة والعمران^(١)، ومن أوائل شعراء العصر الحديث الثائرين والمطالبين بحقوق المرأة وإعطائها حريتها، الشاعران (جميل صدقي الزهاوي) و(معروف عبد الغني الرصافي)، وكانت الانطلاقة الأولى للشعراء العراقيين بعدهما. فقد أخذوا يحذون حذوهما، فهناك من الشعراء مَنْ يتغزل بها ويصفها، وآخرون يطالبون بحقوقها مثل الجواهري والسيّاب ونازك الملائكة وعاتكة الخزرجي، كما أكد (الرصافي) على تعليم المرأة، لكي تَعِدَّ جيلاً واعياً يتحدى الظلم ويقهر الصعاب، فإنَّ ابتعاد المرأة عن التعليم يُعد خراباً ودماراً للمجتمع^(٢).

وقد دعا الرصافي المرأة إلى خوض غمار العلم لتتنافس الرجال في المجال نفسه، كما شدّد على أن سمو الأخلاق العالية للأبناء يرجع بالأصل إلى تربية الأمهات المتعلمات^(٣). ونظراً لاستمرار المطالبة بحقوق المرأة، حاول كثير من الشعراء في هذه المرحلة تجديد الموضوعات والأغراض الشعرية الخاصة بالمرأة لمواكبة الحياة العصرية والمتطورة. ومن هنا بدأت المسيرة الشعرية العربية الحديثة،

(١) ينظر: المرأة في شعر نزار قباني (دراسة نقدية)، دار البحار، ط١، بيروت/ ٢٠٠١م: ٤٣.

(٢) ينظر: نظرات في نسائيات معروف الرصافي، كوثر هاتف كريم، كلية التربية للبنات للعلوم

الإنسانية، جامعة الكوفة، العدد (١٥)، ٢٠١٤م: ٢٢٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٣-٢٢٤.

إذ شهد هذا القرن تجاه اكتساب القوة والحداثة، وارتبط ذلك ببقظة مفاجئة لدى الشعب العربي على واقع العالم من حوله، عالم يتفوق في التقدم والتطور على عالمه، وكان "الصراع في سبيل الحرية والتقدم أثره في توجيه الشعراء والأدباء نحو التعبير بأسلوب يواكب حاجات العصر بصورة أكبر"^(١). فقد حاولوا تجديد الصور الشعرية شكلاً ومضموناً، وكان لرواد شعر التفعيلة دورٌ بارزٌ في هذا الميدان، من حيث التجديد في المضامين والشكل والرؤى استجابة لتطور حياتهم واتصالهم بالفكر العالمي الجديد^(٢).

واتجه الشعراء العراقيون إلى التجديد ؛ لأن الشعر يتطور بتطور الحياة في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وارتبط اسم المرأة بالوطن والسيادة والأمان والحرية والعاطفة، وقد أصبحت قضية رسالة ووعي لتشكل مصيراً يحرك سواكن المجتمع. وقد اهتمت الشاعرة (لميعة عباس عمارة) بالمرأة ووظفتها في شعرها توظيفاً فاعلاً في بناء القصيدة، بوصفها جزءاً رئيساً من البيئة الاجتماعية

(١) الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م: ٥٩٦.

(٢) ينظر: صورة المرأة في الشعر العراقي الحديث (١٩٩٥-٢٠٠٠)، ايناس عباس صالح حميد البيرماني، اشراف: محمد حسن علي مجيد الحلي، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٨م: ١٢٥-١٢٧. (أطروحة دكتوراه)

والثقافية. فموضوع المرأة في شعرها متعدد ومتلون، منه ما ارتبط بالشاعرة، ومنه ما ارتبط بصور المرأة الأخرى.

لذا ارتأيت تقسيم هذا المبحث على محورين : الأول : الوظائف الاجتماعية للمرأة وتجلياتها البيئية ، والآخر صفات المرأة البيئية.

المحور الأول: الوظائف الاجتماعية للمرأة و تجلياتها البيئية

تُعد قضية المرأة قديمة قدم الفكر البشري نفسه، وقد نالت اهتمامًا واسعًا في مجال الدراسات الاجتماعية والإنسانية في العقود الأخيرة، وكان دورها بارزاً في الجانب الاجتماعي، وتعدد دورها بين وظائفها والبيئة المحيطة بها، وتمثلت هذه الوظائف بين الأسرة والعمل والمشاركة المجتمعية.

والشاعرة (عمارة) من الشاعرات اللواتي أعطين للمرأة مكانة متميزة في شعرها لاهتمامها بقضايا المرأة ومشكلاتها، وما تتعرض له من اضطهاد وظلم ؛ إذ تمكنت – من خلال قصائدها – من تكوين رؤية شعرية خاصة بها لم تُقلد فيه أحدًا من الشعراء.

فالمراة في شعرها كيان يُشكّل "غزَ الحياة"، وعقدة المجتمع، وأسطورة الزواج التي لا انفصام لها، وعماد الأسرة، وأساس العائلة، وهذه المرأة هي نفسها مشكلة

المجتمع^(١)، فقد تعمدت الشاعرة الاهتمام بالمرأة ؛ لأنها تُشكّل نسيجاً من الواقع الاجتماعي، فهي الأم والزوجة والحيبة والصديقة والأخت^(٢).

والمرأة (الأم) هي أهم عوامل الاستدامة البيئية؛ لأن رحمها هو البيئة الأولى للإنسان؛ لذا وَجَبَتْ حمايتها، لينمو جنينها في بيئة متوازنة وسليمة، فضلاً عن غرس السلوكيات الأخلاقية للبيئة الصحيحة^(٣). والأم في نظر (عمار) هي منبع الحنان والأمان، فهي تعكس صورة الأم الحنون التي تغدق على أبنائها العطف والحب فتقول في قصيدة (الزاوية الخالية*):

أَعِزُّ وَأَنْصُرُ مِمَّا حَلِمْتُ

وَأَغْزُرُ عِطْراً وَأَحْلَى خَدُودَ

فَأَسْمُرُهُمْ مِنْ ظِلَالِ الْهَنَاءِ

وَأَبْيَضُهُمْ مِنْ صَفَاءِ الْوَعْدِ

(١) المرأة العراقية المعاصرة، عبد الرحمن سليمان الدريندي، مطابع دار البصري، ط١، بغداد، ١٩٦٨م: ٢٩٥/١.

(٢) ينظر: سيكولوجية المرأة، زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، (د.ط)، مصر: ١٢٠-١٢١.

(٣) ينظر: البيئة ومشكلاتها، ١٥-١٨.

* وقد وجدت الباحثة أن هذا النص في الديوان على خلاف ما هو موجود في النص الأصلي، ينظر: ديوان الزاوية الخالية: ٥٨.

لضحكاتهم نغمات البيان

وقفزاتهم مرحُ الطائر

وأيديهم كلفيف الحرير

تمرُّ على قسوة الحاضر

لكلِّ سناء، لكلِّ شذاه

كأوتار قيثارة الشاعر^(١)

استمدت (عمارَة) مفرداتها من البيئة الطبيعية وتداخلاتها مع تفاصيل الحياة اليومية، لتُشكّل لوحة لأطفالها الصغار بوصف (أحلى خدود ولون بشرتهم السمراء والبيضاء) مستمدة هذا السمار من طبيعة البيئة الجنوبية، و(أبيضهم) من صفاء الوعود مقارنة باللون الأبيض الذي يرمز إلى النقاء والصفاء والبراءة، وبين وعود صغارها البريئة، فضلاً عن تصويرها لأصوات صغارها وضحكاتهم ، وهي رنة محببة إلى نفسها وتطربها كثيراً؛ لذا مزجت بين ضحكات الأطفال والقيثارة ، فهو الصوت الدافئ الجميل المرهف، وكلاهما يعزفان لحناً جميلاً، فالشاعرة تتناغم صغارها بما يفرحهم ويدخل السرور إلى نفوسهم؛ لأن "الطفل يطرب بطبيعته حين تهدده أمه، ويزداد سعادة حين تكرر الأم مناغاته، يزداد حباً لها حين تشبهه بالزهرة

(١) ديوان لميعة عباس عمارَة: ٨. ينظر: قصيدة (ترنيمة): ٨٦. وينظر: قصيدة (ولدي): ٤١٢.

وينظر: قصيدة (بطاقة حب لبغداد): ٢٣٧. وينظر: قصيدة (زيدون): ١١

أو الغزال أو الفارس الشجاع"^(١) وبذلك استطاعت (عمارَة) أن تخلق من هذا النص نظامًا بيئيًا جماليًا متكاملًا تكون فيه الطبيعة المصدر الرئيس. فالأمومة ظاهرة إنسانية معقدة تضفي على سيكولوجية المرأة عمقًا وخصبًا وثرًا، والخصب، وهي توافق قول (شاعر بولندي): "إن قلوب النساء لهي كخلايا النحل: ان لم يملأها شهد المحبة وضمان الأمومة استحالت سريعًا إلى أوكار للأفاعي"^(٢)، فالأم هي البذرة الأولى التي يتكون منها المجتمع ليستقر ويحقق بيئة آمنة تنعم بالطمأنينة، فجاء شعرها رقيقًا عذبًا من فيض قريحتها وصورة بيئتها المنسجمة مع طبيعة المرأة في إدارة واجباتها الأسرية النابعة من صميم الأمومة .

كما سجلت الشاعرة في ديوان (البعد الاخير) بيان أثر الأم (أم الشاعرة) فإنها المثل الأعلى للبيئة الاجتماعية، لتوفيرها الحب النقي، وهو حُب الأم لأبنائها، فهو مميز بميزة الخلود والبقاء، والاعتراف بالامتنان والفضل. فأنها امرأة مُعلّمة، علمتها أهمية الأنثى وغرست في نفس الشاعرة القدرة على مقاومة الصعاب ومواجهتها، وحل مشكلاتها بشكل صحيح، إذ تقول في قصيدتها (أمي):

(١) الطفولة في الشعر العربي الحديث، د. إبراهيم محمد صبيح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط١،

الدوحة، ١٩٨٥م: ٢٣٥.

(٢) سيكولوجية المرأة: ١٢١.

سلامٌ لأمي التي علّمتني بقسوتها

كيف أمشي على الشوك

أو أتمدّد فوق المسامير

قادرةً

لا ضحية^(١)

وجاء توظيف مفردات (الشوك - والمسامير) وهي جزء من الرموز الطبيعية البيئية القاسية، لتعبر عن الإنسان بأنه جزء من البيئة، وكيفية التعامل مع قسوة الحياة ومتاعبها، فكانت أم الشاعرة هي المعلمة لابنتها، وقد اتخذت من القسوة وسيلة لتعليمها كيف تكون شجاعةً وصلبة (قادرة لا ضحية) في مواجهة تحديات البيئة الاجتماعية والاقتصادية، لأن الأم هي المؤسّسة الأولى للبيئة، وهي مصدر القوة والأمان والإدارة في مواجهة البيئة المليئة بالصعوبات، ويتجلّى وعي الشاعرة البيئي في نقل خبرتها وتجاربها في التعامل مع الحياة حتى تكون قويةً وقادرة. لا ضحية للتقاليد وما تتعرض له المرأة من تهميش وظلم؛ فالنجاة لا تكون بهروب الإنسان من مشكلات الحياة : بل مواجهتها وإيجاد الحلول المناسبة لها . وفي ثنائية (الحرب والسلام) في قصيدة (أغنية لزيدون) تقول :

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٢٠. ينظر: قصيدة (الى امي التي لم اودعها): ٥٠٤.

ويلتفُّ بالعطّر والأمنيات

ويغمُرُ بالحُبِّ قلبَ الحياة

وينشر من خبزه للحمام

لأجلك زيدُ أجبُ السلام^(١)

قد عبرت عن مدى حُبِّها بأن تكون حياة الأولاد مليئةً بالسلام والأمان، ومفردة (السلام) تؤكد من خلالها الرسالة الإنسانية التي تتبذ العنف وكوارث الحرب، فقد منحت الشاعرة الحياة قلبًا دافقًا بالسلام والحب، متخذة من طائر (الحمام) وسيلة للتعبير عن الاستجابة الخاصة التي يبديها الإنسان تجاه البيئة الطبيعية، فأصبحت علاقة الشاعرة بالحمام علاقة تعاطف وجداني تربطهما معاً، وهذه العلاقة لها أصول رمزية لأنها "رمز للمأوى ورمز للود ورمز للخصوبة والوداعة، ثم هي رمز للحزن والشوق والصبابة والبكاء، ثم هي رمز للألفة المنشودة من تألف الحمام"^(٢)، وتؤكد (عمارَة) عاطفة الأمومة، ونزعتها الإنسانية وعواطفها الرقيقة. فهي تحب السلام لأجل صغيرها وصغار العالم، مخاطبة إياه، فتقول:

لتنعم أنت وسربُ الصغار

(١) ديوان لميعة عباس عمارَة: ١٢. ينظر: قصيدة (زيدون): ١١.

(٢) المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٧٠م: ١١٠/٢.

بمستقبلٍ مطمئنٍ النهار

فلا غارةٌ تُرعبُ اللاعبينَ

ولا صرخةٌ من رفيق طعين^(١).

في هذا النص وظفت (عمارة) مفردة (سرب) للصغار لبيان العلاقة بين سرب الطيور والصغار، فكلاهما يمنح النص البراءة والسلام والمودة، فجعلت النهار مطمئناً لمستقبل أولادها. والشاعرة تريد مستقبلاً آمناً لصغارها بعيداً عن الحرب والقتل والدمار التي تتعالى فيها صرخات الأطفال، وبشاعة الحروب وما تحدثه من رعب وتشويه للعباد والبلاد، ولأسيما الصغار الذين لا ذنب لهم، وقد أرادت بهذا إثارة عاطفة المتلقي جرّاء ما يحدث للطفولة؛ لتجسد رؤية بيئية متكاملة. فالإنسان لا ينفصل عن بيئته، وإن الاستقرار البيئي لا يتحقق إلا بتوازن الطبيعة والمجتمع.

وقد مثلت المرأة في شعر (عمارة) "موضوعاً ثراً فلطالما كانت المرأة مفتاحاً أساسياً للقول الشعري"^(٢)، فرسمت لميعة المرأة المفضلة (المرأة الكادحة) التي اتخذتها لتشاركها الحياة، بعد أن كانت مهمشة معطلة عن دورها الكبير في المجتمع، فهي سر استمرار البشرية وهي نصف المجتمع، فأرادت أن تؤدي دورها في بناء الحياة،

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٣.

(٢) المرأة في التراث العربي قبل الإسلام، محمد عبيد الله، مجلة سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، جامعة عين شمس، كلية الألسن، العدد (٤٤)، ٢٠٠٥م: ٣٦٦.

وأن تكون حرّة أبيضّة نقيّة، فوصفتها من عمق الواقع البيئي في قصيدة (إلى خبازة)،
فنتقول:

تمنّيتُ شعري كتنوّركم

تستديرُ الحروف به أرغفة

تُغذي المساكين

كلّ الجياح على الأرصفة

ولكنّ شعري وأسفاه

يظلّ حروفاً

تَرِفُ على الشِّقَّةِ المُتْرِفَةِ^(١)

في هذه الأبيات رسمت الشاعرة صورة المرأة (الخبّازة) وهي تعيش خبرة اليأس والإحباط والألم لقضايا الشعب والجياح، فالشاعرة هنا وظّفت المفردات (الشعر والحروف والشاعرة)، و(التنور والأرغفة والخبّازة) فهي تعبر عن مجتمع النساء ويتجلّى فيها منظر ريفي من جنوب العراق، الذي يمثل بيئة الشاعرة، وعمل الخبز بالتنور، وهو من المهام الرئيسة للمرأة الريفية في الجنوب العراقي وللمرأة العراقية بشكل عام، وربما مارست الشاعرة هذا العمل في أطوار حياتها، طفولتها أو شبابها،

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٩٩.

وتمنّت أن يكونَ شعرها كأرغفة يغذّي الجائعين، وبهذا تحيل على قضية المرأة المعدّمة فهي مصدر للحياة.

وهذا النص يعكس وعي الشاعرة بالترابط البيئي الاجتماعي وخاصة قضية المرأة (العاملة الكادحة) التي تعمل لتعيش وتتفق على أسرتها بكرامة، حتى تكون مستقلة ومساوية للرجل وتشاركه الحياة بعد إن كانت مسلوقة الحرية، ومهمشة عن دورها الكبير في المجتمع. وطمحت (عمارة) في هذا النص، أن ترى المرأة طبيعية بعيداً عن مظاهر التبرج والزينة، وقد أدركت أن عمل المرأة يفوق عمل الشاعرة لما له من أهمية؛ لأنه يغذي المساكين، أما قصائدها فتكون على أفواه المترفين فقط.

وجسّدت (عمارة) تهमيش المرأة واستغلالها في قصيدة (غروب في بيروت)، بقولها:

الشمسُ رَغيفٌ أَكلْتُ منه

غُيُومُ العصر

ونصبُ الحرّيةِ فوق الروشةِ

سيدهُ تنتحرُ

سرٌّ أعمقُ من قاع المتوسطِ

يكمنُ في صدرِ امرأةٍ تنتحرُ

شاهدها قيلَ شهودٌ أربعةُ

وهي تضاجعُ صعلوكًا

قل تراءت وهي مَقْنَعَةٌ تُخفي

شيئاً ممنوعاً

بل كانت ترفُضُ قالوا

ذُلَّ البعل، امرأة مُحْصَنَةٌ

أسلمها الصبرُ الى القبر

وقالوا - الله العالم -

والثابتُ أن السيدة انتحرت^(١)

يُعد هذا النص من النصوص الخطابية التي أضمرت خلفها تآكل طاقة المرأة وحيويتها ، بفعل القيود التي فرضها المجتمع عليها ، لتتحول بذلك الى شئ من السهل إستغلاله متى يشاء وكيف يشاء . فجعلت من عنصر الطبيعة (الشمس) رمزاً للطاقة الذي يسهم في اخضرار الطبيعة ، وخلاف ذلك ينعدم بانعدامها ، أو ترمز الى تآكل حيوية المرأة وانعدامها ؛ بسبب القهر والاضطهاد ، فأصبحت بذلك كائنًا ضعيفًا يلجأ إلى الانتحار، كما ربطت الشاعرة (الغيوم) التي ترمز للظلم والقهر بمفردة (العصر) التي تمثل نهاية اليوم التي تستنزف طاقة المرأة وحيويتها، كما أشارت (عمارة) إلى (الروشة) وهو مَعْلَم طبيعي من معالم السياحة اللبنانية، التي

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٢٨.

تطلق عليها سكان هذه المنطقة بصخرة الحب والانتحار؛ لما تشهده من حالات وحوادث الانتحار^(١). وبما أن المرأة جزءاً من المنظومة البيئية ، فإن الظلم الذي تعاني منه المرأة هو ذاته يمارس على الطبيعة ، لذا عُد الانتحار احتجاجاً على الظلم الذي وقع على الطبيعة والمرأة في الوقت نفسه .

المحور الثاني: المرأة والبيئة مقارنة نقدية

ترتبط المرأة بالطبيعة ارتباطاً وثيقاً منذ فجر الحضارة ؛ لأنها تتصدر المشهد في كثير من الثقافات بوصفها رمزاً معنوياً من رموز الطبيعة -وعلاقة المرأة بالبيئة علاقة موعلة بالقدم منذ أن وجدت الأرض (أماً) ، والطبيعة (أنثى) ، وهي أشد ارتباطاً وتأثيراً مقارنة بالرجل .

والعلاقة بين المرأة والبيئة تجسّدت من خلال مواطن الجمال، إذ ارتبطت بين الطبيعة وجسد المرأة، وكان ذلك واضحاً في الشعر العربي القديم ، فقد شبهت المرأة بـ(الغزال والشمس والقمر والظبي) ، فلا تذكر الطبيعة إلاّ مع ذكر المرأة ، وبذلك أصبحت العلاقة أكثر ترابطاً ، وعُدت الأرض والمرأة رمزاً للعطاء والخصوبة.

وتُعد علاقة المرأة بالبيئة واحدة من أبرز الثنائيات في الأدب العربي عامة ، والعراقي خاصة، فقد شغلت حيزاً كبيراً في مجال الأدب عبر التاريخ ؛ وكأنهما

^(١) ينظر: قصة مكان الروشة صخرة الحب والانتحار، عبد اللطيف نصار، مجلة بوابة الاهرام

الالكترونية: ٢٠١٩م. (مقال نت)

وجهان لعملة واحدة ؛ لاشتراكهما في أزمتين متقاربة نظراً لما تلاقيه المرأة من الظلم والاضطهاد والتهميش الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي^(١)، لأن المرأة في نظر هذه الأيديولوجيات (الدوني والمهمش والآخر) فظهرت بذلك النسوية بوصفها ردّ فعلٍ على هذه الأيديولوجيات.

والنسوية هي حركة سياسية تهدف إلى غايات اجتماعية تتمثل في حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها. نشأت في القرن التاسع عشر^(٢)، وتسعى إلى المحافظة على التوازن البيئي ، واستمرار الحياة ، وحماية المجتمع من العنف والظلم والاضطهاد ، ومحاولتها لوقف استغلال البيئة والمرأة^(٣)؛ لبيان أهميتها ودورها في المجتمع ؛ لأن سمة الأنوثة لا تكون مرتبطة بجنس المرأة بقدر ما ترتبط بحياتها الاجتماعية والثقافية ، وقد وُصِفَت النسوية بأنها من المصطلحات الغربية التي انتقلت إلى الثقافة العربية عن طريق الترجمة. وقد ترجمت الكاتبة الفرنسية (سارة جامبل) مصطلح (النسوية)، في كتابها (النسوية وما بعد النسوية). وهي ترى أن (الأنوثة) نتاج ثقافي مصدره الرجل وليس المرأة، فأصبحت المرأة لا تعبر عن ذاتها

(١) ينظر: النقد البيئي ونظرية الأدب (دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة)، عبيد جودت عبد الحافظ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، عمان/ ٢٠٢٣م: ٢٢٨.

(٢) ينظر: النسوية وفلسفة العلم، يمنى طريف خولي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م: ١١.

(٣) ينظر: النقد البيئي ونظرية الأدب: ٢٩٩.

بقدر ما تستجيب لمطالب الرجل وغاياته^(١). وبهذا الصدد نستدعي قول (سيمون دي بوفوار) في كتابها (الجنس الآخر)، إذ قالت عبارتها المشهورة "إنّ الواحدة من النساء لا تولد امرأة ، لكنها تصبح فيما بعد امرأة"^(٢)؛ لبيان أهميتها ودورها المميز في بناء المجتمع .

وترى الدكتورة (يمنى الخولي*) أنّ (النسوية)، هي "كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة واستجواب ، أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنيات الاجتماعية، الذي يجعل الرجل هو المركز، هو الإنسان ، والمرأة جنسًا ثانيًا أو آخر في منزلة أدنى ، فتُفرض عليه حدود وقيود ، وتمنع عنها امكانيات للنماء والعطاء فقط ؛ لأنها امرأة ، لتبدو الحضارة في شتى مناحيها إنجازًا ذكوريًا خالصًا يؤكد ويوطد سلطة الرجل وتبعية وهامشية المرأة"^(٣)، ويمكن القول إن النسوية ليست مجرد

(١) ينظر: النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ترجمة: احمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م: ٧٩.

(٢) مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، حفناوي بعلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م: ١٣٢.

* يمنى الخولي: أستاذ فلسفة العلوم ومناهج البحث بكلية الآداب جامعة القاهرة: ينظر النسوية وفلسفة العلم ١٤٥

(٣) أنثوية العلم - العلم من منظور الفلسفة النسوية، ليندا جين شيفرد، ترجمة: يمنى الخولي، علم المعرفة، ط١، (د.ت)، ٢٠٠٤م: ١١.

نشاط سياسي أو حركه اجتماعية ، بل تشمل إطاراً فكرياً يهدف إلى تفكيك المشروع الأبوي وجميع الأنظمة الاجتماعية .

وقد وجدت المرأة العربية في الكتابة وسيلة للتعبير عن واقعها، وإثبات كينونتها؛ ولاسيما حين تكون واعية بالثقافة النسوية وأثرها في طبيعة النصوص التي تنتجها المرأة .

وقد وضعت الشاعرة يدها على كثير من المشكلات المتعلقة بالبيئة الاجتماعية ، وفي مقدمتها (قضية المرأة) وذلك في مرحلة كان الاهتمام بمثل هذه القضايا والالتفات إلى أبعادها الفكرية أمراً محدوداً، لذا بدت تجربتها متقدمة في اكتشاف كثير من المفاهيم المرتبطة بمكانة المرأة ودورها في المجتمع ومن النماذج الدالة على ذلك قصيدتها الحوارية الشهيرة (عراقية) التي مزجت فيها بين الالتزام والتمرد لإثبات هويتها العراقية وخصوصيتها الأنثوية. وقد جاءت في سياق الحوار الذي دار بينها وبين الشاعر (عمر أبو ريشة) خلال أحد مهرجانات (المربد) الشعرية في العراق ، إذ حاول مغاللتها ، فجاء ردّها معبراً عن اعتزازها بذاتها وتمسّكها بقيمتها وهويتها، فقالت :

-تدخين؟

-لا

-أ تشربين؟

-لا

-أترقصين؟

-لا

-ما أنت؟ جُمع لا؟

- أنا التي تراني

كلّ خمول الشرق في أرداني

فما الذي يشدّ رجلك إلى مكاني ؟

يا سيدي الخبير بالنسوان

إنّ عطاء اليوم شيء ثانٍ

حلق !

فلو طأطأت...

لا تراني. (١)

لقد وضعت (عمارة) القصيدة المعنونة بـ (عراقية) في مقدمة مجموعتها الشعرية ، فأرادت أن تقول في حوارها مع الشاعر (عمر ابو ريشة) إن المرأة العراقية ، بل الشرقية على العموم، تقدّم أحياناً بوصفها محافظة على أدق تفاصيل حياتها،

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٨١. ينظر: الديوان نفسه في قصيدة (لا): ١٦٨. ينظر قصيدة (الى الشيخ الشاعر): ٧٢.

ويتشمل ذلك في ابتعادها عن بعض السلوكيات التي لا تتسجم مع منظومتها القيمية والاجتماعية .

وقدمت (عمارّة) في هذا النص صورة المرأة في البيئة العراقية في مواجهة الآخر، ولا يهم من يكون هذا الآخر بقدر اهتمامها بمعالم الصورة التي قدمتها لنا. وفي هذه الحوارية يحاول رجل (خبير بالنسوان) كما وصفته (لميعة) أن يكتشف شخصية المرأة التي أمامه من خلال مجموعة من الأسئلة المتتابعة ، إلا أنه يُصدم بإجابات حاسمة تؤكد شخصيتها وتمسكها بقناعاتها ، لذا نادراً ما تراها تتردد أو ترتبك ، بل نلاحظ اللمعان المنتصر في عينيها وهي تحدد نظراتها المتعالية إلى الآخر، فهي كتلة من (لا) ، وهذه الـ (لا) هي التي تحكمها، حتى لا تقع فريسة الإغراء والإغواء. كما لا يعلم بأنها ابنة بغداد التي لا تستهويها الملذّات، فهي ذات كرامة وحضور إنساني ، وذات قوية لا يسهل التلاعب بها ، فالذي يريد أن يراها عليه أن يخلق عالياً حيث الرفعة والسمو.

وفي هذا النص أيضاً تنقل هموم المرأة وأحزانها في البيئة التي تنتمي إليها الشاعرة ، تلك البيئة التي يعيش فيها التخلّف في كل ركنٍ من أركانها^(١). و(عمارّة) ليست الوحيدة من الشاعرات التي تعيش تحت وطأة هذا الإحساس ، وتوجهها نحو

(١) ينظر: التخلّف الاجتماعي - مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، مصطفى حجازي، معهد الأنماء العربي، ط٩، بيروت: ٢١٦.

الاستفهام هو غاية في نفسها، ولم يأت بشكل اعتباطي ؛ لأنها تجد فيه نفساً تبتث شكواها وآلامها وحسرتها، لتفريغ ذاكرتها من جميع الأسئلة. فهي مثل كثير من الشاعرات اتخذت من الشعر متنفساً للتعبير عما يجول في خواطرهن.

كما استعملت (عمارة) الطبيعة لوصف جمالها وأنوثتها وقوة شخصيتها، فجعلتها ذات هيئة مؤنثة لتأنيث التجربة الشعرية للحياة ، وإثبات هويتها الضائعة التي حاولت إيصالها للآخرين في قولها: (أن عطاء اليوم شئ ثانٍ) وفي قصيدة (حلوة) وهي إحدى قصائد مجموعتها المعنونة (أغاني عشتار) نقول فيها:

أدري أنني حلوة

نطقت عيناك بها ألفي مرة

وأنا أدري

ما لا تدري

أدري أن جمالي بحر

يُعليه المدّ ويدنيه الجزر

فإذا أحببت

ترقق في أعماقي دُر

وتورّد بالمرجان الثغر^(١)

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٧٠.

يحمل هذا النص كثيراً من الدلالات البيئية والوجودية التي تؤسس للوعي البيئي النسوي؛ إذ تستمد جمالها وشخصيتها وحلاوتها من الطبيعة، فقد دمجت بين المنظر الطبيعي والمنظر النفسي، كما وظّفت المفردات (حلوة والبحر والمد والجزر والدُر والمرجان) في معانٍ رومانسية، فقد ربطت هذا الجمال بحبها لحبيبها/ وطنها، وهذا الحب هو الذي منحها الجمال والحياة والقوة والأمل. فمفردة (حلوة) من المفردات العراقية شائعة الاستعمال لنداء الحبيب وتدليله، فالجمال لا تراه العين بل تتصهر به الروح.

وهذه من مفردات البيئة العراقية التي تحمل كثيراً من الدفء والحنان وهي الأقرب إلى القلب، و(عمارة) تُشبه الذات الأنثوية بالبحر وجماله وعمقه؛ لأنه يمنح الحياة والجمال والرزق، فجعلت من البحر مرآة تعكس جمال روحها، ومن المد والجزر تعبيراً عن تغيّر مشاعرها الخاضعة لنواميس الطبيعة، والدُر والمرجان زينة لجمالها، فالحب عند الشاعرة ليس مجرد عاطفة، بل هو طاقة إبداعية تتولّد من عمق كيائها الأنثوي كما يتولّد اللؤلؤ والدُر من أعماق البحر، كما حولت مفردة (الثغر) إلى المرجان الذي يجسّد اندماج هذا الكائن الأنثوي بعناصر الطبيعة لتعزيز فكرة جمال المرأة الطبيعي والأصيل مثل جمال الطبيعة، "فالمرأة هي الطيف السماوي

الذي هبط للأرض لِيُعَلِّمَ البشرية طهارة النفس، وجمال الحنان^(١)، وإن اختيار (عمارة) لكثير من المفردات التقليدية من البيئة العراقية؛ لأنها تُعبّر عن رؤيتها الشعرية الخاصة. لتجعل من جسدها الأنثوي منظومةً بيئيةً في مدّها وجزرها وأعماقها، لإدراك الرابط البيئي العميق بين الإنسان وبيئته، وإنها جزءٌ لا يتجزأ من الأنظمة البيئية التي تحتاج إلى الحماية والرعاية بعيداً عن الهيمنة الذكورية الاستغلالية للمرأة والطبيعة.

وتجسّد رؤية (عمارة) في طبيعة شعرها صورة للمرأة الراضة للواقع الذي يقيد الذات الشعرية المبدعة ويحدّ من انطلاقها، وهذا ما تكشفه قصيدتها (التأهة*)، إذ يمثل العنوان العتبة الأولى للنص؛ إذ تبرز بصوتها الأنثوي الذي اقتحم فضاء القصيدة العراقية بوصفه (ذاتاً) ترفض الاضطهاد والتهميش في مجتمع ذكوري، فنقول:

جاء المساء فما أعدّ من المخاوفِ والعذابِ

ماذا أرى؟ ربّاه رِفْقاً، تلك أحداقُ الذئابِ

تدنو رويداً، من تخافُ إذا دَنَّتِ مِمَّنْ تهابُ؟

(١) الخيال الشعري عند العرب، أبو القاسم الشابي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د. ط)، مصر، ٢٠١٣م: ٤٦.

* نالت هذه القصيدة الجائزة الأولى في مهرجان الشعر ١٩٤٩م، ينظر: ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٧.

مَنِي أَنَا تَخْشَى؟ أَمِنْ هَذِي الْبَقِيَّةِ فِي الثِّيَابِ؟

يَهْنِيكَ يَا ذَنْبُ الْفَلَا

فَأَنَا هُنَا

وَحْدِي^(١)

في هذا النص تتجلى ثنائية واضحة عبرت عنها (عمارة) ؛ إذ إن "الإنسان منذ خُلِقَ ولوعاً بالتميز والمفاضلة ؛ وقد وَجَدَ في (الذكورة) و(الأنوثة) ثنائية جديدة يضيفها إلى قائمة ثنائياته المعهودة"^(٢)، فصوّرت الرجال بوصفهم (ذئاباً)، في مقابل امرأة شاعرة خائفة وحيدة في مساء مجهول في إشارة إلى عالم يفتقر إلى الحماية، لا تجد من يزود ويدافع عنها سوى (الأب) وهو الذكر نفسه. وعلى المستوى الواقعي، فإن (عمارة) فقدت أباه وأخاها بسبب المرض، وهو ما انعكس على إحساسها العميق بالوحدة التامة وراثاً الذات وخيبة الأمل، و الشعور بالنهاية المؤلمة، فالذكورة تمثلت (بالذنب) وهو مشهور بالغدر والظلم والخيانة، في حين بدت الأنوثة وحيدة وضعيفة ومستسلمة أمام الواقع، والشاعرة لا تفرّق بين ذنب وآخر، فجميع من يحيط بها يتخذون هذه الصورة الرمزية، باستثناء (الأب).

(١) ديوان لميعة عباس عمارة : ٤٨.

(٢) سيكولوجية المرأة: ٣.

وقد كتبت هذه القصيدة في مدينة (العمارة) عام (١٩٤٩) وتميزت آنذاك بنسقتها الثقافي، الذي يجعل الرجل ممثلاً للسلطة والمركز، والمرأة ممثلة للهامش والدونية، إلا أنها برغم ذلك ما زالت قوية متمسكة بالحياة في ظل المجتمع (الذكوري).

ورأت الكاتبة (إنعام كجه جي*) في تحليلها للحركة النسوية العراقية أن "لميعة مثّلت ظهور الشخصية النسوية المثقفة، لحظة صعود الطبقة الوسطى وقيم المدنية في العراق"^(١) وهو ما يفسّر قدرة الشاعرة على التعبير عن المرأة وتطلعاتها؛ إذ جاءت عنوانات قصائدها محمّلة بدلالات رمزية عكست هذا الوعي و أضفت عليها طابعاً أقرب إلى التأنيث الرمزي للوجود، بما عكس حضور المرأة بوصفها هوية ووعياً في آنٍ واحد.

وخلاصة القول:

إن التيه في ظل المجتمع الذكوري لا يعني الضعف والاستلام، بل تمثّل مساحة للصبر والمقاومة، وتحولاً من رمز الضياع إلى رمز القوة، وقد سَعَتْ (عمارة) إلى تعميق خطاب المرأة في شعرها للتعبير عن حقوقها المسلوبة وما تعانيه من الظلم و الاضطهاد الاجتماعي الذي عانت منه المرأة العراقية في مختلف العصور،

* انعام كجه جي: صحافية وكاتبة عراقية

(١) مقال منشور: احتفاءً بما لم يعد هنا، انعام كجه جي، توقّع (لوحة لميعة):

كما رأت أن المرأة كيان قوي مستقل له الحق في الاختيار والتعبير عن ذاته، وأنها بذلك تقول ما يخشاه الآخرون، لتذكرنا الشاعرة بأن الشجاعة لا تحتاج إلى سيف، بل إلى قلم.

الفصل الثالث:

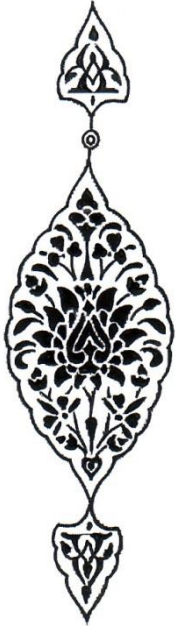
تجليات الاغتراب البيئي (المكاني)

المبحث الأول:

صورة الوطن والحنين إليه

المبحث الثاني:

ثنائية البيئة (الأم) والبيئة (الجديدة)



الفصل الثالث

تجليات الاغتراب البيئي (المكاني)

تُمثل ظاهرة الاغتراب إحدى المفاهيم الرئيسة التي شغلت فكر الإنسان عبر العصور ، وارتبط ظهورها منذ القدم بالوجود الإنساني، وتُعدّ من الظواهر الاجتماعية المهمة التي تناولتها كثيرٌ من الدراسات النقدية الحديثة، وهي ظاهرة إنسانية متعددة الأبعاد، تقترب بشعور الفرد بالوحدة والعزلة، والانفصال عن الذات، والانطواء على النفس، وعدم القدرة على مسايرة الآخرين، وعدم الشعور بالانتماء والانسجام مع البيئة التي يعيش فيها الفرد. وقد وردت كلمة (اغتراب) في لسان العرب بمعنى " (عَرَبَ) أي: بَعَدَ و(العَرَبَ): الذهاب والتَّحَيُّ عن الناس و(العُربَة والعُرب): النزوح عن الوطن، والاعتراب والتغريب: النفي عن الوطن"^(١) وقد تعددت مفاهيم الاغتراب في مختلف النشاطات والميادين العلمية والبحوث الاجتماعية والدينية والدراسات الفلسفية وغيرها؛ لذلك من غير الممكن أن يضع الباحثون تعريفاً واحداً له ، ويرى الدكتور (أحمد خيرى حافظ) أن الاغتراب يُشكّل "وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسّد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق، وما يصاحب ذلك من سلوك إيجابي، أو الشعور بفقدان المعنى واللامبالاة ومركزية الذات

(١) لسان العرب: مادة (عَرَبَ): ٢٤/١١، ينظر: المعجم الوسيط: باب (الغين): ٦٤٧/٢.

والانعزال الاجتماعي"^(١)، ومن هذا المنطلق يمكن القول : إن تعريف الدكتور (أحمد خيري) قريب مما نريد استنتاجه من علاقة النقد البيئي وأثر البيئة في توليد ظاهرة الاغتراب، وهذا ينطبق على قول: (أديث كريزويل) في كتابها (عصر البنيوية) ؛ إذ ترى أنّ الاغتراب هو "حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريباً وبعيداً عن واقعه الاجتماعي"^(٢)، فيعيش الإنسان بين بيئتين مختلفين ؛ الأولى : بيئة يرغب في العيش ويطمئن دون وجود خطر يهدد حياته، والأخرى بيئة يكون فيها مرغماً على العيش، مع عدم التأقلم والتكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع. وقد اشتركت جميع الدراسات - على الرغم من اختلاف لغاتها - في المعنى العام لظاهرة الاغتراب بوصفها "انفصال الإنسان ، سواء عن شيء ما، كالمليّة ، أم عن العقل والحواس، أم عن الآخرين ، أم عن الله . تلك هي الخلفيّة اللغوية التي استُخدمَ في إطارها مصطلح الاغتراب أو الغربة"^(٣).

(١) الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي، د. صلاح الدين أحمد الجماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، ط١، المملكة الأردنية الهاشمية: ٢٠١٠م: ٤٩.

(٢) عصر البنيوية، أديث كريزويل، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح للطباعة والنشر، ط١، الكويت، ١٩٩٣م: ١٩.

(٣) نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، لزهة مساعدي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، (د.ط)، ٢٠١٣: ١٥.

وقد برز مفهوم (الاغتراب) بشكل أكثر تعقيداً مع التحولات الكبرى، وبخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين مع تقدم الزمن واختلاف المبادئ بين الماضي والحاضر؛ وذلك لما شهدته المجتمعات الحديثة من تطور تكنولوجي وصناعي. وقد أدت هذه التغيرات إلى سيطرة المعيار المادي على الحياة، وغياب المقومات الأخلاقية والقيم الإنسانية في التعامل بين الجماعات، مما أدى ذلك إلى شعور الفرد بالانعزال والاغتراب داخل المجتمع المحيط به^(١).

ويُعد الاغتراب من القضايا الجوهرية في الشعر الحديث ، لما نلمحه من انعكاسه وتأثيره في التجربة الشعرية ؛ إذ يعبر الشعراء من خلاله عن فقدان الحرية والهوية ، واغترابهم وعدم انتمائهم للبيئة ، وهذا يجسّد وعي الشاعر العربي المعاصر النابع من الواقع القهري والمحنة الذاتية المؤلمة^(٢). وقد تتضح قدرة الشعر في أن "يواجه الوقائع المفردة في الحياة ، التي يمكن أن تكون نافذة على العالم الكبير، فتعالج الموقف... ذلك الموقف الذي تكلل بالحزن والكآبة والتشاؤم ، وعكس لنا ذاتها

(١) ينظر: الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، قيس النوري، مجلة عالم الفكر، العدد(١)، الكويت، ١٩٧٩م: ٣٠.

(٢) ينظر: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨١م: ٢٨٩-٢٩٩.

الكئيبة"^(١)، فالتجارب الإبداعية للأدب لم تثمر إلاّ عن طريق الأزمات والأحداث الحقيقية التي يعاني منها الأديب، فينعكس ذلك في شعره ؛ لأن الشاعر هو جزء رئيس من البيئة التي يتأثر بمظاهرها وأحداثها المتنوعة ، فتثور في نفسه نزعات وأصوات يصورها الأدب^(٢)، ومن هنا يظهر أن "أشكال البيئة الخارجية التي يرصدها الشعراء في شعرهم عبر مظاهرها السياسية والاجتماعية والثقافية شبيهة بأشكال البيئة الداخلية النفسية لدى الشعراء من حيث انهيارها وخرابها وتأزمها"^(٣)، ولكي يتخلص الشاعر من واقعه المرير فيلوذ بالفرار إلى عالم الطبيعة الخلاب. فتحضر في نصوصه الشعرية، لتخفيف وطأة الحزن والألم؛ لأن عالم الطبيعة هو الملاذ الآمن للشاعر عندما تضيق به الحياة^(٤).

(١) الاغتراب في شعر نازك الملائكة، ساجدة عبد الكريم خلف التميمي، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١٦م: ٤٨.

(٢) ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري، احمد علي إبراهيم، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، ط١، بغداد، ٢٠١٣م: ٥٥-٥٦.

(٣) البيئة في الشعر الجزائري المعاصر، دليلة مكسح، اشراف: علي عالية، جامعة محمد لخضير- بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، الجزائر، ٢٠١٥م: ٢٤٧. (أطروحة دكتوراه)

(٤) ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر-مرحلة الرواد، محمد راضي جعفر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، ١٩٩٩م: ٧٧.

وقد عانت (عمارة) أشد أنواع الاغتراب وانعكس أثره على تجربتها الشعرية، فكانت أول قصيدة لها في هذا الجانب، وهي إحدى الرسائل التي كانت ترسلها شكاة الى الشاعر (إيليا أبي ماضي) ، إذ تقول :

أنا الغريبة في أهلي وفي وطني وأنت مجهل معنى روحك البشر *

وأنت تعرف روعي حيث تشبهها وليس يخفى على لألائك الخبر

عدد مساوئها، واذكر محاسنها قد ضقت ذرعاً بها، وانتابني الضجر^١

من خلال مفرداتها المعجمية عبّرت عن حجم المعاناة المأساوية التي عاشتها، وشعرت من خلالها بالغربة النفسية والروحية والاجتماعية، لكن ظاهرة الاغتراب اكتسبت خصوصية فريدة عند (عمارة)؛ إذ يندمج هذا المفهوم في علاقة جدلية معقدة تعود جذورها إلى الأحداث السياسية والتأريخية التي رافقت هجرتها من العراق، وما ارتبط بها من حروب متواصلة وعنف وحصار، لذلك نجد أن الاغتراب يقود إلى عدم الانسجام مع البيئة الجديدة عندما تكون الذات غير منسجمة مع الواقع الجديد، وانطلاقاً من هذا المفهوم لظاهرة الاغتراب بوصفها حالة مركبة ذات أبعاد نفسية

^١ أدب المرأة العراقية ١١٦

* وجدت الباحثة ان هذه القصيدة لم ترد في ديوان لميعة عباس عمارة

واجتماعية وثقافية، تتجلى من الخطاب الشعري عبر صور متعدّدة تعكس علاقة الإنسان ببيئته .

يتجه هذا الفصل إلى دراسة تمثّلات الاغتراب في شعر (لميعة عبّاس عمارة) من خلال بحثين رئيسيين، هما صورة الوطن و الحنين إليه مُمثلة في مدينة بغداد، وصورة منزل الطفولة والذكريات، وصورة الوطن في علاقته بالأب والأم والابن، أمّا المبحث الثاني فتناول : ثنائية البيئة (الأم) و البيئة الجديدة.

المبحث الأول

صورة الوطن والحنين إليه

تُعَدُّ الصورة الشعرية العنصر الرئيس في بناء النصوص الشعرية؛ إذ يتمكن الشاعر من خلالها التعبير عن طاقته الإبداعية، وتصوير مشاعرة الداخلية والانفعالية وأفكاره وأحاسيسه بطريقة فنية واضحة.

وقد حظيت الصورة باهتمام واسع وكبير من لدن النقاد القدماء والمحدثين؛ لما لها من أسلوب خاص ومميز في تقديم المعنى وتأثيره العميق على المتلقي^(١).

ويعد الجاحظ (ت ٢٥٥) من أوائل النقاد العرب الذين أشاروا إلى مفهوم الصورة، فقال: أن "الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير"^(٢). ولذلك فإن الصورة هي "بنية تتشابه فيها العلاقات وتتفاعل لتنتج الأثر الكلي الذي يفتح على العمل الفني ويضيء أبعاده"^(٣).

(١) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط٣، بيروت، ١٩٩٢م: ٣٢٨. ينظر، دير الملاك : ٢٢١ ينظر ، الخطاب الشعري الحدائوي والصورة الفنية ، عبد الاله الصائغ : ٩٨

(٢) كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط٢، مصر، ١٩٦٥م: ١٣٢/٣.

(٣) جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٧٩م: ٢١.

أما في النقد الغربي الحديث، فقد حدد (سيسل دي لويس) طبيعة الصورة الشعرية بأنها "رسم قوامه الكلمات"^(١)، وفي النقد العربي الحديث تُعد أداة تعبيرية رئيسة، تتقل مشهدًا حيًا وتلخص خبرة إنسانية معمقة، بحيث لا يقف القارئ عند المعنى الظاهري، بل يتفاعل مع البُعد الأعماق للنص^(٢).

وقد تعددت صورة الوطن واتخذت أنماطاً وأشكالاً متنوعة ومختلفة، فهي "دم وخيال وفكر يتدفق معاً"^(٣)، ولذلك نجد أن صورة الوطن تتسع أحياناً وتشمل العالم أجمع، وقد تضيق لأبسط جزء يمكن اختزاله في الكون.

والقارئ لشعر (لميعة عباس عمارة) يلحظ تنوعاً واضحاً لصورة الوطن والحنين إليه، مع غلبة ملامح الحزن والاعتراب، وهذا ما دفع الباحثة للوقوف على هذه الظاهرة، لما لها من علاقة بالبيئة التي غادرتها الشاعرة، والبيئة التي لم تستطع أن تتوحد معها.

(١) الصورة الشعرية، سيسل دي لويس، ترجمة: احمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن ابراهيم مراجعة: عناد غزوان إسماعيل، دار الرشيد للنشر، مؤسسة الخليج العربي للطباعة والنشر، د ط الكويت / ١٩٨٢م: ٨٢.

(٢) ينظر: الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٩، القاهرة، ٢٠١٣م: ٨٢.

(٣) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيث درو، ترجمة: محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمه، د ط بيروت، ١٩٦١م: ٣٩.

لابد من الإشارة أولاً إلى أنّ هذا المبحث غير معني بالحنين بوصفه ظاهرة نفسية مستقلة، وإنما بوصفه تجربة مرتبطة بالبيئة التي تفكر (تفكر وتحلم وتحنّ) إليها الشاعرة، التي شكّلت المحور الرئيس في عموم تجربتها الشعرية التي تشمل بغداد ومنزل الطفولة والذكريات وصورة الأب والام والأبن.

مدينة بغداد

يشكل الحنين جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان بصورة عامة، وحياة (عمارة) بصورة خاصة، ومن الطبيعي أن تحنّ إلى مدينتها (بغداد) التي وُلِدَتْ وأبصرت النور فيها، فأصبحت جزءاً من كيائها ؛ لأنها الجذر الذي لا يمكن اقتلاعه من روحها، وفي قصيدة (بغدادُ أنتِ) ، تقول:

وبغداد أنتِ، إذا شطَّ بي
مزارٌ، لواني إليها القدرُ
حصادُ المروءاتِ من بذرها
وريقٌ أنيقٌ رهيفُ الصُّورِ
تمدّد عبرَ الزمانِ السحيقِ
وعرّشٌ من سُومرٍ للحَصَرِ

وأنت... جنانُ جبال الشمال

تفجّر سلسالها وانهمز^(١)

لقد حظيت (بغداد) بحضور خاص في شعر (عمارة) ، يتجاوز حدود المدينة الجغرافي إلى دلالات حضارية وروحية ، فهي ليست مكانًا فحسب ، بل انتماء وجداني وتكشف القصائد عمق العلاقة بين الشاعرة وعناصر البيئة الطبيعية من (أنهار وجبال وزروع) ، ليتحول حنينها باتجاه (مدينة بغداد) وجعلها مزارًا في روحها وفكرها، فتشكّل منها المثل الجمالي الأعلى للبيئة، فأصبحت (بغداد) بوصلةً ترشدها إلى مراكز الكون؛ لأنها ضفة الأمان لروحها، كما تعاملت مع البيئة من خلال توظيفها للعبارات الرقيقة (ريقٌ أنيقٌ،...، جبال الشمال) ، وهي إشارة الى أن بغداد لا تعني المدينة المعروفة؛ وإنما هي رمز للعراق كلّهُ ، حيث أكسبتها الأرض والماء قداسة روحية، وأنها كانت شاهدة على (حصاد المروءات من بذرها) التي تشير إلى الماضي الذي كان مليئًا بالحياة والعطاء الممتد عبر الأزمنة العريقة من عرش سومر إلى الحضر؛ لتكون بغداد هوية البيئة العراقية الدالة على القوة والاستقرار والامتداد الحضاري، لذلك نجد أن "الطبيعة المحايدة تلبس حالة الشاعر النفسية وتتلون

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣١٧.

بعواطفه وانفعالاته ومواقفه"^(١)، فالانتماء إلى الطبيعة يعبر عن الحالة الشعورية التي كانت تمر بها (عمارة) بسبب الغربة والحنين إلى (بغداد)، وتصف تلك الأجواء النفسية والبيئية بكل موجوداتها وإقامة العلاقات بين أحاسيس الشاعرة والطبيعة؛ لأنها تدعو إلى الحرية والعفوية والعودة إلى الذات والفطرة؛ بوصفها نقيضاً لكل انتهاكٍ لحرية الإنسان^(٢)، وبذلك أصبحت الطبيعة هي الشريك الروحي لشخصية (عمارة) ويتجلى وعي الشاعرة باستدعاء العناصر البيئية لتعويض الفراغ الذي خلقه الاغتراب في نفسها.

وتكشف قصائد (عمارة) عمق العلاقة الأزلية المعقدة بين الشاعرة والحنين إلى الوطن، هذه العلاقة التي جمعت بين الألم والانتماء، والحب والافتقاد، ولشدة حنينها وتعلقها بالعراق تقول مفتخرة في قصيدة (أغني لبغداد):

بلادي ويملؤني الزهو أني

لها أنمي وبها أتباهي

لأنّ العراقة معنى العراق

(١) تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث، محمد حسن عبد الله، دار الفنون والآداب، ط١، العراق، ٢٠٢١م: ٢٥٧.

(٢) ينظر: حركية الابداع-دراسات في الأدب العربي "٢٨-٢٩.

ويعني التبغدد عزّا وجاها^(١)

إنّ مفردة (العراق) تعني الكيان الجمالي للشاعرة، وبهذا تغدو (بغداد) هي (العراق)، فقد استعادت (عمارة) بغداد هذه المدينة الغائبة الحاضرة عبر لغة مشبعة بدلالات الزهو والفخر والاعتزاز بالانتماء إليها، و(لميعة) هي المرأة الشاعرة وهي (ابنة بغداد)، وبغداد هي من قلّدتها وكرمتها ومنحتها العراقة، وحياتها دون بغداد وطن ناقص لا تتحقق فيه علامات التواصل والدفء والأصالة. وإن ارتباطها بالبيئة الجغرافية والثقافية يعيد تشكيل الشخصية العراقية وما تحمله من تأريخ وحضارة حيث تتداخل البيئة الجغرافية مع الهوية ليتحول الوطن إلى بيئة وجدانية وشعورية تعيش في ذاكرتها، فتقاوم بدورها محنة وألم الاغتراب.

ولتعلقها بلهجة البيئة العراقية الأصيلة فقد استهلّت القصيدة نفسها بمفردتين محليتين هما: (هلا) و (عيوني)، بقولها:

هلا وعيوني بلادي رضاها

وأزكى القرى للضيوف قراها^(٢)

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٧٧.

(٢) الديوان نفسه: ٣٧٧.

بدأت (عمارة) هذا النص بخطابها الشعري المتمثل بـ(هلا) وهي مفردة من مفردات الترحيب في اللهجة المحلية العراقية، وقد دمجتها مع مفردة (عيوني) و(بلادي) لتشكّل لوحة تعكس النظرة البيئية المتكاملة دون انفصال، معبرة عن حالة التوازن البيئي والثقافي والنفسي في التغني بجمال بغداد وكرم أهلها، بوصفها أذكى وأطيب وأنقى ضيافة تقدم للآخر، وتحاول (عمارة)، من خلال ذلك، مقاومة الجفاف الوجودي والبيئي الذي سببته الغربة في نفسها، بالرغم من غربتها ومعاناتها لم تكن متشائمة، بل كانت ذات روح مرحة تثب الطمأنينة والأمل المليئة بالصبر والصلابة، وكانت مثقفة على درجة عالية من النضج والوعي، وهذا ما أشار إليه الدكتور (علي الوردي) في أثر البيئة الجغرافية على ثقافة الفرد العراقي^(١)، لذا نجد أنها وظفت هذه المفردات بوصفها جزءاً من التراث الإنساني والحضاري. وكما تغنّت (عمارة) بالمدن والقرى العراقية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب؛ لتعبّر عن حنينها وحبها، إذ تقول:

من الموصل النرجسية أم الربيعين

^(١) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي-محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، علي الوردي، دار نشر (Orientalia)، (د.ط)، (د.ت): ٤٦.

إلى بصرة الصامدين نخيلاً^(١)

في هذا النص تتغنى (عمارة) بعلاقتها الشخصية مع الطبيعة، مصوّرة بيئة مدن العراق وقراه وناسه وكل ما تراه فيه . فهي تحنّ إلى مدينة الموصل (أم الربيعين) التي تحيط بها مظاهر الطبيعة النقية بوفرة زهرة النرجس البرية في سهولها وهضابها للدلالة على الخصوبة، وهي بيئة معطاءة تمنح (عمارة) الانتماء والتوازن النفسي الفائض بالجمال البيئي، كما تغنت بمدينة بصرة النخيل التي رأت فيها صورة وطنها وبيئتها وموطن صباها. فجسدت هذا الانتماء للطبيعة، كما يقول (مايكل زيمرمان): "النساء أكثر تناغمًا مع الطبيعة من الرجال"^(٢)، في جو يسوده التفاعل الإيجابي بين الإنسان ومحيطه البيئي، قبل أن تتعرض البيئة الطبيعية للدمار والاعتداء بسبب الحروب التي شوّهت مظاهرها، فجعلت (عمارة) النخلة صورة شاهدة على العراق ومعاناته، فالنخيل يحسّ ما يحسّه الفرد من اللوعة والأسى والحنين وحسرة الاغتراب.

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٧٧.

(٢) الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان الى الايكولوجيا الجذرية: ٣٨٣/١.

وفي قصيدة (أمين نخلة) تقدم (عمارة) نفسها في المحافل العراقية والعربية والعالمية، ولشدة حنينها لوطنها تحضر باسم العراق ليس لأنها أنثى، بل لأنها ابنة العراق الجنوبية، ابنة الحضارة التي امتدت جذورها إلى فجر التاريخ، وتقول:

أُتِيتُ - أنا العراق - وليس عزمي
هوىً سهلاً ولا أخذاً بمنّ
فليس لأن في عيني احوراً
وأنّ مخصّري سهل التثني
وليس لأن في شَفَتَيَّ أنثى
يُغْنِجُهَا الدلال ولا لأني
ولكن جئتُ شاعرةً وأدري
يعبُدُ لي طريقَ المجد فني^(١)

إنّ حضور (عمارة) في المهرجانات هو امتداد طبيعي لصوتها، وهي المرأة العراقية التي لم تتخلّ عن حبها لوطنها العراق، فقد حملت اسم العراق بفخر وزهو؛ لتواجه البيئة الاجتماعية التي تختزل المرأة في الدلال والغُنْج والجسد، لكن لميعة رفضت هذه النظرة بشدة، لتعيد تشكيل ذاتها من خلال ثقافتها الإبداعية الشعرية،

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٧٤.

فنجدها تتخطى النظرة التقليدية للجسد (وليس لأن في شَفَتَيَّ أنثى يُغَنِّجها الدلال ولا لأنني) الى فضاء الإبداع والفن، فهي تمتلك رؤيتها الخاصة وفقاً لقناعاتها الشعرية التي خالفت قناعات معاصريها من الشعراء، فقد لبست ثوب العراقة واستمدت قيمتها منه، وليس من قيمة الأنوثة، ويتجلّى وعي (الشاعرة) بالبيئة بوصفها صورة للهوية والثقافة والحنين والانتماء لبلدٍ مثل العراق، وهي في قرارة نفسها الوطن ومرايع خيالها ومحط آمالها ووحى إلهامها.

صورة الوطن منزل الطفولة والذكريات

تمثّل صورة الوطن في الوعي الإنساني من أبرز الصور وأكثرها تأثيراً، فهي شعور مستقر مرتبط بذاكرة الإنسان أينما حلّ وارتحل. "والوطن مكانك الذي تُنسب إليه، ويحفظ حَقك فيه، ويعلم حَقك عليه وتأمين منه على نفسك وولَدك ومالك"^(١)

ويتخذ الوطن لدى الإنسان (الأديب) أبعاداً متداخلة ومتشعبة، فهو الهوية والتاريخ والبيت القديم، بيت الطفولة، وهو أحد الأجواء التي لها طقوس وقوانين قد تكون في أكثر الأحيان ثابتة، "وهو البؤرة الأولى التي يشغلها الإنسان لتحقيق وجوده

(١) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، عمر دقاق، جامعة حلب، ط٣، سوريا، ١٩٧٧م:

البشري"^(١)، ومن ثم فهو مزيج مركب ومعقد من العواطف والمشاعر والذكريات يحتاج تفكيك شفراته إلى قراءة تحليلية دقيقة وواعية ، ليصبح منزل الطفولة صورة مكثفة للحنين إلى الوطن والذكريات ونقطة انطلاق للفرد التي تُعد المكون الرئيس للهوية والوجود.

ويُعدّ البيت البذرة الأولى للوطن. فهو "مكان الألفة ومركز تكيف الخيال"^(٢)، وكلما ابتعد عنه استعاد تفاصيل ذاكرته، فهو الملاذ الآمن (للشاعرة)، الذي شكّلت فيه ملامح البيئة العراقية من الأنهار والنخيل والأزقة والأصوات، ومن خلال هذه الذاكرة يتحوّل البيت إلى إحدى الصور الوجدانية التي استرجعتها (عمارة) في رحلة الاغتراب لتعبّر عن حنينها الكبير إلى ذكرياتها في مدينتها (العمارة) بما يعكس ارتباطها العاطفي بماضيها، وهي تُحيي هذه الذكريات في قلبها على الرغم من مرور الزمن، إذ تقول:

يا ذكرياتي في العمارة

أسمع الصاروخ ينسف ذكرياتي

(١) شعرية المكان في رواية الطاطران لعبد الستار ناصر، رمضان علي، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، مجلد(٤)، العدد الخاص، ٢٠٢٤م: ٥٤٤.

(٢) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م: ٩.

من نهر دجلة صار أنهاراً بها بدأت

حياتي

الصيف و النائي الحزين بليلها

سَمَرُ السطوح الساهرات

حُبِّي العمارة، بيتُ جدي، دربُ مدرستي

مشيي على (الكحلاء*)

أغنيتي

حتى الأغاني أُخْرِست لم تنجُ من قتلٍ

وأمرُها... أني سأدفعُ حقَّ كلِّ قذيفةٍ

سقطت على أهلي^(١)

وفي هذا النص تستعرض (عمارة) هذه الصورة المنبعثة من مشاهد حياتها، على وفق ذكريات وتأمّلات لصورة البيئة الراسخة في مخيلتها؛ إذ تخاطب ذكرياتها الأليمة بنداء مفعم بالشغف (يا ذكرياتي)، لتعبر عن عمق المعاناة والحنين إلى أول منزل حفر وشائج الانتماء إلى الطبيعة.

* يتفرع نهر دجلة عند مدخل مدينة العمارة جنوب العراق الى عدة فروع منها نهر الكحلاء.

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٥٢٠.

وهو منزل طفولتها وببيت جدها في العمارة، وقد أسندت هذه الذكريات إلى الأفعال (اسمع، وينسف) وتعد هذه الأفعال معادلاً موضوعياً لكل ذكرياتها، لتكشف أثر الحروب التي دمّرت الذكريات الجميلة وحطمت ملامح الحياة في مدينة الأجداد، لذلك نجد أنّها تستدعي عناصر البيئة العراقية الجنوبية، وبالأخص مدينة (العمارة)، مثل (نهر دجلة والصيف والليل) لتؤكد أنّ نهر دجلة قد تفرّع إلى أنهار من الحسرة والألم، وكان شاهداً على بداية حياتها. كما يحمل هذا النص رموزاً طبيعية مثل: (النأي والسمر والسطوح)؛ إذ تختبئ الشاعرة خلف هذه الرموز لتعبر عن الألم والحزن العميق الذي تعانیه؛ بسبب الغربة والابتعاد، مصوّرة لياليتها بهدوءٍ حزين، وهي تتحسر على أمنيات بسيطة، لكنها كبيرة في وجدانها، مثل رغبة النوم على السطح وليالي السمر مع العائلة في الصيف، حيث كان الندى يتساقط كأنه معطرٌ بروح العراق وحده، ثم تنتقل إلى الأماكن التي تختزن ذكريات الطفولة الجميلة بيت الجد ودرّب المدرسة والسير على الكحلاء، إذ أن الحنين إلى أيام الصبا والشباب شعور فطري راسخ في النفس والقلب، ولا يمكن التخلص منه؛ لأن النفس والقلب يجدان متعة شيقة^(١)، وهذه الذكريات تعكس حياتها البسيطة التي عاشتها مع عائلتها لذلك جسّدت مدينة العمارة كل ذكرياتها وحنينها إلى مكان طفولتها.

(١) ينظر: الغربة في شعر كاظم السماوي، نوزاد حمد عمر، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط ١،

وقد مزجت في هذا النص بين معالم الدمار والخراب البيئي والإنساني، المتمثل بالحرب والقتل والقذائف التي سقطت على أهلها، وبين الطبيعة التي أُخرست فيها الأصوات الجميلة حين يُقتل البشر في البيت والشارع والمدرسة، وما تعرضت له البيئة العراقية بمكوناتها الاجتماعية والثقافية والسياسية من تحولات انعكست على الفرد العراقي، فحوّلت الواقع من صورة إيجابية إلى واقع متأزم ومؤلم، لتقول:

يُذَكِّرُنِي الجَمالُ بسنديغو

ببغدادٍ إذا هداً النَزيفُ

يُذَكِّرُنِي بكَرْدِستانَ عيداً

تمجّدهُ المعازِفُ والدفوفُ^(١)

وهذه القصيدة (سان ديبغو) هي صوت الذكريات والأحداث الطويلة التي تعصف بروح الشاعرة. فجمال (سان ديبغو) يذكرها ببغداد الجرح والألم، وبغداد هي المدينة التي استقرت في وجدانها حتى غدت جزءاً من تكوينها النفسي والوجداني ولم تبق سوى الذكريات التي تستدعيها كلّما واجهت مشهداً جميلاً أو مكاناً يثير في

عمان-الأردن، ٢٠١٣م: ٦١.

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٨٢.

نفسها الحنين كما تذكرها (کردستان) بأعياد النوروز واحتفالاتها، فتستنطق ذكرياتها عبر ذاكرتها المفعمة بالوجع، ولاسيما (بغداد)؛ ذلك الكائن الحي الذي ينزف بسبب الحروب الخارجية والانقسامات الداخلية ويدفع ثمن التحوّلات السياسية والاجتماعية، لتتحول بغداد في وجدان (عمارة) من مدينة حاضرة في الواقع إلى مدينة مقيمة في الذاكرة.

وللغربة مكانة مهمة في تجربة الشعراء العراقيين؛ ولولا محنة الاغتراب التي عاشها كثيرٌ منهم لَمَّا كُتِبَت القصائد المشبعة بالحنين إلى الوطن والبيئة الأولى "فالشاعر أسرع من غيره إلى الإصابة بهذا الداء، لأنه يتمتع بقدر عالٍ من الحساسية والتوتر والرهافة"^(١)، وهذا ما يجعل الشاعر أكثر عرضة للاغتراب؛ لَمَّا يعيشه من مفارقة بين خيال الشاعر وواقعه. لذلك تتداخل هذه الأماكن في ذهنه ويرتبط كل منها بمشاعر خاصة من شوق وذكريات تتملكه، فتندمج في هذه القصيدة عناصر الجمال الطبيعي بالعبد الإنساني.

وتسعى (عمارة) إلى التعبير عن حنينها عبر الأمنيات البعيدة، وأحلام العودة إلى بغداد التي ظلت تستحوذ على ذكرياتها، وربما لا تتحقق هذه الأمنيات على أرض الواقع ؛ إذ تقول:

(١) الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (مرحلة الرواد): ٢٠.

كأني ببغداد

جاءت تُعانقني مثل أيامنا الماضية

أبغدادُ جاءت إلى هذه البقعة النائية؟

أحسُّ ورودَ المحبة في كل كفٍ تصافحني

وثهيلٌ على خاطري الذكريات الأثيرة^(١)

في هذا النص تستدعي الشاعرة بغداد استدعاءً عاطفياً يضيف عليها صفة من صفات الكائن القريب الحيّ، لتصور عمق العلاقة الوجدانية التي تربطها بها، وهي تستحضر الماضي حيث كانت الأحلام تنبض بروح الأمل، وتتصور بغداد وقد جاءت لتعانقها كما كانت في أيامها الماضية، ويراورها الحنين إلى الماضي إلى زمن المحبة فتجسد صورة الذكريات وتحول بغداد في ذاكرتها إلى مرفأ الدفء والانتماء والطمأنينة، وتعكس عمق الحب عن طريق صورها الحسيّة للبيئة العراقية من (الورود والمصافحة والذكريات)، فهي تجد أنّ بغداد لم تغب عنها؛ بل جاءت تعانقها في البقعة النائية، لتكون الذكريات هي ملاذ الشاعرة لمقاومة ألم الغربة النفسية الذي تولّد عند الشاعرة، وهي تدل "على جوانب ماديّة محسوسة تتمثل بالبُعد

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٩٣.

الحقيقي عن الأهل والوطن بمحض الإرادة، أو بعدمها، من خلال النفي والتغريب وجوانب معنوية تتعلق بالأثر النفسي والروحي، والمتمثلة بعدم الانسجام، أو التلاؤم مع الوسط أو المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان^(١)، وهذا يؤكد أن الشاعرة تعيش بين عالمين مختلفين، عالم الذكريات واللواقع الذي لا تريد الخروج منه، وعالم الواقع الذي رفضته وتحملت لأجله مرارة الغربة.

ولم تُختزل ذكريات الشاعرة في أحداث عابرة، بل شكّلت عالماً متكاملًا من الروابط العاطفية والتفاعلات الأسرية الراسخة في وجدانها، وعلى وجه الخصوص ذكرياتها مع أخيها، ولا سيما في قصيدة (عودة الربيع)، إذ تقول:

أنساك؟ كيف؟ وألفُ تذكرةٍ

في بيتنا تترى على خلدي

هذا مكانك في حديقتنا

متشوقاً لطرائفِ جُددٍ^(٢)

(١) الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري: ١٦.

(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٩٣.

وتشير (عمارة) في هذا النص إلى أنّ البيت لا يعني مجرد مسكن، بل يُشكّل محط رجال الشاعرة وذكرياتها المتشظية في كل زاوية من زوايا البيت والحديقة، لتجسّد لحظات السعادة التي عاشتها مع أخيها، وتستعيد التفاصيل الدقيقة للبيئة العراقية التي نسخت عليها صورة الماضي الجميل الذي امتزج بتذكر أفراد عائلتها وهم في حديقة المنزل يتبادلان الطرائف الجديدة، التي لم تبق منها سوى الذكريات الأليمة بسبب موت أخيها وهو في عنفوان شبابه، فتغدو الذاكرة وسيلة للحفاظ على ما فقدته الشاعرة من أشخاص وأمكنة وقيم إنسانية، و من ثم ،فإن صورة منزل الطفولة والذكريات في شعر (عمارة) لا تقتصر على استرجاع الماضي، بل تتجاوز ذلك لتصبح وسيلة لمقاومة الاغتراب واستعادة التوازن النفسي، فالبيت والمدينة والحديقة والذكريات كلّها تشكل عناصر بيئية حاضرة في وعي الشاعرة، تستدعيها كلما اشتد شعورها بالغربة، لتؤكد أن الوطن الحقيقي لا يقيم في المكان وحده، بل في الذاكرة والوجدان أيضًا.

صورة الوطن وعلاقته ب (الأب والأم والأبن)

يشكّل الوطن المركز الرئيس الذي يألفه الإنسان، ومصدر الأمان الذي يلجأ إليه. ويمثل الوطن لدى (عمارة) إحدى القيم الراسخة في وجدانها وعقيدة شعورية تتجسد في صور متعددة تستمد حضورها في البيئة الأسرية والاجتماعية .

وقد تعددت صورة الوطن والحنين إليه عبر صورة الأب والأم والأخ والابن، فهي تستمد قوتها من بيئتها الاجتماعية الأسرية حيث تتداخل الحماية والاستقرار والحنان. وقد ارتبطت صورة الأب في خطابها الشعري، بمعاني السند والقوة والحماية، لذلك كان فقده من أكثر التجارب تأثيراً في حياتها النفسية والشعرية، ففي قصيدة (عبّاس عمارة)، تقول فيها:

هنا كلّ ما يتمنّى الرجال

نكاءً وعلمٌ وخُلُقٌ وفنٌ

فوا أسفا كيف غاضَ الشباب

وكيف طوى كلّ هذا كفّن؟^(١)

في هذه الأسطر الشعرية ، رسمت صورة حزينة للأب، عبّرت من خلالها عن مشاعر الحنين والألم والحسرة التي عاشتها وسط أجواء عائلة يسودها الحزن والكآبة بعد فقد والدها، حيث تقول: "لم ألتق بأبي إلّا فترات قليلة من عمري، فقد كان دائم السفر من مصر لإيطاليا لطرابلس الغرب لتونس لفرنسا وأمريكا. والتقينا بعد فراق سبع سنين اضطرّ فيها للبقاء في أمريكا بسبب الحرب، ولم يدم لقائنا الأخير غير

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤١.

أشهر قليلة"^(١)، وكانت تتمنى أن تلتقي به، وهي لا تزال صغيرة، وقد تركها والدها تعيش في بيت جدها مع عماتها في مدينة العمارة، فعاشت حالة من الحرمان العاطفي الذي انعكس على تجربتها الشعرية ويتجلى في رفضها موت الأب وهو ما يزال شاباً يتمتع بقواه، فضلاً عن خُلُقهِ وعلمه وفنه، وهي ترى والدها أنموذجاً للرجال جميعاً، ذلك الرجل الذي غاب عن عينيها ولم يعد إلا في أدراج الذاكرة، وهي تتأسف وتتساءل: كيف طوى الكفن كل هذا الحضور الإنساني؟، وبذلك أسقطت ظروف الفقد التي عاشتها على صورة الوطن الذي فقد عنفوانه وقيمه الحضارية والثقافية، واستعملت إحدى مفردات الموت (الكفن) لتعبر عن حالة الحزن والألم التي تمر بها، وهي تصور وطنها الحبيب، وكأنه جسدٌ (يُكفَن) لتطوى معه القيم المزدهرة في البيئة العراقية؛ بسبب التحولات السياسية التي أصابت البيئة الاجتماعية والثقافية فكانت صورة فقد الأب في نفس (عمارة) هي أكثر ارتباطاً وقرباً لوصف حنينها لوطنها المفقود في وجدانها.

وقد تجلّت صورة الحنين عند (عمارة) في صورة الأم فهي العطوف ومصدر الاحتواء والذاكرة الأولى، وتُمثل الأم لدى الشاعرة الحنان والطمأنينة والثقة والأمل، وقد عبّرت عن هذه الدلالات في قصيدة (أمي)، إذ قالت فيها:

(١) الديوان نفسه: ٤١.

سلامٌ لأمي

وأمي سُلالةُ آلهةٍ بابليةٍ

هي الموناليزا

ومريمُ لو خرجت من إطار

على لحن ترتيلةٍ كنسيّةٍ

وأمي امتحانُ الجمال العفيف

ليبقى على الأرضِ روحاً نقيّةً^(١)

في هذه القصيدة رسمت (عمارة) لوحة شعرية مميّزة لصورة الأم بوصفها
العنصر الرئيس لسر الوجود في نظرها، وهي المعادل الموضوعي لكل القيم الخلقية،
في جميع الأديان السماوية، وشكّلت صورة الحنين في هذه اللوحة بصورة
(أم الشاعرة) وهي المرأة الاستثنائية بوصفها الرحم الخصب والبذرة الأولى للبيئة،
لتتجاوز الأم العلاقة الأسرية لتصبح ذات قيمة ثقافية واجتماعية، وأصبحت هذه
الصورة ذات أبعاد ثلاثة: البعد الأول: التاريخي المتمثل بـ (آلهة بابلية) مرتبطة
بحضارة سومر وبابل، والبعد الثاني (الفني) الذي تمثل بـ(لوحة الموناليزا)، واما البعد

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤١٩.

الثالث: فهو البعد الديني الذي تمثل في شخصية السيدة (مريم)، وبذلك نجد (عمارة) تجاوزت المألوف وتفوقت في رسم لوحة (الأم) التي ارتبط فيها الماضي بالحاضر، لتصور (أمها) بصورة الجمال البيئي الطبيعي والبيئة النقية، فالوطن هو الأم والكون الأول (للشاعرة) "ولم تكن الغربة وحدها تدفع الشاعر إلى الحنين، وإنما هو حب الوطن"^(١)، لتعبر عن حبها وشوقها لوطنها نتيجة إحساسها بالاغتراب الروحي والنفسي لوطنها العراق. وهذا يدل على انتمائها إلى البيئة وهي جزء من كيانها المفقود.

وحنين (عمارة) إلى الوطن تجاوز جميع القوانين الكونية وتعدى جميع الحدود والأعراف، فهي تُحبّه كما تحب الأم أبناءها، و كما تحب القوافل الماء والعشب، وقد عبرت عن ذلك، وهي تحاطب ابنها الشاب المغترب بعد أن تسلمت إحدى رسائله، فنقول:

لو أنّ البريد

يعودُ إليك حبيبي البعيد

به شمسُ بغدادَ

^(١) صور عربية من المهجر الجنوبي، احمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد،

لهفةٌ صدري

وحرّ اشتياقي

ودفء العراق

وضمةُ حبّ تُذيبُ الجليد

لتبقى كما أنت

طفلي السعيد^(١)

رسمت (الشاعرة) في هذا المقطع الشعري منظراً لانتمائها الحقيقي للعناصر البيئية الطبيعية المحسوسة مثل (شمس بغداد)، و(لهفة صدري)، و(حرّ اشتياقي)، و(دفء العراق)، و(ضمة حبّ) لتعبر عن حنينها ولهفتها وعواطفها المكبوتة في صدرها، وما ترتّب في أعماق روحها المتحرّقة شوقاً لوطنها الذي يضاهي حُبّها وشوقها لولدها المغترب؛ لذلك نجد أن الحنين والشوق إلى مظاهر الطبيعة الغائبة وتعدادها واستحضارها لدى الشاعرة، هو أشبه بعملية البحث عن الأمل والشعور بالراحة، وأن ارتباط الإنسان بالطبيعة؛ لأنها جزءٌ من الهوية والاستقرار البيئي والنفسي، فإنّ ملامح الاغتراب أيقظت مشاعرها الداخلية، وهي في حالة انكسار

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٣٧.

وضعف، كما تشعر تجاه وطنها بمسؤولية الأمومة الكبيرة، وتتمنى أن ينعم بالسعادة والاستقرار والأمان.

وصفوة القول: أنّ الشاعرة (لميعة عبّاس عمارة) جسّدت ظاهرة الاغتراب بوصفها إحدى التجارب النفسية والوجدانية العميقة، من خلال تجربتها الشعرية، التي اشتملت على معانٍ وأبعادٍ كثيرة، حملت معنى الانكسار والحنين والابتعاد عن أرض الوطن، الذي يعكس هاجس الخوف والقلق والتمزق؛ نتيجة إحساسها بالضياع وفقدان الهوية والوحدة التي تعيشها في بيئتها الجديدة (المنفى) .

المبحث الثاني

ثنائية البيئة (الأم) والبيئة (الجديدة)

تمثل علاقة الإنسان بالبيئة أبرز العلاقات التي تُشكّل ثنائية متماسكة يؤثر كل طرف فيها في الآخر. فالإنسان خُلِق من بيئةٍ تداخلت فيها المكونات الجمالية التي يتأثر ويؤثر فيها، وهي "ذلك الرصيد من الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقتٍ ما وفي مكانٍ لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته"^(١)، ويُعد الاغتراب عنصراً رئيساً في تشكيل هذه الثنائية؛ لأنه من أبرز المفاهيم وأكثرها حضوراً في الأدب العربي الحديث، لما يحمله من دلالات نفسية وثقافية، ترتبط بتجربة الإنسان في مواجهة التحولات الكبرى في حياته.

وللمكان أهمية بارزة وواضحة في حياة الإنسان فهو "مزيج من الولاء الشخصي والبناء الاجتماعي والقوالب الفيزيوجرافية"^(٢)، والمكان وثيق الصلة بالشعر منذ القدم، ويسهم في توجيه الفرد واحترامه ودوره في بناء شخصيته، فهو حاضن للوجود الانساني على مرّ العصور، ويرتبط بالأفعال البشرية التي تؤثر فيه ويؤثر فيها، وينماز الشعر العربي بارتباطه بالبيئة التي أنتجته بعلاقة تفاعلية وتلازمية

(١) من أجل لغة خضراء - محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، ١٠٣.

(٢) النقد البيئي بين التنظير والتطبيق: ١٣٢.

فكلاهما مرتبط بالآخر، ولا يمكننا أن نتصور مكاناً بلا ناس يسكنونه^(١)، وبذلك يكون شاهداً على ساكنيه من خلال الممارسات والمواقف والتجارب، وكل التفاصيل صغيرة كانت أم كبيرة. فهو يُعد "القرطاس المرئي والقريب الذي سجّل الإنسان عليه ثقافته وفكره فنونه... وكل ما يتحلى به وما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى مستقبله"^(٢)، وللمكان دور بارز في تشكيل هوية الإنسان وتقويم سلوكياته الإنسانية؛ لأنه يحمل كثيراً من المواقف والأحداث التي مرّ بها. فالعلاقة بين الهوية والمكان "تمثل علاقةً تَمَاهٍ في أعلى درجاتها الممكنة، فالهوية تتجسّد وتترأى في صورة المكان دائماً... لا هوية بلا مكان ولا مكان بلا هوية، ولعل العلاقة بينهما ذات طبيعة ثقافية من طراز رفيع"^(٣) لذلك نجد أن المكان يشكل البيئة الأولى والرحم الخصب للشعر العربي عامةً، والشعر العراقي على وجه الخصوص؛ إذ يعبر عن إحساسه الفطري بالمكان؛ بوصفه أحد أبرز عناصر الأبداع في الشعر؛ وكما يعبر

(١) ينظر: شعرية المكان عند ياسين النصير، ايناس عبد الرحيم، دار الرواد المزدهرة، ط١، بغداد، ٢٠٢٠م: ٣٠.

(٢) الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٠م: ١٧.

(٣) اثر المكان المقدس في تشكيل الهوية المكانية في شعر المرأة السعودية، منى صالح الرشادة ولىلى شعبان رمضان، مجلة العلوم العربية، العدد (٢٦): ٣٤١.

عن عواطف الشاعر الجياشة والمفعمة بالحياة والحب والتغزل بالأماكن ومن خلاله يمكن قراءة سايكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع البيئة^(١).

وعندما ننظر إلى الشعر العربي الحديث، يستوقفنا المكان بكل مفرداته، وصوره، إذ يُشكّل ظاهرة بارزة فيه، متخذًا أبعادًا جديدة؛ إذ يرتبط الشاعر بوساطتها بعلاقات متعددة ومتباينة، وعلى وجه الخصوص الأماكن المرتبطة بالجوانب السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، بما يعكس ارتباطها المباشر بنفسية الشاعر ومحاولته إبراز تلك الجوانب^(٢).

ويُعد المكان أحد العناصر الرئيسة في الدراسات البيئية "إذ لا يمكن إنشاء أي نصٍ أدبي بيئي بلا مكان ولو كان متخيلاً"^(٣)، لذلك نجد أن (لورنس بويل) وهو أهم

(١) ينظر: الرواية والمكان: ١٧.

(٢) ينظر: جماليات المكان في الشعر العراقي الحديث سعي يوسف أنموذجاً، اعداد، مرتضى حسين علي حسين، إشراف: أ.د. محمد عز الدين المناصرة، (رسالة ماجستير)، جامعة فيلادلفيا، كانون الثاني، ٢٠١٦م: ١٥.

(٣) الارض والانسان في شعر بدر شاكر السياب دراسة في ضوء النقد البيئي، شاكر جواد الموسوي، إشراف أم د عبد الرحمن عبد الله احمد آل شبيب، (رسالة ماجستير) كلية التربية، جامعة البصرة ٢٠٢٤ م: ٢٠١٧

رواد النقد البيئي قد أدرج المكان ضمن الثالوث النقدي البيئي إلى جانب العرق والطبقة والجنس. وبذلك عُدَّ المكانُ أحد الطبقات النقدية^(١)

ويختلف تأثير المكان على الشاعر اختلافاً جذرياً عن تأثيره للإنسان العادي، فالمكان يُسهم في تشكيل جمالية النصوص الشعرية، فهو ليس مجرد رقعة جغرافية، بل يمتد معناه إلى أبعد الحدود في المخيلة الشعرية.

ويضع الشاعر في مخيلته المكان بصورة أجمل مما يكون عليه في الواقع، فهو يطلق قواه الذهنية والحسية ليتأمل العالم أجمع ويتمتع بما تنبئه الأشياء من دهشة وانتشاء^(٢). ويمكن القول: إنَّ ارتباط الشاعر وتفاعلها مع الذات من خلال رؤيتها للأحداث ومظاهر البيئة، يعكس حس الانتماء للمكان الذي يُشكل هويتها. و(عمارة) من الشعراء الذين عاشوا، كما ذكرنا سابقاً في بيئات متعددة، وكان لكل بيئة طابعه الخاص الذي أسهم في تكوين شخصيتها وانتمائها وهويتها. وهذا ما نتناوله في قصائدها الخاصة بالبيئة المكانية (الأم) والبيئة الجديدة.

(١) ينظر: النقد البيئي بين التنظير والتطبيق: ١٣٢

(٢) ينظر: في حادثة النص الشعري دراسات نقدية، علي جعفر العلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، العراق/ ١٩٩٠م: ١٤٩.

وأدت البيئة لدى الشاعرة إلى تشكيل موضوعات مختلفة وصور كثيرة ، ومن أهم علامات البيئة التي أكدت انتمائها لهويتها الجنوبية الريفية قصيدة (الطيب):

قريتي محضُ حنين وسلام

عاشها جدّي وأعطاني المدينة

قريتي ظلّت حزينة

رُقْمٌ طينيةٌ في متحفٍ ناءٍ وزينة

لم أزرها ألفَ عام

ألفَ عامٍ

عادَ جندياً لها ابني

ولم يعرف بها إلا الخيام^(١)

في هذا النص ترسم (عمارة) لوحةً بيئيةً أخرى تصور فيها قريتها (الطيب)، وهي إحدى القرى الحدودية الواقعة على ضفاف دجلة التابعة لمدينة (ميسان) لتؤكد أنّ جذورها ضاربة في أعماق الجنوب العراقي، وتمثل (قرية الطيب) المكان الخصب الذي يؤثر في نفسها ويشدها إلى الأرض التي عاشت فيها، وترتبط فيها ارتباطاً شعورياً، لذلك نجد أن هذا الارتباط ينعكس أثره على هويتها وأصالتها. ونلاحظ

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٤٤٠.

استعمال (عمارة) مفردة (ظلت) لدلالاتها على الماضي الذي لم يعد حاضراً، ذلك الماضي بأيّامه البسيطة والهادئة في قريتها وبيت جدها الذي منحها شعوراً بالأمان على الرغم من بساطته، فأنة يشكّل المكان المليء بالحب والسلام، ومن ثم تنتقل الشاعرة لتعبر عن الحزن تجاه قريتها فتصورها (رُقماً طينياً) في متحف ناءٍ بعيد بعد أن هجروها أهلها وفقدت حيويتها وتحولت إلى أثر. كما تقول: (لم أزرّها ألف عام، ألف عام)، لتؤكد قوة وثبات ذاتها، على الرغم من طول غيابها، وعندما عاد إليها ابنها بعد مرور سنوات لم يجد سوى (الخيام)، فالابن لم يرث هذا المكان كما ورثه الجد الأكبر، بل ورث صورة مشوهة ارتبطت بالحرب والواقع الأليم، لا بالسلام الذي عهدته الشاعرة، لتصور تحول المكان من قرية حيّة إلى قرية مهجورة، وأنها أصبحت خراباً بفعل الحروب التي تعرضت لها مدينة (ميسان) إبان الحرب العراقية الإيرانية في ثمانينيات القرن الماضي، قرية الشاعرة ليست مجرد مساحة جغرافية، بل مكوناً رئيساً من هويتها وبيئتها الأم. ويمثل هذا الارتباط ما يشير إليه النقد الثقافي من أن "الارتباط الاجتماعي بالمكان يمزج بين البشر والمكان في حياتهم، ويصبح المكان شاهداً على الأحداث التي مرّت بهم، ومشاركاً لهم"^(١)، ليظهر علاقتها بالبيئة النقية التي تشكّلت منها عواطفها الحقيقية ولغتها الأولى وروح الشعر في تجربتها الشعرية. لذلك نجد أن ارتباطها بالمكان الطبيعي المتمثل بقرية (الطيب) ليس مجرد ارتباط

(١) النقد البيئي الإيكولوجي: ٨٥.

بالوسط المادي، بل يُشكل الارتباط المتجذّر بجوهر الإنسانية الذي لا يختلف عن
العوالم الطبيعية.

وللمكان في شعر (عمارة) علامات انتماء كثيرة. ويتجلى ذلك في قصيدة
(بغداد أنت):

وبغدادُ قيثارتي البابليّةُ

قلبي وهُدبي عليها وتزّ

لها في فمي سحرُ كُهانِها

وآثارُ ما قبلوا من حَجَرَ^(١)

وتستعيد (الشاعرة) صورة مدينتها (بغداد) بوصفها المكان الأول التي فتحت
عينها ونشأت وتعلمت فيه. وامتدت جذورها فيها، تلك الجذور التي ارتبطت
ب(سومر وبابل)، فبغداد تمثل لها الامتداد الحضاري والبُعد التاريخي، لتكشف عن
ذاتها الحاملة للأصالة والشموخ، وهي مصدر سعادتها التي لا تكتمل إلا بوجودها
فيها، وجعلت من (هذبها وقلبها) أوتارًا لبغداد بالإشارة إلى قيثارة الحضارة العراقية
البابلية، التي التحمت بذاتها بوصفها مصدر سعادتها بأنغام تلك القيثارة، وللقيثارة في
نفس الشاعرة منزلةً كبيرةً لارتباطها بالنبرات العراقية الأصيلة. لتؤكد عن شدة

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣١٦.

ارتباطها وعمق انتمائها للعراق بحضارته وتأريخه العريق "فالإنسان لا يرث من المكان ما يمثله ظرفاً يحتوي الأشياء فقط، بل يرث كل ما في المكان من تأريخ وقيم ومفاهيم تتجذر أصولها وتتعمق في نفس الإنسان الذي ينشأ في هذا المكان ويعيش فيه"^(١) وبغداد تدل على شدة انتماء (عمارة) بالبيئة (الأم)، بوصفها الشرارة الأولى التي انبثقت منها قصائدها، وإن استعادتها للمكان هو ملاذ رمزي يحمي هويتها من التشتت والاغتراب وتحتمي به للمحافظة على أصالتها وهويتها وعمق تجربتها الإبداعية التي خاضتها، وإن دلَّ على شيء فهو يدل على مدى ثقافتها ومعرفتها بتاريخ بلدها، ورقّة شعرها ورهافة حسّها الأنثوي.

وتبقى البيئة الأم (بغداد) ملازمة لها، فهي المهمة الأولى لـ(عمارة) في مجمل قصائدها، لإثراء نتاجها الشعري والجزء الرئيس في تشكيل هويتها لتعبر عن هذا الانتماء فامتزجت لغتها الوجدانية (بالعراق)، لتنتقل ما في ذاتها للآخر، وبوساطتها يتواصل الإنسان مع الآخرين، فضلاً عن ذلك، فهي منبع ثقافتها الأنثوية وحضارتها، ومن خلالها تكشف العالم المحيط بها، فإنّ علاقة (عمارة) بلغتها علاقة تلازم وتفاعل وتشارك؛ لتدخلها في تفاصيل حياتها وبيئتها الطبيعية بكل موجوداتها،

(١) شعرية المكان عند ياسين النصير: ٣١.

لتشكل بذلك حضورها الفعّال في حفاظها على الأنظمة البيئية. ومن هذه النصوص قصيدة (قصائدي بناتك):

بيني وبينك وحدنا

لغتي التأوّه والأنين

لم يبقَ وجدٌ لم أقله

أمام كلِّ الحاضرين

كلُّ تخيلٍ له

واليكَ ينتسبُ الجنين^(١)

تسند (عمارة) النصّ إلى مفردة (لغتي) لتجسّد بذلك عمق إحساسها بانتمائها ووجودها، فهي تنسب قصائدها للمخاطب المقصود. فالقصيدة كُتبت له وعنه، وهو جنينٌ خاصٌّ بها ومنتسبٌ إلى وجوده في حياتها، ولغتها ليست مجرد أداة تشكيلية لخلق الدهشة والتواصل والتفاعل، بل هي عنصر رئيس في تشكيل تراث الأمة ووجودها الثقافي والحضاري. فهي من أهم المكونات الدينامية للهوية، ولا تنفصل عنها وتعبّر عن تمسكها، بل هي جزء منها، وهي كائن إيجابي يساعد في تكوين

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٦٩.

ذات الهوية^(١). لذا نجد أنّها من أهم الوسائل التي تشد الفرد إلى تأريخه وهويته وحضارته، و(عمارة) تشعر بالاعتزاز والزهو بالانتساب إليها في (إليك ينتسب الجنين) ومن هنا يتجلّى وعي الشاعرة بفخرها واعتزازها بهذا الانتماء الأزلي.

وللبينة المكانية دورٌ مهمٌ في منجز (لميعة) الشعري التي تجلّت به ملامح البيئة (الأم، الوطن) بوصفهما المصدر الأول الذي صاغ ذائقتها الأدبية والثقافية، وهذا ما نجده في قصيدة (حتى مروحتي):

مُتَّهَمٌ بِالْحَبِّ

من كَلَّمْتُ

وَمَنْ صَافَحْتُ

وَمَنْ عَاتَبْتُ

في نظراتي حُبُّ

في نبراتي حُبُّ

في أنفاسي حُبُّ

حتى في مروحتي الصندل

(١) ينظر: اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، مجموعة باحثين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، بيروت، ٢٠١٣م: ٥٢.

في عقدي العنبر حبٌ

حبٌ حتى في الصمت^(١)

يُظهر هذا النص إحدى الخصائص الثقافية للشاعرة (الإنسانة) التي تميزت بالحب، وهي تشعر بأنها متهمّة من الغير، وتتمثل بأنّها كتلة من الحُب، وهذه التهمة أوقعها في وهم دائم وحيرة كبيرة، فالشاعرة استطاعت أن تحيل الحُب الذي عدّه بعضهم عيباً عليها إلى معنًى جمالي وشامل لكل ما هو جميل وحميد في الوقت نفسه. وللحب لدى (عمارة) دلالات خاصة، ولكل دلالة قيمة خلقية. فالحُب شكّل شخصيتها وجزءاً من هويتها، وانتمائها إلى بيئة عراقية أصيلة وبسيطة، وهذه البيئة أسهمت في تشكّل رؤيتها للعالم، وبيئتها (الأم)، لم تكن إطاراً جغرافياً فحسب؛ بل إحدى المنظومات الثقافية التي انعكست على حضورها الإنساني و الشعري، وأن انتمائها للمكان هو جزء من ذاكراتها الحسيّة و(لميعة) كتلة من حُب فهو في نظراتها وانفاسها ونبراتهما، "فالحب هو المحرك للخلق والعزف على قيثارة الشعر الذي يلهب العواطف ويحرك الأشجان ويرتفع به إلى رحاب الخلود"^(٢)، ويمثل سلوكها القيم الخلقية الرفيعة النابعة عن شخصيتها المحبة لكل، وهو سلوك، كما قلنا (حميد

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٧٩.

(٢) ذكريات تنفض الانفاس، حامد عبد الصمد البصري، دار الينابيع، ط١، سوريه-دمشق،

وجميل) و(عمارة)، لم تتسلخ من بيئتها (الأم) لا في (مروحتها الصندل)، ولا (عقدها العنبر)، وهو جزء من تراثها العماري المعروف بـ (المهفة) التي تُصنع من سعف النخيل، للدلالة على بيئتها الجافة والحارة، وأما عقدها العنبر التي أشارت إليه بوصفه جزءاً من زينة المرأة التقليدية البسيطة غير المعقدة، ورمزاً للأنوثة الشرقية التي ترتبط بالمرأة العراقية في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي. و(عمارة) حملت بيئتها في خطابها الشعري وحضورها الإنساني.

وفي قصيدة (تحياتي إلى البصرة) تسترجع (عمارة) في مخيلتها صورة الحياة البسيطة والجميلة، المتمثلة بالبيئة النقية، والأماكن الطبيعية التي عاشتها الشاعرة من خلال زيارتها لمدينة البصرة و(جيكور) على وجه الخصوص لتصف ذكرياتها في هذه المدينة، إذ تقول:

خذي من نشوتي خمره

ومن عهد الصبا شطره

ومن حبي ومن مَرَحِي

ورشي الليل بالخضرة

ليزهر ألف جيكور

يناغي بالهوى بدره

ومن هُدبي خذي خَجَلِي

لأبقى في الندى عِبْرَةً

تمسّ السَّعَفَ والليمونَ

تمسّحُ عنهما الغبرة^(١)

عبرت (عمارة) في هذا النص عن عاطفتها القوية التي تظهر في مفرداتها، فهي مليئة بالمفردات البيئة التي تدلُّ على عشق الشاعرة للبصرة؛ إذ تبدأ بالتحية إلى مدينة البصرة، فهي تمثل الماضي الجميل في ذكرياتها من الحب والمرح وأيام الصبا والليل عندها بيئة تنبض بالحياة، لها القدرة على مشاركة الشاعرة جميع طقوسها من النشوة والمرح. وجعلت من الليل كائناً حياً يحمل كثيراً من الدلالات، والمعاني البسيطة للبيئة البصرية؛ إذ يزهر (ألفُ جيكور يناغي بالهوى بدره) إشارة إلى الشاعر بدر شاكر السياب ومفردة (بدر) تدلُّ بمعناها القريب على اكتمال القمر، وأما معناها البعيد هو (السياب)، واستمدت هذا النص من صورة البيئة المكانية لـ(جيكور) وهي مستوحاة من البيئة الريفية، وكأنها لوحة لطقوس مندائية، تطالع من خلالها الريف بنخيله وسعفه وليمونه وأنهاره وعادات أهله، وقد تركت مدينة البصرة أثراً واضحاً في نفسية (عمارة) ولا سيما عندما تستعيد ذكرياتها مع الشاعر المعاصر

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢١٠.

الذي تربطهما علاقة شعر وحُب، ويظهر من خلال قصيدتها هذه تأثير البيئة المحليّة والثقافة العراقية على رؤيتها الشعرية.

وترحال (عمارة)، من مكان إلى آخر وعدم استقرارها، وكل ما تعرضت له من غربة خارج العراق، وابتعادها عن بيئتها (الأم والوطن)، فإنّ جذورها بقيت ممتدة في مكانها الأول الذي يستأثر بها، كالمنزل الأول الذي شكل انتماءها وهويتها، وهو حاضرٌ فيها أنى رحلت "فلم يعد الحديث عن الوطن الأم همّاً وحيداً للشاعر المعاصر؛ بل تعداه إلى أماكن وأوطانٍ أخرى متجاوزاً المجال القطري الضيق"^(١)، ولذلك يغدو التمتع بالبيئة الجديدة مشوباً بغصة الألم ووجع الذاكرة، وعلى وجه الخصوص عندما تضغط الذات الإنسانية بالواقع فتشعر بالحنين إلى الماضي، وما يتعلق به لمواجهة الواقع الحزين التي تعيشه، فهي لم تنسَ وطنها بل ازدادت غوصاً فيه، وتقول في قصيدة (بغداد هواي):

كان وهماً شواطئ البحر تُقصينا فأنسأه

كان وهماً قراري

(١) جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، محمد صالح خرفي، اشراف: يحيى الشيخ صالح، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م: أ-ب.

افتتحت (الشاعرة) في هذا المقطع بالفعل (كان) باعتمادها على ذاكرتها العابرة للزمن، وقد التحق فعل التذكر بالعنصر الطبيعي (البحر) وهو معلم من معالم البيئة وهي صورة من صور الضياع المكاني، وإحدى الدلائل البديلة في حياة (البر) الذي يحمل النازحين؛ إذ يعد الملاذ الآمن من ظلم الحياة وقساوتها، فكانت (عمارة) واضحة وصريحة في التعبير عن مخنتها، وهي الضياع ورحلة الوهم؛ إذ إن كل شواطئ البحر لن تفلح في أن تكون حاجزاً بينها وبين وطنها الذي عاشت فيه شطراً من حياتها أو رموزه أو مرجعياته الانتمائية، و تبقى مظاهر الضياع التي تعيشها متمثلة في ضبابية المكان والوحشة كما تصفه:

كنتُ أمشي بلا حياةٍ، بلا روحٍ

يحسُّ الجمالُ حولي احتضاري

صامتٌ كلُّ ما أراهُ

من الوحشة منحوتٌ،

وما زالتُ بتوقيتِ بغدادِ ساعتِي

أرصدُ فيها نهارَهُ

لا نهاري^(١)

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٢٦٧.

فالمكان موحشٌ لا يشكّل لها أي معنى، حتى لو سارت أينما شاءت وأن (بغداد) هنا لا تعني المكان فحسب، بل ما تحمله من ذكريات ورموز وأزمة، فكل بقاع الجمال في الأرض لا معنى له أمام شعور (لميعة) وهي تموت في غربتها ووحشتها وعدم تكيّفها مع البلد الذي تعيش فيه أو تزوره. وقد كتبت قصيدتها في تونس عام (١٩٧٢م)، وهذا دليل على أن الشاعرة تعيش أزمة زمنية بيئية على الرغم من جسدها في تونس، ولكن روحها وكيانها وتوقيت ساعتها لا تزال على شمس بغداد فهي لا تقوى على نسيان (بغداد)، فالعالم الطبيعي بكل أجزائه ومكوناته حاضرٌ في ذاكراتها فهو يمثل الذات والانتماء للوطن؛ إذ يُعد الوطن فكرة "غافية وبخاصة إذا ارتبط الإنسان شعورياً بالمكان، فإن دائرته بذلك تتسع لتشمل رقعةً عريضةً تمثل وعيه وخواصه، وبإمكانه أن يُشكّل انتماءه وأن يرى ذاته"^(١).

وتتجلى عملية التنقّل والترحال من بلدٍ إلى آخر، ومن وطنٍ إلى آخر في إثراء تجربتها الشعرية و إبعادها عن الجفاف؛ إذ أضافت إلى تجربتها الشعرية عناصر دلالية وجمالية، لما تحمله كل مدينة من خصوصيات انعكست في خيال الشاعرة. فالمكان الأثير لدى (عمارة) هو (بغداد)، وقد استأثر في معظم قصائدها حتّى أن لبنان وأمريكا وباريس لا تغنيها عنه، إذ تقول في قصيدة (بطاقة بريد):

(١) تحولات شعرية، صلاح فضل، دار الرؤية للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م: ٨٥.

بغدادُ صدركَ، أينما وُسِدَّتْهُ
عَبَقَتْ بِكُلِّ طُيُوبِهَا بَغْدَادِي
لو كُنْتُ فِي لَبْنَانَ مَا سَرَحَ السَّنا
فِي نَظَرَتِي، وَتَشَتَّتْ أَبْعَادِي
وَلَمَّا بَدَّتْ بَيرُوتَ رَغمَ فُتُونِها
مَغلُولَةُ الكَفِّينِ عَن إِسْعَادِي
ما ذاكَ بِالقَمَرِ الَّذِي خَلَقَتْهُ
فوقَ النَخيلِ بَزهوهِ المَعْتادِ
هو فِي رُبَى لَبْنَانَ يَبْدُو مُتَعَباً
مَتَسَلِّقاً، مَتَعَثِّراً فِي الوادِي
غَطَّتْهُ لِأَلَاةِ المِصائِفِ، وَاِنطَوَتْ
أَمْجَادُهُ فِي زَحْمَةِ الأَمْجَادِ^(١)

اعتمدت (عمارة) في مطلع قصيدتها على عنصر الجسد والرغبة ونبض
الأنوثة (صدرك، طيوبه، فتونها) لتثبت روح الانسجام والتوحد والتفاعل مع الوطن
في صورة بيئة أصيلة لـ(بغداد)، وبكل ما يخلعه عليها الوطن من مفارقات
وتناقضات في المجتمع، فإنَّ صدر الحبيب هنا (بغداد)، وكلما توسدته عبق

^(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٧٥.

بالطيوب، فإنَّ بيروت، على الرغم من جمالها المفتون، لا تستطيع أن تكون بديلاً مقنعاً وتعويضاً لها عن (بغداد) فهي مغولة الكفين لا تستطيع إسعاد الشاعرة، "فالإنسان مهما حاول الابتعاد عن المكان يبقى مغروساً فيه متمكناً من إحيائه ودواخله؛ لأنه يمارس تأثيراته على الشاعر"^(١)، او (لمیعة) لا تشعر بجمال لبنان؛ بل تشعر بمزيد من الانفصال عن الحياة. ومن ثم تقارن كل شيء بالوطن، فهي تناجي حبيبها وتفقدته وتتمنى وجوده إلى جانبها حتى أثناء إعلان خبر هبوط أول إنسان على سطح القمر، فهي ترى بيروت خالية من الجمال والزهو في غياب حبيبها، وتستهنج القمر الذي يتحدثون عنه في وسائل الإعلام، وتعمق وعيها الوجداني الذي يسكن النخيل بوصفه مثالها الأعلى للجمال. فعلاقة (لمیعة) بالقمر علاقة أزلية، والقمر "هو ظاهرة جمالية في مُخيلة العشاق والشعراء، وهو باب من أبواب المعانقة الكونية"^(٢)، وقمرها في العراق يعني الليالي والشعر والناي. فالقمر فوق النخيل يُشكّل لوحة من الجمال البيئي فهو ينام على الأُسرة بالسطوح، ويسقط فوق (الكل)، أما القمر في لبنان ضائع ومتعب ومتعثر في الوادي، تنافسه أضواء المصايف التي

(١) مخصبات حضور المكان في شعر باسم فرات، هديل عبد الحمزة، اشراف: حسن غانم فضالة الجنابي، كلية الآداب، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد (٤١)، كانون الأول، ٢٠١٨م: ١٦٠٧.

(٢) المدينة في الشعر العربي المعاصر. د. مختار علي أبو غالي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، د. ط، الكويت، ١٩٩٥م: ٤١.

طوت أمجاده. وتوارت بغداد (خلف تلك المدن، لكن موقفها اتسم بالإيجاب والارتياح خلال إقامتها، ولم تشك من أي غربة أو ضياع أو قلق، وإنما تشعر كأنها بين أهلها وأحبتيها).

وشهدت (عمارة) حالة الاغتراب خلال أماكن عديدة، حملت فيها قصائدها إحساساً عميقاً بانتمائها المزدوج بين بيئتها (الأم، الوطن)، ورؤيتها الجديدة التي شعرت تجاهها بالغربة، لاختلافها الجذري مقارنة ببيئتها الأصل من الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيئة الطبيعية وغيرها، مما أضفى هذا الانتماء على خطابها الشعري بُعداً شمولياً، تجاوزت فيه حدود الأمكنة في رحلة صراع دائم في بحثها عن ملاذ آمن. ونجد هذا الشعور واضحاً من لدن (عمارة) في بعض نصوصها التي تحدثت من خلالها عن بعض الأمكنة نتيجة القهر والتوحش البيئي وهذا ما نجده في قصيدة (شتاء باريس)، فنقول:

الحبُّ بباريس يعانقُ حتى الثلج

بلا لغةٍ تتغزلُ أفواهُ الناسِ وأعينهم

كيف أعلمهم

كيف أعلمهم شعرَ (جميل) و(كثير) و(المجنون) ^(١)

^(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٠٩.

أعربت (عمارة) في هذا النص عن تجربتها المؤلمة والقاسية في البيئة الجديدة (المنفى) لتصف فلسفة الحياة في مدينة الحرية والانفتاح والجمال الطبيعي، فقد وجدت في هذه البيئة وعلى وجه الخصوص مدينة (باريس) "وعاءً حضارياً يستغله الشاعر لتصوير التمزق أو الضياع ويجعله إطاراً لفلسفته"^(١)، وتلك الفلسفة تجدها متمثلة في تصويرها لواقع الحياة التي تمر بها الشاعرة، ولغربتها في مدينة (باريس)، تتضح معاناتها بلغة تحمل ملامح الاغتراب في واقعها الداخلي والخارجي، وهي تشكو من المشاعر الأوروبية التي وصفتها ببرودة (الثلج)، وهو عنصرٌ من عناصر الطبيعة إلى جانب أنه رمزٌ للطمأنينة والسلام والسكينة التي تفتقدها الشاعرة، فالحب استدعى الشاعرة أن تستخرج من خزين ذاكرتها الثقافية والأدبية لتصور طبيعة المجتمع الآخر وعلاقاته الإنسانية في صعوبة التعامل والتواصل مع المجتمع في (باريس) لاختلاف اللغة (بلا لغةٍ تتغزلُ أفواهُ الناسِ وأعينُهُم)، فضلاً عن اختلاف الثقافة والعادات والتقاليد، فالشعور بالغربة كان أشدَّ وطأةً وأكثرَ حدّةً على المرأة، لما تحمله من رهافة المشاعر والاحاسيس، وكما تشعر بالدهشة والاستغراب أمام حرية التعبير العاطفي المعلن وهي تكرر سؤالها بألم وحسرة وعجز (كيف أُعَلِّمُهُم... كيف أُعَلِّمُهُم)، ذلك الحب العذري القائم على العفة والألم والكتمان، من خلال ذكر أسماء

^(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، احسان عباس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

سلسلة عالم المعرفة، د. ط الكويت، ١٩٩٥م: ١٠٣.

الشعراء (جميل وكثير والمجنون) ما يناسب المقام، وأن اختلاف نظرة (عمارة) تجاه مدينة (باريس) "لا يعني مقتاً للحضارة ووسائلها، وإنما هو تعبير عن عدم الألفة بينهم وبين البيئة الجديدة لأسباب مختلفة"^(١)، التي أدت إلى تأزم حالة الشاعرة تجاه هذه البيئة لتحاول عناصر البيئة الطبيعية التي تمثل ملجأ لها ولكثير من الشعراء أمثالها.

فقد لجأت (عمارة) إلى زوايا من البؤس والكآبة والاعترا ب المكاني والنفسي والروحي التي عبّرت عنه في القصيدة نفسها، فتقول:

آلاف الأميال تُلاشي صوتي

انتظر القادم... لن يأتي

وعيني تفرغ في الضوء المتلوي في الطرق

وتكلّ من السير خطاي

فأعود كجندي منكسر

للنزل القابع في شارع ريفولي

لسرير بغطاء أحمر

يتشاءب من وقع خطاي

(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصر: ٩٠.

يتمنى لو ضمّ سواي^(١)

تحوّل (عمارة) المكان في هذا النص البيئي إلى لوحة ترسم فيها انكسار الذات بسبب غربتها وإحساسها بالوحدة والتمزق والضياح. فأصبح المكان يقهرها ويشعرها بالانفصال عمّن تُحب؛ لأن بينها وبينه آلاف الأميال التي أدت إلى تلاشي نبرات صوتها وهي تنادي عليهم، لتنتظر القادم الذي لن يأتي، لتكشف عن خيبة أملها في عودته، وهي تراقب حبيبها بدلاً من أن تستمتع بجمال المكان (باريس)، (وتكلّ من السيرِ خطاي)، فهي متعبة ومجهدّة، وتعود كجندي منكسرٍ مهزوم في معركة خاسرة، إلى النزل القابع في (ريفولي) الذي يحوي سريرًا بغطاء أحمر ونجد أنها أنسنت

(مفردة سرير) وأسندت إليه أفعال الإنسان (يتشاءب، يتمنى)، وهي صفة من صفات الحياة، في شوقها إلى وصال حبيبها، وتتمنى أن يضمهما معاً لمواجهة الآخر المكاني؛ لتعبر عن حالة الصراع والحزن واللوعة.

ليتضاعف بذلك شعورها بالانفصال عن بيئتها الأم. وقد عبّرت (عمارة) عن

وحشتها المماثلة في قصيدة (حلم) فقالت:

أحلم أن ألقاك

يا طفلي الحبيب

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣١١.

يا نغمًا لوَنَّهُ المُحَالُ

من صفرةِ الوداعِ والغروبِ

يَحْمِلُنِي شَوْقِي إِلَى معارجِ الغُيُوبِ

فَأَلْتَقِيكَ فِي ذُرَى (الأسكا) البيضاء

والشمس في عَزَّتِها أوهى من الشموع^(١)

افتتحت (عمارة) النص بحلم اللقاء المفعم بنداء الشجن الملون بالمحال؛ إذ يطوف بها الخيال في قمم (الأسكا) الباردة لتعبر عن وحشتها التي سلبت منها التفاعل مع محيطها في ولاية (الأسكا) لتجسّد معاني الحزن والوحشة والغربة التي تعاني منها، وهي تنظر إلى السماء الخالية من العنصر البيئي الفعّال (الشمس) التي غطّتها الغيوم، لذلك نجد أنها وصفت المكان بمفردات توحى بالبرد، لتشكّل بذلك معادلاً موضوعياً لحالة الصراع الذي تعيشه الشاعرة بعد الانفصال عن بيئة الوطن (الأم). كما صوّرت هذه المدينة وهي مغطاة بالثلوج وسماؤها البيضاء، فالشمس فيها أوهى وأضعف من ضوء الشموع، لتصف الحالة الشعورية التي مرت بها بسبب غربتها وعزلتها، وكما تكشف الانقضاء عن الطول الزمني للحلم، فنقول:

وتنقضي الأيام و الأيام

وينطوي المساء و المساء^(١)

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٤٣.

مقابل انطواء الذكريات في مُدد محددة "فالانصهار بين البيئة الزمانية والمكانية كيانٌ خصبٌ وسجلٌ لبصمات الماضي المثبتة في ذاكرة الحاضر؛ حيث أن الحاضر على أحد المستويات ما هو إلا تعبيرٌ عن الماضي"^(٢)، ومهما اختلفت إقامة الشاعرة سواء أكانت إقامة اختيارية أم قسرية، فهي إقامة بالجسم فقط، بينما الروح ساكنة في أوطانها.

وفي قصيدة (موسم الشجر الملون) تشعر بالوحشة والحزن من خلف نافذتها، فنقول:

أرى من خلفِ نافذتي الشتاء

يَجُرُّ لي الوحشةُ

بدا مطراً وبرداً، ثم ثلاً يبعثُ الرعشة^(٣)

تستوحي (عمارة) إحدى صورها البيئية التي أثارها فصل الشتاء من (مطر وبرد وثلج) تشعر من خلالها بالرعشة والبرد، وأن إحساسها نابغ من حاجتها إلى الدفء، كما تعترف بجمال الطبيعة من حولها لكنها تعجز عن الإحاطة بها، إذ تقول:

(١) ديوان لميعة عباس عمارة: ١٤٥.

(٢) الدراسات الثقافية (مقدمة نقدية)، سايمون ديورنغ، ترجمة: ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٥م: ٩٢.

(٣) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٠١.

جميلٌ كلُّ ما حولي

نقيُّ مُتَرَفٍّ خَصِلُ

على أُنِّي بهذا الثلجِ

ثلجُ آخرُ

لا يعرفُ الدهشة^(١)

فهي لم تعتد الثلج وبرد شهر كانون، ففصل الشتاء عبّر عن عدم انسجامها مع مظاهر الطبيعة الخلابة؛ لشعورها بالغربة وعدم تأقلمها مع تلك البيئة، وكأن إحساس الحب والبهجة والدهشة لا تكون إلّا في صحبة حبيبها، ومن أعماق جزيرة (لونج آيلند) في المحيط الأطلسي تعاود ذكرى حبيبها وذكرى بغداد، وتقول:

أشكُّ أرى الربيعَ هنا

بعيداً عنك

عن وطني^(٢)

وقد وظفت (عمارة) مفردة (الربيع) ليس لأنه فصل من فصول السنة، وإنما هو إحساسها العميق التي نشدت من خلاله أن تكون أيامها ربيعاً دائماً، للدلالة على الأمل والسعادة المنتظرة وهي تصارع وتكابد الغربة، فالربيع موجود في كل بقاع

(١) الديوان نفسه: ٣٠٢.

(٢) ديوان لميعة عباس عمارة: ٣٠٢.

العالم، إلا أنّها لا تراه إلّا في وطنها (الأم) مع أهلها وأصحابها ومن غيره تكون حياتها انتحاراً لبعدها عن بيئتها، فإن ابتعاد (الشاعرة) هو نوع من أنواع الانتحار المعنوي والجسدي والروحي

يقول الطّب: تنتحرين حيث تلوّث المدن

تصوّر...

أنّ بغداد التي أحببتُ

تقتلني^(١)

إنّ ارتباط (عمارة) المكاني عمّق في ذاتها لواعج الشوق والشعور بالضياّع، "لأنّ الحس المكاني حسّ أصيل وعميق في الوجدان البشري ويزداد هذا الحس شحذاً إذا تعرض المكان للفقد والضياّع، وأكثر ما يشحذ هذا الحس هو الكتابة عن الوطن في المنفى"^(٢) وترى الباحثة المصرية (هند طه) أنّ الضياّع "هو حالة نفسية يشعر فيها الفرد بفقدان التوجّه واليأس وعدم الرضا وفقدان الطمأنينة والميول الانتحارية"^(٣)،

(١) الديوان نفسه: ٣٠٢.

(٢) تحولات المدينة في الشعر العراقي الحديث: د. عبد الله حبيب التميمي، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، ط١، دمشق، ٢٠١٠م: ٧٩.

(٣) لميعة عباس عمارة وهموم الضياّع (رؤية نفسية)،: ١٤٥.

ولذلك نجد أكثر "شعراء العراق حزاني دوماً، يعيشون أكثر من غربة"^(١)، فقد أصبح أمل (لميعة) بالعودة إلى البيئة (الأم الوطن)، مستحيلاً وقاتلاً بسبب تلوث الأنظمة البيئية، وهذا ما حصل بالبيئة العراقية بسبب الحروب والدمار والتلوث، وعدم ملائمة هذه البيئة لها، فقد أصبحت البيئة غير قادرة على استقبال جماليات الطبيعة، وهذا يُعدّ من أنواع الاحتجاج البيئي ضد ظاهرة التلوث وما تركته مخلفات الإنسان وصناعاته، وعدم الوعي بخطورة تلك المخلفات، لما لها من أثر سلبي على الإنسان، والكائنات الحيّة^(٢) فالشاعرة لا تتناول الوطن أو المدينة أو القرية أو النهر لمكانته المادية المجردة؛ بل لما تحمله من قيمة إنسانية وجمالية، أو قومية، أو عمرانية، وهذا واقع عمّا نعيشه ونستشعره، وعَدّه بعضهم ظاهرة من ظواهر التلوث البيئي وسبباً في شيوع الكآبة البيئية^(٣).

خلاصة القول: يتبين أن تجربة (لميعة عباس عمارة) الشعرية تقوم على ثنائية بيئية بين (الأم والبيئة الجديدة)، حيث يتحوّل المكان في شعرها إلى فضاء

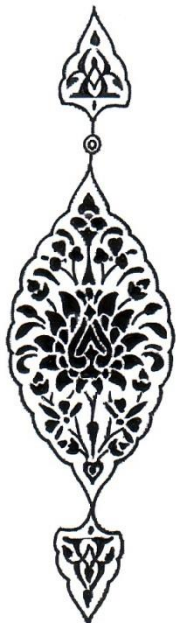
^(١) ويكون التجاوز، دراسات نقدية معاصرة في الشعر العراقي الحديث، محمد الجزائري، منشورات الاعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب الحديثة، ١٩٧٤ م: ٤٤١.

^(٢) ينظر: التلوث البيئي في العراق وأثره على الصحة والأمن الصحي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد (١٠٢)، المجلد (٢٤)، ٢٠١٨ م: ٣٠٨.

^(٣) ينظر: جماليات الكآبة البيئية (تمظهرات الأدبية للايكوميلا نكوليا)، سعيد عبد الهادي المرهج، المرهج للطباعة والنشر، ط١، العراق، ٢٠٢٥ م: ١٧.

دلالي يعكس الانتماء والاغتراب في آنٍ واحدٍ. فبيئتها الأولى تمثل الجذور والطمأنينة، بينما ترتبط البيئات الجديدة بالمنفى و القلق و الانفصال . وقد وظّفت الشاعرة المكان بوصفه عنصرًا فاعلاً في تشكيل التجربة الشعرية، متداخلاً مع الذاكرة والحنين والهوية، ليغدو الوطن في خطابها الشعري مركزاً شعورياً جامعاً لتجربة الاغتراب والبحث عن الانتماء.

الخاتمة



الخاتمة

سعت هذه الدراسة بعد التعمق في منجز الشاعرة (لمیعة عباس عمارة)، ورصد أهم تمظهرات البيئة ، من خلال تطبيق المنهج البيئي، في عموم تجربتها الشعرية أدى إلى التوصل إلى مجموعة من النتائج التي لا بدّ من إيرادها، وعلى النحو الآتي:

— في التمهيد، توصلت من خلال التنظير، أن حضور الطبيعة في أي نص أدبي دون الوعي به وأهمية المحافظة عليه، يُخرج النصّ الأدبي من تحت عباءة النص الأدبي البيئي، وعملية تحليل النص البيئي لا تقف عند حدّ الوصف ، أو ما يسمى بالتحليل السطحي للنص ، أو الوقف على المظاهر الجمالية البارزة فقط ، بل تسعى إلى تفكيك العلاقات بين الإنسان وبيئته ، وتحليل جميع الجوانب الأدبية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

— أن مفردة (الماء) ، بتجلياتها المتعددة (المطر والبحر والنهر والشاطئ والجداول)، في شعر (لمیعة عباس عمارة) ، تجاوزت المألوف والدلالة المعجمية لتحمل معها دلالاتٍ جديدةً ، ومن أهم الدلالات الإيجابية هي النماء والخير والكرم والعطاء، أمّا الدلالات السلبية فقد حملت معنى الدمار والجفاف والحزن والاغتراب .

– تكشف الدراسة أن التجربة الشعرية عند (لميعة عباس عمارة) تقوم على رؤية بيئية عميقة، لا تُعنى بالطبيعة بوصفها خلفية جمالية، بل بوصفها بنية فاعلة في تشكيل الوعي الشعري و الهوية الذاتية .

– يتضح حضور الموروث الاجتماعي والديني بوصفه عنصراً بنيوياً في النص الشعري، يسهم في كشف علاقة الفرد بالمجتمع، وإبراز التوتر بين الحرية الشخصية والقيود القيومية. كما اعتمدت الشاعرة (لميعة عباس عمارة) في توظيفها الموروث بأنواعه وأشكاله كلها؛ حيث تمثل بالعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، واستمدت الرموز الدينية بوصفها جزءاً في تشكيل الهوية العراقية، بما يجسد عمق الدلالة بين الفرد والمجتمع، ويكشف التناقض بين الحرية الشخصية والقيود الاجتماعية.

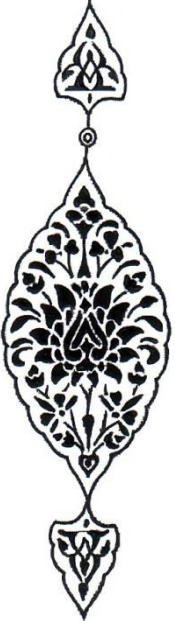
– شكّلت المرأة حضوراً بارزاً في منجز الشاعرة (عمارة)، إذ كان للوعي البيئي النسوي أثر كبير في نصوصها الشعرية ذات الأبعاد البيئية؛ إذ عبّرت عن الظلم والاضطهاد والتهميش من لدن الهيمنة الذكورية، التي عانت منها المرأة العراقية في مختلف العصور، وتتجلى صورة المرأة في شعرها بوصفها كياناً مركباً يجمع بين أدوار متعددة (الأم، والحبّية، والمناضلة) مما يعكس وعياً مبكراً بأبعاد اجتماعية وإنسانية تتجاوز النمط التقليدي.

— مثل الوطن إحدى القيم العليا المرموقة في عموم تجربتها الشعرية؛ إذ أخذ حيّزاً مهماً واسعاً، عبّرت عنه بإحساسها الأنثوي العاشق حدّ الوله، إذ انتهت تجربتها الشعرية إلى دمج صورة الوطن بالحبيب والذاكرة في فضاء شعوري واحد، مما يجعل الشعر فضاءً تعويضياً عن الفقد، والاغتراب، والانكسار المكاني.

— تُعد البيئة المكانية من المهام الرئيسة، لأنها تُشكّل البؤرة الأساسية للنقد البيئي، كما اتخذ المكان في شعرها بُعداً رمزياً يتجاوز دلالاته الجغرافية ليصبح حاملاً للذاكرة والهوية والحنين، مما يجعل الوطن بنية شعورية أكثر منها حدوداً واقعية تمثل سلامة الأنظمة البيئية من مخاطر انتمائها لبيئة أخرى.

قائمة

المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: الكتب المطبوعة

- الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، عمر دقاق، جامعة حلب، ط٣، سوريا، ١٩٧٧م.
- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨١م.
- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، منشورات كلية العلوم والآداب في جامعة بيروت الأميركية، ط٢، بيروت، ١٩٦٠م.
- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، احسان عباس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥م.
- الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م.
- أدب البيئة بين الأصالة والمعاصرة ، كمال محمد الديب ، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- أدب المرأة العراقية، بدوي احمد طبانة، دار العالم العربي، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م.

- الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، إشراف عام: داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، مصر، ٢٠٠٨م.
- الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٩، القاهرة، ٢٠١٣م.
- الأرض في القرآن الكريم، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة، ١٩٩٧م.
- الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي، د. صلاح الدين أحمد الجماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، ط١، المملكة الأردنية الهاشمية: ٢٠١٠م.
- الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر-مرحلة الرواد، محمد راضي جعفر، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، (د.ط)، ١٩٩٩م.
- الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري، احمد علي إبراهيم، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، ط١، بغداد، ٢٠١٣م.
- الاغتراب في شعر نازك الملائكة، ساجدة عبد الكريم خلف التميمي، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١٦م.

- انثوية العلم - العلم من منظور الفلسفة النسوية، ليندا جين شيفرد، ترجمة: يمنى الخولي، علم المعرفة، ط١، (د.ت)، ٢٠٠٤م.
- الإنسان والبيئة، مشكلات البيئة المعاصرة، عصام عباس بابكر كرار، (د.م)، (د.ط)، ٢٠١٥م.
- الإنسان وتلوث البيئة، محمد صابر، الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر، السعودية، ٢٠٠٠م.
- الإنسان وعلم النفس، عبد الستار ابراهيم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥م.
- أهمية النقد الأدبي في الدراسات النقدية، محمد أبو الفضل بدران، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية.
- بدر شاكر السياب حياته وشعره، عيسى بلاطة: دار النهار للنشر، بيروت، لبنان ١٩٧١م.
- بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، احسان عباس، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط٦، بيروت، ١٩٩٢م.
- البيئة ومشكلاتها، رشيد الحمد، ومحمد سعيد صباريني، سلسلة المعرفة، (د.ط)، الكويت، ١٩٧٩م.

- تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث، محمد حسن عبد الله، دار الفنون والآداب، ط١، العراق، ٢٠٢١م.
- التحليل الزمني للحكايات الشعبية، برونو بتلهام، ترجمة: طلال حرب، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، بيروت.
- تحولات المدينة في الشعر العراقي الحديث: د. عبد الله حبيب التميمي، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، ط١، دمشق، ٢٠١٠م.
- تحولات شعرية، صلاح فضل، دار الرؤية للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- التخلف الاجتماعي- مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، مصطفى حجازي، معهد الأنماء العربي، ط٩، بيروت.
- تطور الصورة في الشعر الجاهلي، خالد محمد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.
- توظيف المقدس الديني في الشعر العربي الحديث، بشرى حنون محسن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، ٢٨/ نوفمبر/ ٢٠٢١.
- ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا، هاينريش فون مالتزان، ترجمة: أبو العيد دودو، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الجزائر، ٢٠٠٨م.
- الثنائيات الضدية- دراسات في الشعر القديم، سمر الديوب ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة، دمشق ، ٢٠٠٩ م .

- الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، عثمان سعدي، المكتبة الوطنية ببغداد، ١٩٨١م.
- جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٧٩م.
- جماليات الكآبة البيئية (تمظهرات الأدبية للايكوميلانكوليا)، سعيد عبد الهادي المرهج، المرهج للطباعة والنشر، ط١، العراق، ٢٠٢٥م.
- جماليات المكان في الشعر العباسي، حمادة تركي زعيتر، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١٢م.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م.
- حركة التجديد في العصر العباسي، محمد عبد العزيز الموافي مكتبة الشباب، ط٤، القاهرة، ١٩٩٢م.
- حركية الابداع دراسات في الادب العربي الحديث، خالدة سعيد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م.
- الخيال الشعري عند العرب، أبو القاسم الشابي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.ط)، مصر، ٢٠١٣م.
- الدراسات الثقافية (مقدمة نقدية)، سايمون ديورنغ، ترجمة: ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٥م.

- دراسات في النقد العربي المعاصر، محمد زكي عشاوي، طبعة دار الشرق، ط١، (د.ت)، ١٩٩٤م.
- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي-محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، علي الوردي، دار نشر (Orientalia)، (د.ط)، (د.ت).
- دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، د.محسن اطميس، دار الرشيد للنشر، (د.ط)، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.
- ديوان ابن زيدون، شرح: كامل كيلاني وعبد الرضا خليفة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط١، مصر، ١٩٣٢م.
- ديوان الجواهري، محمد مهدي الجواهري، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ٢٠٢١م.
- ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق: هاشم الطعان، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩م.
- ديوان الزاوية الخالية، لميعة عبّاس عمارة، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٥٨م.
- ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، المجلد الأول، بيروت، ١٩٧٧م.
- ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٩٩١م.
- ديوان لميعة عبّاس، دار ومكتبة المعرفة الجديدة، ط١، سوريا، ٢٠٢١م.
- ديوان نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، (د.ط)، المجلد الأول، ١٩٧٧م.

- ذكريات تنفض الانفاس، حامد عبد الصمد البصري، دار الينابيع، ط١، سورية- دمشق، ٢٠١٠م.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح احمد، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.
- رمزية الماء في التراث العربي - دراسة سيميائية، عزيز العريايي، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، ٢٠١٥.
- الرواية والمكان دراسة نقدية ايكولوجية، محمد عبد الله سرحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠٢٣م.
- الرواية والمكان، ياسين النصير، الموسوعة الصغيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).
- سقط الزند، أبو العلاء المعري ، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- سيكولوجية المرأة، زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، (د.ط)، مصر.
- شاعرات العراق المعاصرات، سلمان هادي الطعمة، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ١٩٥٥م.
- الشاعرة لميعة عباس عمارة، حنان عبيد عليوي فياض، جامعة كربلاء، كلية طب الاسنان، ٢٠٢٠م.

- الشخصية العراقية والبحث عن الهوية ، ابراهيم الحيدري ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠١٣ م.
- شرح المعلقة العشر، الشيخ احمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: فتن محمد خليل اللبّون، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط).
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيث درو، ترجمة: محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمه، د ط بيروت، ١٩٦١م.
- شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الأيكولوجي، محمد عبد الناصر، حولية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ٢٠٢٢م.
- الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط).
- شعر الطبيعة في الأدب العربي، د.سيد نوفل، مطبعة مصر، د.ط القاهرة، ١٩٤٥م.
- شعراء العراق في القرن العشرين، يوسف عز الدين، مطبعة أسعد، ط١، بغداد، ١٩٦٩م.
- شعرية المكان عند ياسين النصير، ايناس عبد الرحيم، دار الرواد المزدهرة، ط١، بغداد، ٢٠٢٠م.
- صور عربية من المهجر الجنوبي، احمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٦م.

- الصورة الشعرية، سيسل دي لويس، ترجمة: احمد نصيف الجنابي ومالك ميري
وسلمان حسن ابراهيم مراجعة: عناد غزوان إسماعيل، دار الرشيد للنشر، مؤسسة
الخليج العربي للطباعة والنشر، (د ط)، الكويت، ١٩٨٢م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز
الثقافي العربي، ط٣، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٢م.
- الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، الشركة المتحدة للنشر، ط١،
بيروت، ١٩٧٠م.
- الطبيعة في القرآن الكريم، كاصد ياسر الزبيدي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة
والاعلام، العراق، ١٩٨٠م.
- الطفولة في الشعر العربي الحديث، د. إبراهيم محمد صبيح، دار الثقافة للنشر
والتوزيع، ط١، الدوحة، ١٩٨٥م.
- عادات الشعوب وتقاليدها، اديب ابي ظاهر، دار الشؤاف للنشر، ط١، الرياض،
١٩٩٣م.
- عصر البنيوية، أدith كريزيل، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح للطباعة
والنشر، ط١، الكويت، ١٩٩٣م.
- الغربية والحنين في الشعر العربي الحديث- فوزي المعلوف انموذجاً، حنان غميص،
اشراف: بوزيد رحمون، جامعة بوضياف المسيلة، الجزائر، ٢٠١٥م.

- الغربه في شعر كاظم السماوي ، نوزاد حمد عمر ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط ١ ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٣م.
- الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان الى الايكولوجيا الجذرية، مايكل زيمرمان، ترجمة: معين روميه، علم المعرفة، الكويت، (د.ط).
- في حادثة النص الشعري دراسات نقدية، علي جعفر العلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، العراق، ١٩٩٠م.
- قاموس الانثروپولوجيا، شاكر مصطفى سليم، ط١، الكويت، ١٩٨١م.
- قصة مكان الروشة صخرة الحب والانتحار، عبد اللطيف نصار، مجلة بوابة الاهرام الالكترونية: ٢٠١٩م. (مقال نت)
- كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٣م.
- كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط٢، مصر، ١٩٦٥م.
- الكتاب المقدس ، انجيل يوحنا ، دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط ، ط ٤ ، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

- الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت - لبنان، ١٩٩٨م.
- كوكب الأرض، كارل ساغان، ترجمة: شهرت العالم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠م.
- لسان العرب، لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، مجلد (١).
- اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، مجموعة باحثين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، بيروت، ٢٠١٣م.
- لميعة عبّاس عمارة -شاعرة الرقة والجمال والأنوثة، مقال، ملاحق المرواة، عالية كريم ١٤/١١/٢٠١٢م: ٦: ٢١م.
- لميعة عبّاس عمارة وهموم الضياع (رؤية نفسية)، شوقي يوسف بهنام، أمل الجديدة، ط١، سورية-دمشق، ٢٠١٣م.
- الماء والاحلام -دراسة عن الخيال والمادة، غاستون باشلار، ترجمة: علي نجيب إبراهيم، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت، ٢٠٠٠م.
- المثلوجيا المندائية، خزعل الماجدي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ٢٠١٠م.

- المجتمع دراسة في علم الاجتماع، حسين عبد الحميد واحمد رشوان، المكتب الجامعي الحديث، ط ١، (د.ت)، ١٩٩٠م.
- محاضرات عن دراسات في المجتمع العراقي، زينب هاشم، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، العراق، ٢٠١٤م.
- المدخل الى علم الاجتماع، خالد حامد، جسر للنشر والتوزيع، ط ٢، الجزائر، ٢٠١٢م.
- المدخل الى علم الاجتماع، محمد الجوهري، (د.ط)، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- مدخل نظرية النقد الثقافي المقارن، حفناوي بعلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، بيروت، ٢٠٠٧م.
- المدينة في الشعر العربي المعاصر. مختار علي أبو غالي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، د.ط ، الكويت، ١٩٩٥م.
- المرأة العراقية المعاصرة، عبد الرحمن سليمان الدريندي، مطابع دار البصري، ط ١، بغداد، ١٩٦٨م.
- المرأة في شعر نزار قباني (دراسة نقدية)، دار البحار، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م.
- المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ١٩٧٠م.

- مضمون الأسطورة في الفكر العربي، خليل احمد خليل، دار الطليعة، ط١، بيروت، ١٩٧٣م.
- معجم العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.
- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
- المقدّس عند العرب قبل الإسلام، سعد عبود سمّار، طباعة ونشر وتوزيع تموز وديموزي، ط١، دمشق، ٢٠١٩م.
- مقدمات لدراسة المجتمع العربي، هشام شرابي، الدار المتحدة للنشر، لبنان، ١٩٨٤م.
- موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، د. محمد عجيّنة، دار الفارابي للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، ١٩٩٤م.
- موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، مج(١)، بيروت، ١٩٨٣م.
- النخلة سيدة الشجر، عبد القادر باش أعيان العبّاسي، مطبعة دار البصري، بغداد، ٢٠١١م.

- النسوية البيئية والتمرد البيئي - مقالات ودراسات في النقد الأدبي البيئي، جريتا جارد وآخرون، ترجمة: امانى حسن الشلقاني، دار النابغة للطبع والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).
- النسوية وفلسفة العلم، يمنى طريف خولي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.
- النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ترجمة: احمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، لزهة مساعدي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، (د.ط)، ٢٠١٣م.
- النقد الأدبي (قراءة جديدة في الشعر القديم)، فاطمة الزهراء محمد فوزي، دار الأدهم للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠١٩م.
- النقد الأدبي البيئي - النظرية والتطبيق، محمد أبو الفضل بدران، كلية الآداب جامعة جنوب الوادي بقنا، ضمن كتاب سلسلة أعلام اللغة والأدب المعاصرين، اعداد: محمد عبد الرحمن الريحاني.
- النقد البنيوي، جرج طيرد، ترجمة: عزيز صبحي جابر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، ط١، (د.ت)، ٢٠٠٩م.

- النقد البيئي (الايكولوجي) بين التأصيل والمفاهيمي والطرح التطبيقي رواية (القندس) انموذجاً، وداد نوفل، دار حورس الدولية والريادة، (د.ط)، ٢٠٢٢م.
- النقد البيئي الإيكولوجي بين التأهيل التأسيسي والمفاهيمي والطرح التطبيقي رواية القندس انموذجاً، وداد نوفل، مؤسسة حورس الدولية، ط١، مصر، ٢٠٢٢م.
- النقد البيئي الايكولوجي في الادب والفن، جميل حمداوي وحسن اعراب، دار الريف للنشر والطبع الالكتروني، ط١، المملكة المغربية، ٢٠٢٠م.
- النقد البيئي بين التنظير والتطبيق، لورانس بويل وآخرون، ترجمة: معتز سلامة، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، طنطا، ٢٠٢٣م.
- النقد البيئي - مفاهيم وتطبيقات، مجموعة من الباحثين، تحرير: أبو المعاطي الرمادي ومعجب العدوانى، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٢٢م.
- النقد البيئي مقدمات -مقاربات-تطبيقات، اعداد وترجمة: نجاح الجبيلي، دار شهریار، ط١، البصرة-العراق، ٢٠٢١م.
- النقد البيئي ونظرية الأدب-دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة، عبير جودت عبد الحافظ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٢٣م.
- ويكون التجاوز، دراسات نقدية معاصرة في الشعر العراقي الحديث، محمد الجزائري، منشورات الاعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب الحديثة، ١٩٧٤ م.

ثانيًا: الرسائل والأطاريح الجامعية

- الأرض والانسان في شعر بدر شاكر السيّاب -دراسة في النقد البيئي، شاكر جواد الموسوي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢٤م. (رسالة ماجستير)
- البيئة في الشعر الجزائري المعاصر، دليلة مكسح، اشراف: علي عالية، جامعة محمد لخضير- بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، الجزائر، ٢٠١٥م. (أطروحة دكتوراه)
- جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، محمد صالح خرفي، اشراف: يحيى الشيخ صالح، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م. (رسالة ماجستير)
- جماليات المكان في الشعر العراقي الحديث سعدي يوسف أنموذجاً، اعداد، مرتضى حسين علي حسين، إشراف: أ.د. محمد عز الدين المناصرة، جامعة فيلادلفيا، كانون الثاني، ٢٠١٦م. (رسالة ماجستير)
- رمزية الماء الوجودية في الشعر الجاهلي- معلقة أمرو القيس نموذجاً- دراسة سيميائية، خيره واي و ميلود عاشور، اشراف: بلقاسم خروبي، جامعة ابن خلدون، الجزائر، ٢٠١٩م. (رسالة ماجستير)
- رمزية الماء في شعر السيّاب، مولود محمد زايد البيضاني، اشراف: حسين عبود الهلالي، جامعة البصرة، كلية التربية، ٢٠٠١م. (رسالة ماجستير)

- روايات صبحي فحماوي -دراسة في ضوء النقد البيئي، نعمان ثابت الهيتي، كلية الآداب، جامعة الأنبار، ٢٠٢٣م. (أطروحة دكتوراه)
- الشعر النسوي المعاصر في العراق -دراسة في ضوء النقد البيئي، أسماء حسين علاوي، إشراف: عبد الرحمن عبد الله احمد، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢٥م. (أطروحة دكتوراه)
- شعر لميعة عباس عمارة-دراسة فنية، اياد يوسف يعقوب، اشراف: قصي سالم علوان، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٠م. (رسالة ماجستير)
- صورة المرأة في الشعر العراقي الحديث (١٩٩٥-٢٠٠٠)، ايناس عباس صالح حميد البيرماني، اشراف: محمد حسن علي مجيد الحلي، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٨م. (أطروحة دكتوراه)
- مقدمات الصورة الفنية في شعرية بدر شاكر السيّاب، سمية عطار، اشراف: عبد اللطيف، الجزائر، ٢٠١٨م. (رسالة ماجستير)
- النقد البيئي -شعر العصر العباسي الأول اختياراً، نضال جبري طابور، إشراف: وليد شاكر النعاس، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، ٢٠٢٣م. (أطروحة دكتوراه)

ثالثاً: البحوث والمجلات

- الأبعاد الدلالية لتشاكل الماء في شعر ما قبل الإسلام، مصطفى منصوري، المجلة التعليمية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، العدد(١)، المجلد(١٥)، الجزائر، ٢٠٢٥م.
- اثر المكان المقدس في تشكيل الهوية المكانية في شعر المرأة السعودية، منى صالح الرشادة وليلى شعبان رمضان، مجلة العلوم العربية، العدد(٢٦).
- أثر بيئة الأهوار العراقية في اعمال الفنان ماهود احمد، محمود حسين عبد الرحمن حسين، مجلة الأكاديمي، العدد(٩٦)، ٢٠٢٠م.
- إشكالية القيم بين الانسان والبيئة-دراسة تطبيقية في فلسفة (هولمز رولستون) الايكولوجية، معتز احمد، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، العدد(١)، المجلد (١٣)، ٢٠٢١م.
- الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، قيس النوري، مجلة عالم الفكر، العدد(١)، الكويت، ١٩٧٩م.
- البيئة العراقية في شعر السياب، نضال إبراهيم، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد(١)، ٢٠٠١م.
- التلوث البيئي في العراق وأثره على الصحة والأمن الصحي، هادي فيصل سعدون، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد(١٠٢)، مجلد(٢٤)، ٢٠١٨م.

- جماليات المكان في شعر الاتجاه الرومانسي - دراسة في ضوء النقد البيئي، هناء محمد مصطفى، مجلة السرديات، العدد (٣٠).
- رمزية العادات والتقاليد، مجلة انثروبولوجيا، مجلد (٦)، العدد (٢)، ٢٠٢٠م.
- الرمزية في الفن الحديث، صبري منصور، مجلة عالم الفكر، العدد (٣)، المجلد (١٦)، الكويت، ١٩٨٥م.
- الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي، رسول بلاوي، حسين مهدي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد (٢١)، جامعة خليج فارس بوشهر، ٢٠١٥م.
- الشعر الايكولوجي، فكتور بوستيكوف، ترجمة: معين روميه، مجلة نوافذ، العدد (٢٧)، ١/ مارس/ ٢٠٠٤م.
- شعرية المكان في رواية الطاطران لعبد الستار ناصر، رمضان علي، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، مجلد (٤)، العدد الخاص، ٢٠٢٤م.
- الطبيعة في شعر محمد توفيق علي، أسماء عربي عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة أسوان، العدد (٥٢)، ٢٠٢١م.
- ظلم الآلهة عشتار في الأدب العراقي القديم، الباحث: ضياء رحمن نعمة، أ.م.د. محمد فهد القيسي، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة كلية التربية، المجلد (٣)، الجزء (٣)، العدد (٤١)، ٢٠٢٠م.

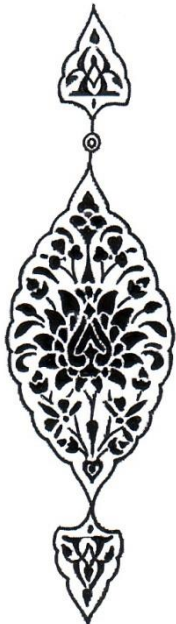
- لميعة عبّاس عمارة (الانسانة-القصيدة) قراءات -شهادات مختارة، هدية مجلة الأديب العراقي، العدد(٢٩)، لميعة عبّاس عمارة وأنساقها الثقافية، علي سعدون.
- مجلة الإذاعة والتلفزيون، العدد ٩٦. السنة الخامسة، الثلاثاء، ٢٦-شباط-١٩٧٤.
- مجلة ألف باء العدد(٢٨٠) السنة السادسة (٢٣ كانون الثاني) ١٩٧٤م.
- مخصبات حضور المكان في شعر باسم فرات، هديل عبد الحمزة، اشراف: حسن غانم فضالة الجنابي، كلية الآداب، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد(٤١)، كانون الأول، ٢٠١٨م.
- المرأة في التراث العربي قبل الإسلام، محمد عبيد الله، مجلة سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، جامعة عين شمس، كلية الألسن، العدد(٤٤)، ٢٠٠٥م.
- المعالجات التخطيطية لتطوير وعمران المناطق المطلة على الواجهات المائية لنهر دجلة (دراسة حالة المنطقة الواقعة بين جسر باب المعظم وجسر الاحرار)، مجلة اكليل للدراسات الإنسانية، العدد(٨)، كانون الأول، ٢٠٢٣م.
- مكانة المرأة واسهاماتها في الأدب العربي القديم، نصر الدين إبراهيم، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد(١)، يونيو، ٢٠١٥م.
- من أجل لغة خضراء-محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، عبّاس آدمي، مجلة أبوليوس، العدد(٢)، المجلد(٨)، الجزائر، ٢٠٢١م.

- النستولوجيا وتمثالاتها في النص المسرحي العراقي، مجلة نابو للبحوث والدراسات، العدد (٣٨)، المجلد (٣١)، ٢٠٢٢ م.
- النخلة في حضارة وادي الرافدين، عبد الملك يونس عبد الرحمن، مجلة آداب الرافدين، العدد (١٠)، ١٩٨٢ م.
- نظرات في نسائيات معروف الرصافي، كوثر هاتف كريم، كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العدد (١٥)، ٢٠١٤ م.
- النقد الايكولوجي، مايكل برانش، ترجمة: معين رومية، مجلة توافد، العدد (٣٦)، ٢٠٠٧ م.
- النقد البيئي أفق اخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، ايمان السلطاني وآخرون، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد (٣٣)، ٢٠٢١ م.
- النقد البيئي -الرؤية والتطبيق- دراسة تطبيقية لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف الجزائري، عبد الملك بومنجل و فريد عوف، مجلة دراسات، العدد (١)، المجلد (١٢)، جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل، الجزائر، ٢٠٢٣ م.
- النقد البيئي -الرؤية والتطبيق، فريد عوف، مجلة دراسات، العدد (١)، المجلد (١٢)، ٢٠٢٣ م.
- نوستولوجيا الوطن في قصيدة (غريب على الخليج)، بدر شاكر السياب، مجلة دراسات، العدد (١)، المجلد (١٢)، ٢٠٢٣ م.

رابعاً: المقالات الالكترونية

- جزيرة نت/ مقال منشور: [https://shore google/w٦wl٣tglfbvbgpGsa](https://shore.google/w٦wl٣tglfbvbgpGsa)
- مقال منشور: احتفاءً بما لم يعد هنا، انعام كجه جي، توقّع (لوحة لميعة):
<https://www.jadaliyya.com/Details/٤٣٠٣٠>
- نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي:
www.shaqhaf.com
- لميعة عباس عمارة - نصوص- عبد الرزاق عبد الواحد (ذكرياتي).
www.azzaman.com

Abstract



Abstract

Abstract

This study, after delving into the work of the poet Lamia Abbas Amara and observing and discovering the most important manifestations of the environment through the application of the environmental approach to her poetic experience, arrived at a set of conclusions that must be acknowledged, as follows:

١. In the introduction, I found, through theoretical analysis, that the presence of nature in any literary text without awareness of it and the importance of preserving it removes the literary text from the realm of environmental literature. The process of analyzing an environmental text does not stop at mere description, or what is called a superficial analysis of the text, or focusing solely on prominent aesthetic features. Rather, it seeks to deconstruct the relationships between humans and their environment and analyze all literary, cultural, economic, and political aspects.

٢. The word "water," in its various manifestations (rain, sea, river, shore, streams), in the poetry of Lamia Abbas Amara, transcends the familiar and its conventional meaning. The lexicon carries new connotations, the most important of which are positive: growth, goodness, generosity, and giving. Negative connotations include destruction, drought, sadness, and alienation.

٣. The poems of Lamia Abbas Amara reveal an interactive and participatory relationship between humanity and its natural

Abstract

environment, a kind of cohesion and unity among living beings, aimed at strengthening environmental awareness and preserving the environment, in line with the contemporary environmental movement.

٤. The poet Lamia Abbas Amara excelled in her use and application of heritage in all its forms and manifestations. This included customs, traditions, social norms, and the incorporation of religious symbols as part of the formation of Iraqi identity, embodying the profound connection between the individual and society and revealing the contradiction between personal freedom and social constraints. The poems also explore the relationship between the individual and society.

٥. Women featured prominently in the work of the poet Amara. Feminist environmental awareness significantly influenced her environmentally themed poems, allowing her to express the injustice, oppression, and marginalization suffered by Iraqi women under patriarchal dominance throughout history. She portrayed women in various roles, deeply connected to her own feelings and emotions, embodying the image of woman as mother, fighter, lover, laborer, beloved, and friend.

٦. The homeland represented one of the most esteemed values in her overall poetic experience. It occupied a significant and expansive space, expressed through her passionate, almost infatuation-like, feminine sensibility. The image of the

Abstract

homeland appeared in her poems, symbolized by the father, mother, son, and beloved.

٧. The spatial environment is one of the main tasks, as it forms the main focus of environmental criticism. The poet represented her environment, which contributed to shaping her identity and personality, by presenting the affiliation of (Amara) to the pure southern Iraqi environment, as it represents the safety of environmental systems from the dangers of belonging to another environment.

**Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
And Scientific Research
Wasit University
College of Education For Humanities
Department of Arabic Language**



The influence of the environment on the poetry of Lamia Abbas Amara

Thesis submitted by the student

Wafaa Salman Ajil Al-Jurani

**To the Council of the College of Education for Human
Sciences, University of Wasit**

**It is part of the requirements for obtaining a Master's
degree in Arabic Language and Literature**

Under the supervision of Professor

Prof. Dr.

Jassim Hussein Sultan Al-Khalidi

١٤٤٦ A.H

٢٠٢٦ A.D